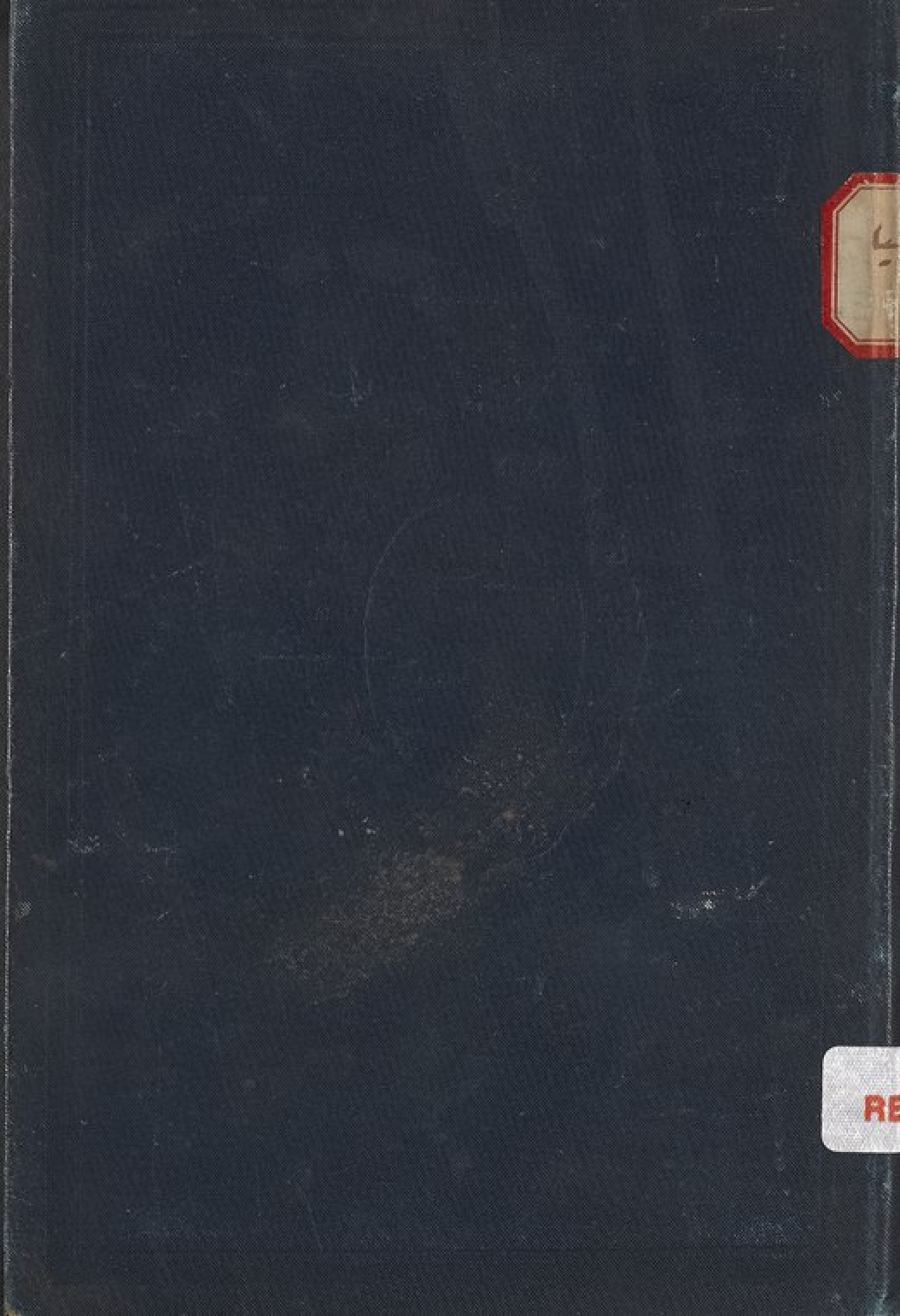
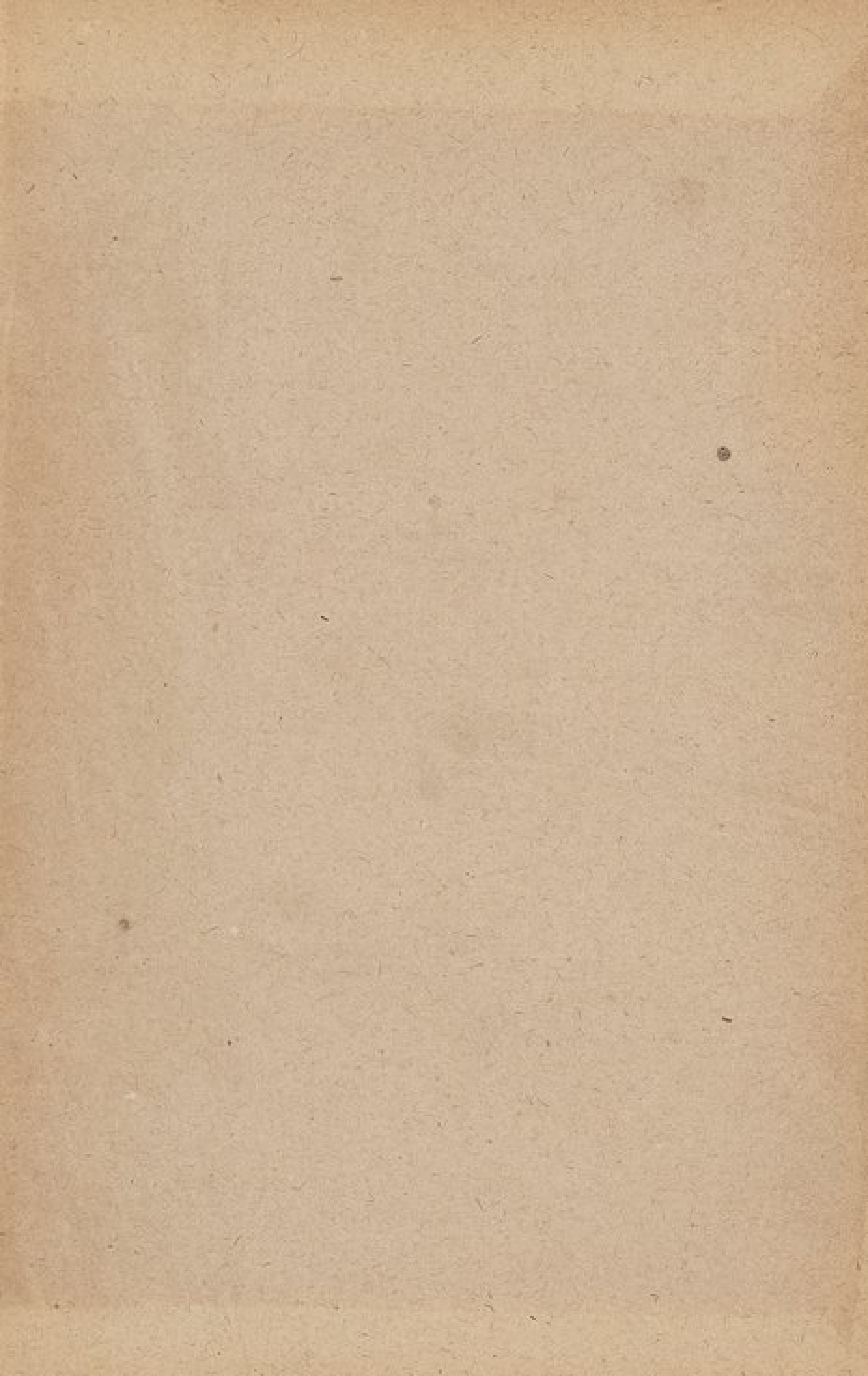
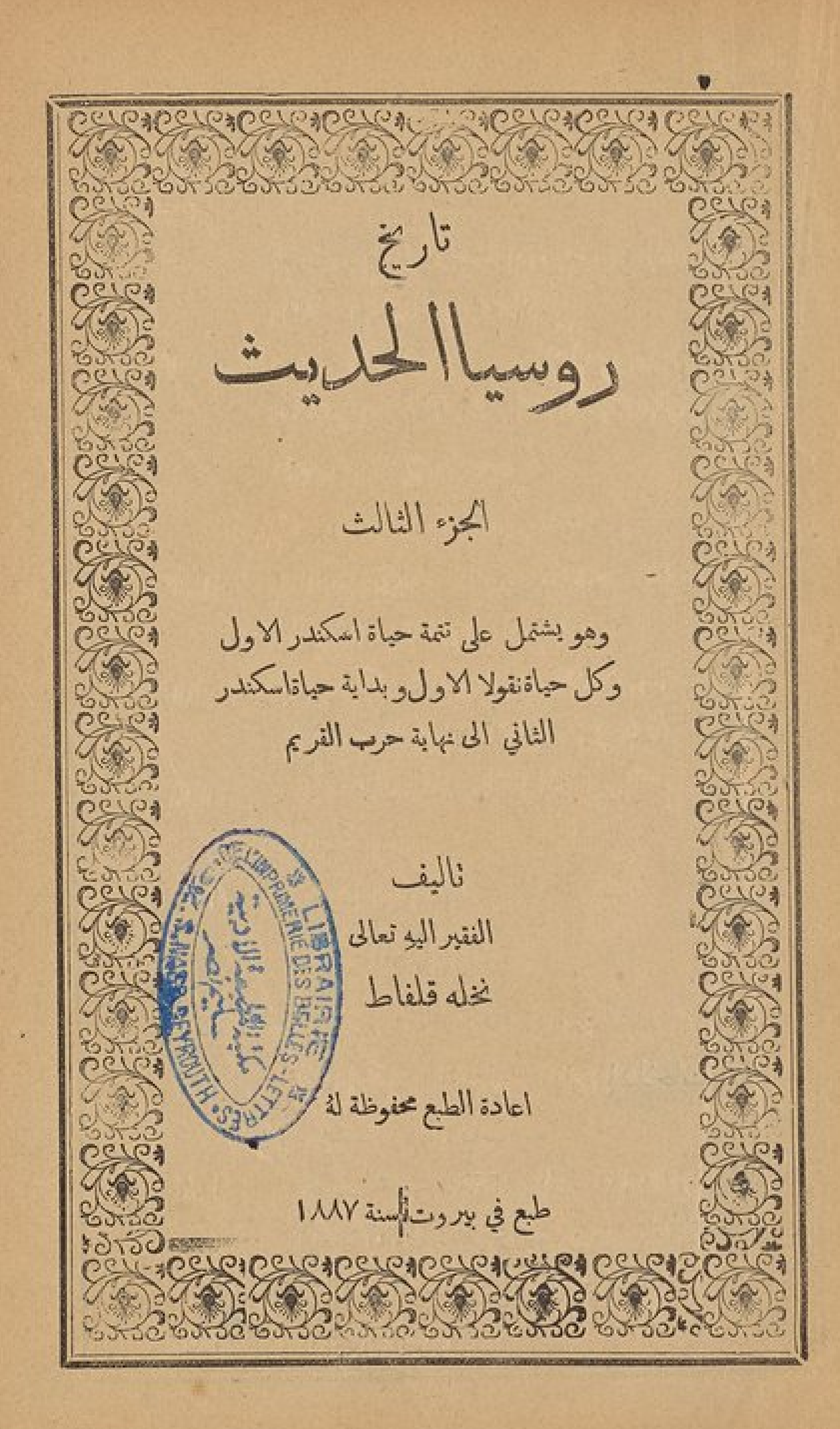





Princeton University Library
32101 080890336

History of the
new Russia
1889 3rd book



تاريخ

روسيا الحديث

الجزء الثالث

وهو يشتمل على تتمة حياة اسكندر الاول
وكل حياة نقولا الاول وبداية حياة اسكندر
الثاني الى نهاية حرب القريم

تاليف

الفقير اليه تعالى

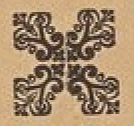
نخله قلفاط

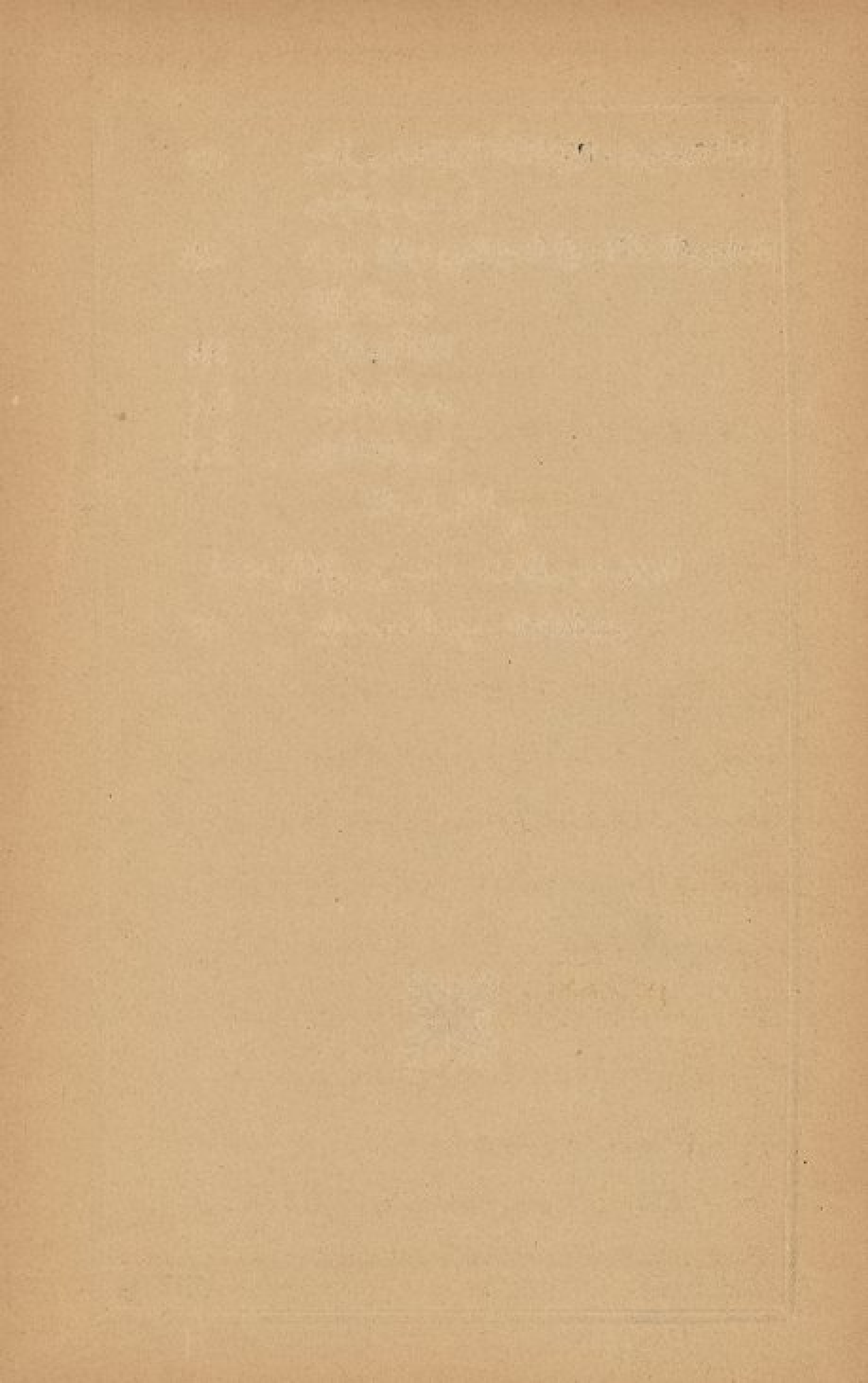
طبع في بيروت سنة ١٨٨٧

فهرس

الفصل التاسع

اسكندر الثاني من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٨١








الحرب الوطني . معركة بورديتو . حرق موسكو وهلاك الجيش الفرنسوي العظيم

اذا راينا الى اعمال نابليون في جمع القوات الحربية نراهُ من اقدر الملوك عليها فانهُ مع وجوب اشغال ١٢٠ قطيعة بالعساكر تمكن من ان يجمع في هذه المرة للحرب على روسيا نحو ٦٧٨٠٠٠ مقاتل منها ٣٥٦٠٠٠ فرنسوي و ٣٢٢٠٠٠ غرباء واذا عد المحافظون في القطيعات المذكورة كان يبلغ عدد الجيش الفرنسوي كلهُ مليون ومائة الف نفر . وهو يولف من بلجيكا وهولاندا وهانوفر وهانستيان وبيامونت وورومانيا وهولاء تحت العدد الفرنسوي . والجيش الايطالي والغرباء كان من نابلي واسبانيا وكل شعوب المانيا ويرتمبرج وبافاريا ودرمستات ووستفاليا وسكسونيا ومكلنبرغ وقطيعات اخرى وفضلاً عن القواد الفرنسويين المشهورين كان على قيادة هذه الجيوش اوجين بونابرت ملك ايطاليا وموارت ملك نابلي وجيروم ملك وستفاليا وكثيرون من امراء العيال الحاكمة

والممالكة في اوربا · واما البولونيون فكان جيشهم غير مختلطٍ وعددهُ ٦٠ الفاً وهو جيش دوقية فارسوفيا وانضم اليهِ كثيرون من صقالبة ايلريانة وكارنتيانة وذالماتيا وكوراتيا يقصدون الهجوم على مملكة الصقالبة العظيمة · وقد دعى الروسيون هذا الجيش بما معناهُ جيش العشرين طائفة · وتقدم نابليون ساحباً اكثر شعوب الغرب الى الشرق

وعندما استعد الجيش العظيم ليقطع النيامن كانت مواقعهُ هكذا · على الشمال امام تلسيت ماكدونال على عشرة آلاف فرنسوي وعشرين الف برسوي تحت قيادة الجنرال بورك وامام كوفنا نابليون على فرق دافوت واودينو وناي وجيش الحرس تحت قيادة بسيا وفرسان مورات ومجموعها كلها مائة وثمانين الفاً · وامام بيلوني اوجين على ٥٠ الف ايطالي وبافاري وامام غردنو جيروم نابليون على ٦٠٠٠٠ بولوني ووستفالي وسكسوني الخ · ويجب ان يضاف الى هذه الجيوش الجيش النمسوي وعددهُ ثلاثين الفاً · مع ٣٩٠ الفاً التي تحت قيادة نابليون وبهذه الجيوش قصد الامبراطور الفرنسوي ان يجتاز النيامن لكي يتهدد اواسط روسيا

واما القيصر الروسي فقد جمع على النيامن ٩٠ الف رجل

تحت قيادة باكراسيون و ٦٠ الفا على بوغ تحت قيادة باركلي
دي تولي وهذا كان يدعوهُ جيش الشمال والجنوب وعند اليمين
وتجانسن على ٣٠ الفا وكان ترتب عليهِ ان يقف تجاه جيش
ما كدونال الفرنسوي وشوارتزانبرغ النمسوي. وتورسوف على
٤٠ الفا ولاً ثم انضم اليهِ ٥٠ الفا جاءت من الدانوب عليها القائد
تشيتشاكوف ووراء كل هذه القوات كان يوجد نحو ٨٠ الف
محافظ من القوزاق وغيرهم واكثرهم من الشجعان القدماء
بذقون طويلة ولم يكن اسكندر قادراً ان يقف في وجه المائتين
والتسعين الفا التي هي تحت قيادة نابليون الا المائة والخمسين
الفا التي هي تحت قيادة باكراسيون وباركلي دي تولي غير انهُ
كان يعتمد على حماسة الشعب الروسي وكان اعلن
فيما بينهم بالاعلان المعروف بالدعوة القيصرية وما لهُ · فليضاد
العدو بكل شريف روسي (بوجارسكي) وبكل كاهن
(باليتسيني) وبكل ابن وطن (مينين) انهضوا جميعكم وما دام
الصليب في قلبكم والسلاح في يدكم لا يمكن قط لقوة بشرية ان
تقف في وجهكم · انتهى ·

ولدى المحاربة كان مركز القيصر العام في فيلنا وفضلاً عن
القواد كان برفقتهِ اخوهُ الكراندوق قسطنطين ووزراؤهُ

اراكتشاف وبالاشف وكوتشوبي وفولكونسكي واجتمع هناك للمباحثة كامل القواد ومنهم سيتين ولوزجين وبفيهل وميشوالبياموتني وارمفلت الايطالي ويوليشي وقد طالت المباحثة فيما بينهم بشان كيفية المحاربة وهذا كان سببًا ليتمكن نابليون من القدوم على الداخلية وكان موضوع هذه المباحثة هل من الموافق ملاقاة نابليون وجهًا لوجهٍ وحربهُ بما تتناهى اليهِ القوة الروسية ام التمسك بما اشار بهِ باركلي في سنة ١٨٠٧ من التقهقر امامهُ وسحبهُ الى الداخلية بعدان يتركوا الارض خلفهم قفرًا . وقد اسند هذا الراي الاخير بفيهل وان يقام المعسكر بعيدًا في دريسا على الدون واخرون طلبوا حرب المدافعة خلف الحواجز (المتاريس) . ولما بلغهم الخبر باجتياز النيامن التزم باركلي الى ان ينسحب الى الدون وبا كراسيون الى الدنيبر وقرروا الاعتماد على الانسحاب الى الداخلية اذا اقتضت الحال

ودخل نابليون فيلنا عاصمة ليطانيا واذاع اعلانًا بين البولونيين جميعاما لهُ (لقد ابتدأت حرب بولونيا الثانية) وقرر مجلس فارسوفيا تجديد المملكة البولونية وارسل وفدًا الى فيلنا يطلب رضاء ليطانيا والقبول بحماية الامبراطور نابليون . فازدحم اعيان ليطانيا واشرافها حول نابليون وقبلوا باحتفال

عظيم قرار مجلس فارسوفيا · وقد قال فيزانسك · ان هذا
الاحتفال جرى في كنيسة فيلنا واجتمع فيهِ كل اعيان البلاد
وكنت ترى هناك الرجال لابسة ملابس بولونيا القديمة التي
كان يلبسها اجدادهم والنساء مزينة بالملابس الزاهرة وعليها
الشريط الاحمر الزاهي والبنفسجي · انتهى · ومع ان نابليون
كان جمع نحو ستين الفًا من البولونيين الاصليين وفرقهم في
كل فرق جيشهِ ليخفي اميالهُ عن مساعدة البولونيين وقبول
مساعداتهم لكنهُ كان غير قادر ان يخفي حماستهم وشجاعتهم لان
املاً وطيدًا املاً قلوبهم · والعمل الذي بوشر بهِ في تلسيت
على حساب بروسيا والنمسا اي نزع املاك الدولتين من
بولونيا كادان يتم على حساب روسيا. فهذا هو اخذ الثار الذي
هيئتهُ فرنسا منذ ١٨ سنة اكرامًا لخاطر طوائف دومبروفسكي
الامينة وهذا هو رصيد الحساب الذي ازمع الامبراطور الاعظم
ان يدفع منهُ حمية حملاتهِ الفستولية · وقد عاد للشبان من
الضباط شجاعة اجدادهم بتوفيق نابليون · وقال براندق ·
لقد غلط قدماؤُنا اذ سخروا بحماستنا ودعونا بلا حاسة ولاضمير
فاننا لا نفكر الا بالمعارك والانتصارات وما كنا نخاف الا سرعة
الروسيين بطلب عقد الصلح قبل تمكننا من اخذ الثار وكان

داخل صفوفها شبان كثيرون من ليطانيا الذين اجدادهم منذ قبل بمائة سنة كانوا حاربوا تحت بيارق شارل الثاني عشر ومن رادزفيل وساپياهة وتيزانهوزة وكودسكو . انتهى . وفي كل الجهات كانت الحركة وطنية ما عدا ليطانيا فان الشعب لم يكن كلهُ بولونيًا . وكان نابليون يساعد البولونيين نصف مساعدة ولم تعرف غايتهُ من هذا الوجه هل انهُ يفعل ذلك خوفًا من انقطاع امل الصلح بينهُ وبين روسيا او انهُ يريد أن يحترم مقاصد النمسا او يكره في اعادة بولونيا ويخشى من ان تتقوى ففوض ليطانيا بنيابة ممتازة في بولونيا . وعقد مجلسًا قرر انشاء جيش ليطاني يتركب من اربع فرق من المشاة وخمس فرق من الفرسان ووهبهما ار بعمائة الف فرنك تصرف اثناء تجهيزها . ولكي يكسب القيصر وقتًا ارسل بالاشف الى فيلنا ليخابر نابليون بالصلح . فطلب اليهِ نابليون شرطين فقط وهما ترك ليطانيا وفتح الحرب على بريطانيا العظمى فرفض بالاشف ذلك وعاد دون جدوى بعد مخابرة قصيرة . ولو اتخذ نابليون في هذه المرة الحكمة كباقي اعمالهِ وعوض ان يجتاز الحدود الروسية ويتعمق فيها اكتفى بتجهيز وحماية اقليم ليطانيا القديم لما قدرت ولا قوة بشرية من منع اقامة المملكة البولونية الليطانية على حدودها

القديمة ولكانت تغيرت احوال فرنسا واوربا . فهذا غلط ارتكبهُ نابليون وتصور النجاح في روسيا كما في النمسا . مع ان لويس بونابرت شقيق نابليون قال عن ذلك ما ياتي . ان الهجوم على روسيا كان محفوفاً بخطر عظيم فلا ادري كيف سيق نابليون الى الحرب . فانا بعيد عن استحسانها واجتمعت بضابط روسي في حمامات مارنيباد في بوهيميا فقال بحسب عادة الروسيين من الافتخار والقحة والحمية اننا نحن الان الرومان فمن يتصور روسيا وقد حصلت على بغيتها بحكم بانها تصبح سيدة اوربا كلها بعد زمان قصير بالنفوذ براً وبحراً . وعند ذلك تخضع سطوة الانكليز في البحار لسيادة روسيا فالحمل على روسيا جسارة وعمل عظيم خالٍ من الحكمة ما لم يسعفهُ ارجاع بولونيا واسعافها . انتهى .

وكان في الطريق المودي من فيلنا الى موسكو خرق طبيعي مصنوع برسم نهري الدون والدنيبر فالواحد يولف زاوية بقرب فيتبسك والاخر بقرب اورشا وكان المعسكر الروسي في دريسا على الدون لكنهُ كان سيء الترتيب وخلفهُ النهر وعليهِ اربعة جسور فقط وقد خاف الجيش انهُ اذا اضطر الى الانسحاب يقع بهِ ما وقع باورلتس وحدث شغب وقلق ضد

بفيهل وضد الالمانيين وكثرة الامرين فاعتمد الشرفاء على ان يعدوهُ عن الجيش ولذلك اجتهد اراكتشاف وبالاشف ان يقنعاهُ باحترام ان وجودهُ في سمولنسك وفي موسكو وفي بطرسبرج اكثرافادة بحيث يقدران يجري اوامر الدولة ويجمع الرجال والدراهم ويحرك الحماسة الوطنية. ومن ثم استقل باركلي وباكراسيون بجيشيهما

واما نابليون فانهُ كان يخشى من تعمقهِ في الداخلية وجلّ غايتهِ ان لا يتقدم كثيرًا عن حدود ليطانيا وان يحذف احد الجيشين الروسيين الى مسافة بعيدة غيرانهُ كان يرى نفسهُ مجذوبًا بالرغم عن حكمتهِ وتدبيراتهِ الى التقدم والنقص العظيم الذي وقع في جنودهِ . وبعد حدوث معركتي اوستروفنو وفيتبسك رجع باركلي الى حدود سمولنسك بعد ان حرق كل ما في طريقهِ ولم يترك للجيوش الفرنسوية شيئًا لا من الزاد ولا من البيوت للماوى . وكذلك باكراسيون رجع الى سمولنسك لينضم الى باركلي بعد ان قاتل في عدة معارك عند موهيلوف واورشا . وعندما اجتمع القائدان الروسيان تشاورا في شان الحمل وكانت الجيوش قد ضجرت من هذا الارتحال والرجوع فكان باركلي ذو فكررائق ميالٍ الى التحيلات الحربية معاكس

لفكر باكراسيون الذي كان كتلميذٍ لسوفوروف حاد المزاج فلم يتفقا لان الواحد كان يحب الارتحال والتاخر على الحالة السابقة اذ ان الجيش الروسي يتقوى بزيادة ويضعف الجيش الفرنسوي من جرى تعمقهِ في الداخلية والاخر وهو باكراسيون كان يحب الدفاع وملاقاة العدو وجهاً لوجهٍ فطابق راي الجيش لراي باكراسيون وتقريباً اهانوا باركلي باتهامهِ بانهُ الماني اللقب . فرضي من ثم بالمدافعة والوقوف ضد ملك نابلي الذي وصل الى كراستواي وحاربهُ محاربة دموية في ١٤ آب (اوغسطوس) وفي الثامن عشر من الشهر المذكور جرت معركة سمولنسك وكانت اسوارها سميكة جداً وقبل ان حرقت ارسل جيش روسي ليقف في الطريق ويحمي الاهالي الخارجين منها . وخيم الظلام والمتقاتلون المتعبون جداً لم ينفكوا عن النزال . وبعد نصف الليل ارتفع دخان كثيف جداً من جهات مختلفة من المدينة ولهيب نار غشيها في برهة قصيرة . وكان الحرُّ شديداً في النهار والهواء معتدلاً جميلاً ليلاً وقد راى نابليون ذلك وهو جالس عند باب خيمتهِ متاسفاً صامتاً ثم قال الان ارى ما يراهُ اهالي بولونيا عندما يهيج فيسوفس (جبل نار) . وفي الصباح تمكنت فرقتان فرنسويتان

من الدخول الى المدينة فوجدنا ان الروسيين قد اخلوها بعد
ان احرقوها وطرح فيها ٢٠ الف قتيل وانسحب باركلي
وبا كراسيون وتاثر هذا الاخير الجنرال ناي الفرنسوي فصدمهُ
في فالوتينا وترك من الجيشين في ساحة القتال ١٥ الف رجل
وانقسم الجيش الروسي الى قسمين قسم سار في طريق موسكو
وقسم في طريق بطرسبرج

وتاكد نابليون ظنهُ من انهم كانوا يسحبونهُ الى الداخلية
وكان متكدراً من هذا الا انهُ لم يرضَ بان يظهر كدرهُ وكان
يومل انهُ لا بد ان يجد مأوى في احدى المدن الكبيرة فيصرف
فصل الشتاء وقد طلب اليهِ قوادهُ عندما راوا انقضاء فصل
الصيف ان يؤخر القتال الى الربيع فامتنع . وكان الروسيون
عند انسحابهم يحرقون القمح والذرة والشعير وكل المزروعات
برغبة كي لا يتقوى بها الفرنسويون حتى ان نفس الفلاحين
كانت تقول للجنود . قولوا لنا فقط عند حلول الوقت فنحن
نحرق مزارعنا بايدينا . وقد اضاعت سمولنسك على بونابرت
ثلاثة ايام . ومما تقدم يظهر ان الجيش العظيم الفرنسوي تقدم
بسرعة ولكنهُ خسر كثيراً . فاثناء انتقالهِ من النيامن الى فيلنا
لم يقاومهُ الروسيون مطلقاً ومع ذلك خسر ٥٠ الفاً . ومن فيلنا

الى موهيلف خسر مائة الف تقريباً . ففرقة ناي بعد ان كانت ٣٦٠٠٠ الفاً صارت ٢٢٠٠٠ وفرقة اودينو ٢٢٠٠٠ بعد ان كانت ٢٨٠٠٠ وفرقة مورات ١٤٠٠٠ بعد ان كانت ٢٢٠٠٠ وفشاً بالبافاريين داء الديسنتاريا فصاروا ١٢٠٠٠ بعد ان كانوا ٢٧٠٠٠ والفرقة الايطالية صارت ٥٠٠٠ بعد ان كانت ١١٠٠٠ ولم تكن خسارة الحرس الايطالي والوستفالي والبولوني والسكسوني اقل عدداً من ذلك . وكان القوزاق يسيرون على الدوام في اطراف الجيوش الفرنسوية فيختلسون الارساليات وينهبون كل ما تصل اليهِ ايديهم ولم يكن في يد نابليون ما يقيهِ لسد احتياجات جيوشهِ ولم يقدر ان يكتسب من البلاد الروسية ما يجعلهُ ان يعلق الامل بالرجوع سالماً ومن ثم اخذ يلهج كلٌّ من الفرنسويين برداءة عاقبة رجوعهم غير ان نابليون كان يؤمل النجاح ولو مرة في موسكو . وفي الشمال كان مكدونال يتتبع ويتجانسن واستولى على بولتسك بعد معركة ١٨ اب (اوغسطوس) واشغل دونابرغ وتهدد ريغا بالحصار وفي الجنوب فاز تورماسوف بنجاح على رينيه وشوارتزنبرغ النمسوي وكان الجيش الروسي يتذمر جداً من التاخر والرجوع دون حدوث معارك موجبة لمثل هذا الرجوع وقد عادوا

الى دوروغوبوغ ومن ثم الى فياسما وجعلوا بيندون بيا كراسيون
كما بباركلي . وحينئذٍ جمع الامبراطور اسكندر الجيشين الى
جيش واحد واعهد بالقيادة العامة الى كوتوزوف احد
المشاهير الوطنيين المحبوبين من الجيش وهذا الخبر حرك البسالة
الروسية العامة . وشاع الخبر حالاً بين كل الجنود وتناقلوا
هذه الكلمات (ان كوتوزوف اتى ليضرب الفرنسويين) وبالغوا
لفرحهم في الثناء عليه واشهار ذكره حتى كادت تبلغ الغيوم .
وعندما فحص الجيش قال . كيف يمكن الرجوع مع هكذا جيش
باسل . ومع هذا فانهُ سلك بدقة وبحركة حربية سبيل الرجوع
ومن العجب ان الجيش وهو راجع كان يشعر كانهُ سائر الى جهة
الفرنسويين وكانوا ينتظرون جيوشاً جديدة مع ميلورادوفتش
وبوملوف بوصول القوزاق حيث كان بلاتوف ذهب
لاحضارهم من الدون ولمساعدة موسكو الشهيرة التي كان يعد بها
حاكمها دولتو بتشين

وعند وصول كوتوزوف الى بوردينو وقف بجنوده وعددهم
٧٢٠٠٠ الفاً من المشاة و ١٨٠٠٠ من الفرسان المنظمة و ٧٠٠٠
قوزاقي و ١٠٠٠٠ جندي (اوبولتشانتزي) و ٦٤٠ مدفعاً يخدمها
١٢١٠٠ رجل ولم يقدر نابليون ان يقاومها الا بعدد يماثلها تقريباً

اي ٨٦٠٠٠ من المشاة و ٢٨٠٠٠ من الخيالة و٥٨٧ مدفعاً يخدمها ١٦٠٠٠ مدفعي . وفي ٢٥ ايلول (سبتمبر) اخذ الفرنسويون موقع شيفاردينو وفي السابع والعشرين كانت الموقعة العظيمة وهي المعروفة عند الروسيين بموقعة بوردينو وعند الفرنسويين بمعركة موسكو وان كانت موسكو تبعد قليلاً الا ان طليعتها كانت مرسومة عن اليمين بقرية بوردينو وعن الوسط بالجبل الاحمر حيث كان يرتفع الاخدود العظيم (هكذا يدعونه الفرنسويون ويدعونه الروسيون مدفعية ريافسكي) وحيث اليوم يرتفع العامود التذكاري . وعن الشمال بالاخاديد الصغيرة او (سهام باكراسيون) وبين الجبل الاحمر وسهام باكراسيون وادي سيمينوفسكي والقرية المسماة بهذا الاسم واثناء المعركة وقف نابليون قرب شيفاردينو وكوتوزوف في قرية غوركي . ففي اليمين باركلي دي تولي وميلورادوفتش اشغلا بوردينو ودوكتوروف اشغل غوركي وفي الشمال باكراسيون اشغل الجبل الاحمر وسيمينوفسكي وبورسوين اشغلا الثلاثة سهام ووضع نابليون اوجين مع جيش ايطاليا وبافاريا تجاه بوردينو . وناي مع الويرتانبورغيين تجاه الثلاثة سهام . وترتب على دافوث مع البولونيين

والسكسونيين وعلى مورات وفرسانه ان يحيطوا الروسيين من شمالهم . وبونياتوفسكي ان يتخلل احراش اوستيتسا حيث كان يقيم عدد من الروسيين

وفي ليلة المعركة اخذ الروسيون في الصلاة بحرارة مسيحية فعالة كانت تلهب كل القلوب وصرفوا الليل بالاعتراف وتناول القربان المقدس ولبسوا قمصاناً بيضاء وقبل الصباح قبل البركة اكثر من مائة الف رجل ورش عليهم الاساقفة والكهنة وهم راكعون الماء المقدس وطافوا بالعذراء العجائبية (فلديمير) على رؤوس الجيوش وتبعها اصوات دعائية حماسية ونشر نسر فوق راس كوتوزوف . وسمع ضجات عظيمة كادت تصل الى الغيوم من صياح الروسيين (هوراه هوراه) . ومن ثم ابتدأت المعركة باطلاق ١٢٠٠ فم مدفع وكان يسمع صوتها عن بعد ثلاثين فرسخ على الاربع جهات . وقامت مذابح الحرب المكروهة واشتبك نحو ثلثمائة الف رجل وبايديهم اشد الات الموت الاحمر واستولى الفرنسويون في الهجمة الاولى على بوردينو والسهام وقطع مورات وناي سيمينوفسكي وقسموا الجيش الروسي الى قسمين تقريباً وكان يظهر عند الساعة العاشرة قبل الظهر ان المعركة تكاد تنتهي بانتصار الفرنسويين

لكن القواد الروسيين تمكنوا من تجديد القتال بنشاط
فاسترجعوا الاخدود العظيم وهجم القوزاقي بلاتوف بفرسانهِ
القوزاق فاجتاز الى اواخر الجيش الايطالي وحدثت معركة
شديدة جداً عند الثلاثة سهام ورأى امبراطور الفرنسويين
الى ذلك فاسند قواتهِ واجتهد في ارجاع النصر الذي كان
يكفلهُ لنفسهِ لانهُ يعلم ان الروسيين عند اول وهلة يلوح لهم
التاخر فيها يتركون مواقعهم ويرجعون متكلين على الطبيعة
في قتالهِ وكان كل ساعة يفتح صفٌّ جديد من المدافع فوهاتهِ
ويرسل الهلاك الاحمر الى الصفوف المشتبكة وصعد الفرنسويون
على الحواجز واخذت امواج القتال في ان تضطرب من
الاخدود العظيم ومائة الف رجل يتقاتلون وراء تلك الحواجز
ودخان البارود الكثيف يغيظهم وكان نار السلاح اشبه
بوميض برقٍ يلوح من خلال غيم كثيف اسود يتبعهُ رعود
قاصفة تبلي الاذان بالصم وفي وسط ظلامهِ الحالك كان
الجندي والفارس وجنود المدافع يهجمون ويتضاربون ولما
مالت الشمس الى الغروب تقهقرت الجيوش الروسية وهي
تدافع بثبات عجيب عن كل متر كانت تتركهُ للعدو وابى
نابليون ان يخاطر بجيوشهِ ويتبع كوتوزوف بل اكتفى باطلاق

المدافع عليهم . وكان عدد الذين قتلوا من جيوشه في هذه المعركة نحو ثلاثين الفا و٤٩ جنرالاً و٣٧ قائداً (اميرلاي) منهم الجنرال راب والكونت اوغسطوس شفيق كولانكور والجنرال مونتيرون . ولم تكن خسارة الروسيين اقل من ذلك غير ان النقص الواقع بهم كان قابلاً للتعويض بخلاف خسارة نابليون فانهُ قضي على جيشهِ العظيم ان لا يعود ينتصر بفائدة وقد كتب المحرر تولستواي هذه الجملة . قد جرح الحيوان جرحاً مميتاً . وقال براندت البولوني . ان نابليون فاز ولكن باي ثمن يا ترى . وكان يظهر الحاجز العظيم محاطاً بمشهد من اشد المخاوف التي يقدر الانسان ان يحلم بها لان الحفر والسهول كلها اختفت تحت اكمة من الموتى بعلوٍ متوسط اي بعلو ستة الى ثمانية رجال بعضهم فوق بعض

وتاخر كوتوزوف بنظام وترتيب وكان اسكندر يعلم انهم ثبتوا بشجاعة لكن لكي يحمي موسكو انسحب الى هناك وجمع مجلس حرب في فيلي على احدى التلال المطلة على موسكو وكان منظر تلك المدينة المبهج المتصلة الى اخر التلة الواقفين عليها يوثر تاثيراً فائقاً في اولئك القواد الروسيين وتباحثوا في المسألة التي دعبوا لاجلها وهي هل يضحوا الجيوش الروسية حتى

اخرهم لاجل خلاص موسكو. فقال باركلي لما كان المقصد
الوحيد سلام روسيا واوربا فموسكو ليست الاَّ مدينة نظير
غيرها. وقال اخرون مجيد هو الهلاك تحت اسوار موسكو لكن
ليس المقصد الان بالمجد. وقد قال البرنس اوجين دي
ورتمبورغ. ان كثيرين من القواد الروسيين كانوا يفتكرون
ان الشرف يلزمهم لاتمام كل حركات الرجوع وانهُ كما ان القبر
اخر السفر الارضي الذي يسير اليهِ الانسان كذلك موسكو
تكون قبر الحرب الروسية ومن بعدها يبتدي عالم جديد فقرر
منيكس وارمولوف واوسترمان الدفاع بالمعركة الاخيرة عند
موسكو لكن كوتوزوف القائد العام سمع آراء الجميع دون ان
يظهر غايتهُ غير انهُ قال كلمة فقط وهي. هنا هو راسي. سواء
كان حسناً ام عاطلاً. وامر بالانسحاب الى جهة المدينة متكلاً
على نفسهِ ولم يرد ان يدخل اليها بل مرَّ باكيًا عليها وهناك
تخابر القواد في اي طريق يسلكون فاشار باركلي ان يسلكوا في
طريق فلاديمير ليتمكنوا من حماية بطرسبرج فلم يرضَ
كوتوزوف وفضل ان يسير في طريق ريازان ليقبل على
اواسط معسكر نابليون من جهة اليمين ويضم اليهِ قوات
الجنوب وبذلك يقدر ان يسد على الفرنسويين اخصب

اقاليم المملكة . وقد اثبتت الحوادث اخيرًا ان الاصابة براي
كوتوزوف . وقد حكم اسكندر على قطيعاته بتقديم الجنود .
فعلى حكومات موسكو وتفروبار وسلافل وفلاديمير وريازان
وتولا وكالوغا وسمولنسك تقديم ١٢٢٠٠٠ رجل وعلى بطرسبرج
ونوفغورود ٢٥٠٠٠ وكان يخرج في كل شهر من معمل تولا
٧٠٠٠ بندقية من النوع الجديد . وكان اسقف روسيا الكبير
وكل الاكليروس ينادون في روسيا بحمل السلاح ضد جليات
الوقح الفرنسوي حيث وجب على مقلاع روسيا ان يسحقهُ
وسمى القيصر على موسكو حاكمًا جديدًا وهو روستوبتشين
احد المهاجرين الفرنسويين اعداء نابليون وكان يتكلم بلهجة
الفلاح وقد قال عند ذلك اني اعرف كيف اضع التراب في
العيون وقد حكى عن هذا الرجل كثير من الكتبة لاعتباره
من مصاف العلماء والسياسيين الاذكياء فرسائلهُ مع سيمون
فورونزوف واعلاناتهُ سنة ١٨١٢ وكتبهُ التي نشرها سنة ١٨٢٣
وكتابهُ الذي اذاعهُ في نفس السنة وعنوانهُ (الحقيقة في احراق
موسكو) تعد جميعها من اشهر ما يكون في علم التاريخ . وكتب
الى القيصر يقول . عملت كل شيء لاكتسب مقاصد الكل
الحسنة وقد قدرت ان احصل على امانة رعيتكم الخاضعة

والامينة . وكان يقول ايضاً . عند وصول الاخبار الرديئة الى الشعب كنت اجتهد لان اجعلهم يشككون في صحتها وقبل ان يحققون صحتها يحدث حادث اخر فيشغلهم عنها . انتهى . وكان يعين قوماً خصوصيين لنشر الاخبار الكاذبة ليسكن من قلق الاهالي وكان يحسد العالم غالينكا مع ان ذاك كان يندهش منهُ ويثني عليهِ ويساويهِ بالافكار والاعمال بنابليون وهو يهيج بجريدة المساجه الروسية غضب الاهالي الى الحرب الوطنية . وعندما جاء القيصر موسكو عين روستوبتشين كيبيتكاس للنفي الى سيبيريا كل الذين يتجاسرون بان يعرضوا للامبراطور اضطرابهم او قلقهم . وقبل الاهالي بحماسة قراءة المنشور الامبراطوري وكان يظهر عليهم عند قراءتهِ بعض اشارات غضب ورضى بوقت واحد وعندما وصلوا الى قراءة هذه الجملة . ان العدو يتقدم متملقاً والسلاح بيدهِ كان يرى منهم احتداماً واحتقاراً فيضربون على جبهاتهم بايديهم ويفركون اكفهم على بعضها ويصرون باسنانهم . وبعد ان بارح اسكندر موسكو فوض بالسلطة المطلقة الى روستوبتشين وقد اعتاد على نشر الاخبار الكاذبة فكان ينشر في اليوم مثلاً خبر انتصار اوسترمان وفي الغد خبر انتصار وتجانسن العظيم ومنشوراتهُ

هذه كان لها عظيم تساط على الشعب الا القليل منهم الذين عرفوا كذب اخباره وصاروا لا يصدقونها وهو يقول لهم · لا تخافوا شيئًا حدثت زوبعة وستقشعها والقمح سيطحن فيصير دقيقًا ان نابليون يزعم انهُ جاء لخيرنا مع انهُ لا يفتكر الا بسلخنا وسوف يقبض كل واحد من رقبتهِ ويقودهُ للموت فكل واحد منكم او من الغرباء بينكم تسمعونهُ يمدحهُ او يذكر اسمهُ بدون اهانة اقبضوا عليهِ ولو كان من اعظم الشرفاء وسلموهُ الى البوليس وانا اعرف كيف اقاص المذنب · انتهى · وقال لا تدعوا المختلس يدخل موسكو فلنمشي ونكون مائة الف شجاع ونصحب معنا ايقونة والدة الاله ومائة وخمسين مدفعًا وننهي العمل كلنا معًا · انتهى · وعند وصول الفرنسويين الى بوردينو اعلن ما ياتي · انتم اخوة الوطن اننا عديدون ومتهيئون لان نضحي حياتنا لاجل سلامهِ ولكي نمنع اللص من الدخول الى موسكو يلزمكم مساعدتي موسكو هي امنا وطالما سقتنا من لبانها واغنتنا من ميراثها فباسم والدة الاله ادعوكم للمحاماة عن هياكل الرب وعن موسكو وعن روسيا تسلحوا بكل ما تقدرون عليهِ مشاة وفرسانًا واحملوا خبزًا لثلاثة ايام فقط واذهبوا مع الصليب تسبقكم الرايات التي تاخذونها من الكنائس اجتمعوا حالاً

على الجبال الثلاثة واكون معكم وسيحى الكل سوية فمجداً وراحة في السماء للذين يذهبون للجهاد وسلاماً للذين يموتون في خدمة الرب وقصاصاً في الدينونة وعذاباً مؤبداً للراجعين والمتقاعدين . انتهى

وجعل يفرغ المجالس وخزينات الكنائس والحكومة ويبعث بها الى فلاديمير ولما جاء الجيش الفرنسوي موسكو ترك بدوره العاصمة بعد ان قطع بالسيف فبريتشا كهين الفرنسوي حيث اتهمهُ بانهُ يعلن بين الشعب مقالات نابليون . وفتح الحبوس على المسجونين وفرق البندقيات عليهم وعلى الاهالي وفوض الى فوروناكو بحرق مخازن الخمر والعرقي وحرق القوارب التي مليئت من السبيرتو لتحترق المدينة منها وحسب اقرارهُ في كتابهِ (ان هذه حادثة هائلة هيئها بنفسهِ ولكنهُ كان بعيداً عن ان يجريها) فازدحمت المدينة بكثير من ادنياء الناس من كل جنس ومن قدر على ترك المدينة رحل حزيناً ما يوساً

وكان الجيش الفرنسوي يؤمل انهُ يجد في موسكو راحة ولم يخطر لهُ قط انها تكون الضريح المهيء لاتمام مصائبهِ ولوجاعهِ ودفن حياتهِ فيها . ففي ١٤ ايلول (سبتمبر) عند الظهر وقف نابليون على تل قباب موسكو واوقف فرسهُ وقال هوذا موسكو

قاعدة امبراطورية روسيا المشهورة |وراها الجنود وسروا جدًا املاً بالراحة وضجوا قائلين موسكو موسكو واخذت هذه الكلمات تنتشر من صف الى صف حتى بلغت الجيش جميعهُ فاسرع ليراها. ودنوا من المدينة ودهشوا جدًا اذ لم يلاقوا غير السكون وتعجب نابليون من اخلاء القاعدة وتركها وسمع ان اولئك الاشرار الباقين فيها مصممين على احراقها فلم يصدق ذلك ولا خطر له ان امة ترضى بتكبد خسارة عظيمة كهذه ولا يقام بعمل مثل ذلك العمل الا بامر حكومة مستبدة وفضلاً عن ذلك هلك من اهلها نحو من مائة الف نفس من الذين ساقهم الجنود بالبنادق ليخرجوا منها ويموتوا جوعًا وبردًا في الآجام ولم يدخل نابليون المدينة ليتخلص من ان يرى شوارعها الفارغة فاقام في بيت خارجها وعين حاكمًا عليها الجنرال مورتيه وقال له لا تسمح بالنهب فصن المدينة من كل عدو وصديق. وانتشر الجنود فيها يطلبون محلات للمبيت وزادًا يقتاتون به. وقد راوا كثيرًا من حلى بعض النساء لا تزال على موائد اللبس ومكاتيب اصحاب الاشغال وذهبهم على موائد الشغل اذ لم يتمكن اصحابها من استصحابها معهم عندما ارغموا على الخروج وكان نابليون يخاف كثيرًا من وقوع

مصائب جديدة تلقي بهِ في حفرة الهلاك لانهُ اصبح بعيداً عن باريس نحو ٢٥٠٠ ميل ولم يقدر ان يرقد في تلك الليلة وفي كل دقيقة يستحضر باعوانهِ ويسالهم هل حدث حادث جديد · وفي الصباح نقل اركان حربهِ الى قصر الكرملين وهو قصر امبراطوري روسيا القدماء · وصرف ذلك النهار في انزال الجيش في منازلهِ الجديدة وجعل الجنود يجولون في الازقة وينزلون في اعظم القصور وافخرها · واخذ عشرون الفاً من الرجال والنساء من ادنياء القوم يخرجون من خباياهم ويختلطون بالفرنسويين. وكان روستوبتشين قد اطلق سبيل عشرة الاف مسجون فاخذوا في ان يهيئوا اسباب احراق المدينة ليهلك الجيش الفرنسوي كلهُ . ووضعت مقادير وافرة من البارود تحت قصر الكرملين الذي نزل فيهِ نابليون واركان حربهِ وتحت محلات اخرى كان صار التصميم على ان تقيم فيها الجيوش ووضعت كلل محشوة قطعاً حديدية ونحوها من المواد التي تخرب الديار في خنادق وسراديب لئلا يتمكن الفرنسويون من اطفاء النار بعد حرقها وردمت العيون وقطعت اقنية المياه والات اطفاء النار نقلت. وجرت هذه الاستعدادات سراً ولم يرَها الفرنسويون الا انهم تيقنوا ان

اخلاءه ايدل على التصميم على احراقها وصرف ذاك النهار براحة
دون ان يظهر شيء من ذلك . وفي الليل اجتمعت غيوم كثيفة
فوق المدينة وهبت عواصف شديدة وكانت البيوت من
خشب وكان الصحو الطويل هيأها للاحتراق وتقرر في العقول
ان العناصر تساعد الروسيين

وفي ١٦ ايلول سنة ١٨١٢ عند نصف الليل دخل نابليون
فراشهُ بعدان انهكهُ التعب فسمع بغتة صراخاً قوياً في الشوارع
فهم منهُ . النار النار . وفي مكان يبعد قليلاً الى الشرق ارتفع عمود
كثيف مظلم من الدخان واخذت الكرات المنفجرة والبارود
المدفون في اهدام الابنية واضرام النيران واهلاك كل الذين
امسوا حول ذاك المكان . ودفعت عشرات من البيوت الى
الهواء وسقطت المدفوعات المحترقة في كل الجهات ثم ارتفع
عمود عظيم اخر فكان تزلزل يتبع تزلزلاً وانفجار المواد المحترقة
يجر انفجاراً والعواصف تزيد الويل والهلاك واللهيب يندفع
الى كل الجهات والسماء تمطر ناراً على الشوارع والمساكن
وفي ساعات قليلة امست المدينة كلها في لهيب مشتعل والجنود
الفرنسوية تطلق البنادق على الذين كانوا يضرمون النار
ويطعنونهم بحرابهم ويطرحونهم في اللهيب ومع ذلك كانوا ثابتين

عملهم كانهم شياطين جهنم . ونظر نابليون عند الصباح الى
اللهيب الذي غطى المدينة فاضطرب وقلق وقدر تاثيرات
ذلك الاستقبالية المهلكة واخذ يمشي في القاعة بسرعة ويكتب
اوامر مستعجلة ثم ينظر الى امتداد النار بقلق من النافذة . اما
القصر الذي كان فيهِ فكان محاطاً بالبساتين حتى تراءى لهُ
انهُ ما من خطر من بلوغ النار اليهِ على ان باروداً كثيراً كان
في سراديبهِ . واخذ نابليون ينظر الى النار ويقول ما هذا المنظر
المخيف كيف احرقوا هذه القصور الكثيرة ان المبالغات في
اخبار حرق تروادة لا تحسب بشيء عند وصف حرق موسكو
مهما عظمتها اوصاف الشعراء وحدة تصوراتهم . واشتدت النيران
في اليوم السابع عشر من الشهر المذكور والليل التابع لهُ وهي
تمتد بسرعة عجيبة حتى امست المدينة كانها اتون ليس فيهِ غير
امواج اللهيب وهم يجهرون في الشوارع هاربين من امام عدو
لا يقدرون ان يحملوا عليهِ . وكانت نساء تعيسات ترى
حاملات اولاداً على اكتافهن او ممسكات اياهم بايديهم محاولات
التخلص من النار وقد هلك كثيرون من اولئك النساء
والاولاد والشيوخ الذين لعدم اقتدارهم على الفرار امسوا ضحية
لها . وبعد برهة ليست بطويلة وصلت النار الى قصر الكرملين

الذي فيهِ نابليون ولم يرَ سبيلاً للنجاة فان ابوابهُ امست ملتهبة ولم يتمكن من وجود ممر صغير ايمر بهِ هو واعوانهُ الا بعد عناءٍ عظيم والمواد المحترقة تسقط حواليهم والدخان يعمي ابصارهم وحرارة النار تلسع اجسادهم وتضيق تنفسهم وساروا على هذه الحال الى ان وصلوا الى بحر من اللهيب رأوا ان لا سبيل الى اجتيازهِ وبعد التفتيش وجدوا طريقاً ضيقاً معوجاً قد انتشبت النار في محلات كثيرة منهُ بل قد احرقت محلات كثيرة من سقفهِ وكان سبيلاً لا يمر فيهِ الا من وقع في الياس . فساروا والمواد المحترقة تتساقط حواليهم والدخان والحرارة يعميان ابصارهم . وبعد ان قطعوا بعضها اضاع الديدبان الطريق ووقف محتاراً اجدا فقالوا جميعاً لقد هلكنا . وفيماهم على تلك الحال واذا بالماريشال دافوست ظهر لهم عن بعد فانهُ اخذ فرقة صغيرة من الجنود وخرج يفتش على الامبراطور فقابلهُ نابليون بشكر وساروا واذا بكمية من البارود المجموع امامهم في الطريق والمواد المحترقة تتساقط حولهم فالتزموا ان يمروا عليها ولم يظهر من نابليون شيءٌ يدل على الخوف . وفي برهة قصيرة خرجوا من اسوار المدينة وسار نابليون الى قلعة بتروفسكي ونظر الى موسكو وقال مصيبة عظيمة . ووصف ما رآهُ فيها بعد سنين

قال . رايت بحراً من النار ذا امواج نارية مزبدة وجواً من دخان كغيم كثيف وجبالاً من اللهيب الاحمر كانها امواج هائلة ترتفع الى البحر فكان منظراً ليس اعظم منهُ ولم يرَ انسان شيئاً مخيفاً يحاكيهِ . انتهى .

وتم احراق موسكو ولم يبقَ منها الا بعض الكنائس فقط وخمسة او ستة من البيوت وفي اثناء الحريق لم يبقَ من وسيلة لمنع السلب والنهب وقد زعم الروسيون ان المتحدين معهم من الالمان والفرنسويين المهاجرين كانوا اشد قساوة بكثير من الاعداء الحقيقيين ولذلك دعوهم بالجيش الخالي من الرحمة والشفقة . وقد قال كرامزن . انهُ احترق في موسكو احسن المصنوعات وعجائب التنعمات وآثار الادهار القديمة وانشاءات الامم ومدافن اقدم الاهالي واسرة الجيل الجديد ولم يبقَ من موسكو غير ذكر عظمتها الزائلة . وبعد احتراقها امسى الجيش الفرنسوي نازلاً في حقلٍ وهو يضرم نيراناً للطبخ والاستدفاء من اغرب نيران الدنيا فان حطبها كان بقايا افخر الاثاث واثمن الاخشاب . وكانت المنسوجات الكشميرية والافرية السيبيرية ولؤلؤ ايران والهند منثورة على الارض بدون حرص وهي اي هذه الاشياء محيطة بجنود هلكوا جوعاً وهم يا كلون لحوم الخيل

في صحون من الفضة وانية من ذهب والخبز مدقوقاً خشناً ومخبوزاً بالرماد

واقام نابليون نحو ٣٥ يوماً في موسكو وهلك من جيشهِ نحو ١٢ الف رجل والفرقة البافارية انقرضت تماماً ولم يكن لهم ما ياكلونهُ الا لحم الخيل والقليل من القمح الذي كانوا يدقونهُ بالحجارة ويعملونهُ خبزاً ويشوونهُ على نار القش. وقد انقطع امل نابليون من المسير على موسكو واضحى فريسة للقلق وشدة الاضطراب ولا سيما عند تقدم جيش الشتاء الى نحوهِ. فاجتهد لان يعقد مع القيصر شروط الصلح فلم يتوفق ولا اجابهُ بشيء هذا وجيوش القوزاق تكثر من التعديات دائماً على اطراف جيشهِ وقد خاب كل امل من راسهِ لانهُ كان يفكر في بداية نجاحهِ في هذه الحرب ان يسمي نفسهُ بملك بولونيا وان يعيد امارة سمولنسك وان يقسم روسيا الغربية وان يقضي بتحرير العبيد وان يثير تاتار الفولغا واصبح غير قادر على ان يحفظ نفسهُ وهو كمحبوس في موسكو. وكان كوتوزوف يتقوى بمعسكرهِ في تاروتينو ساداً عليهِ طريق الجنوب ومن محاربتهِ في ١٨ تشرين اول مع مورات سد طريق ريازان ومن جرى معركة مالويار وسلافية في ٢٣ و٢٤ تشرين الاول سد طريق كالوغا

ولم يبقَ من طريق حر الاسمولنسك الخربة وهذه ايضاً لم تسلم للغاية فان كثيراً من الفلاحين والقوزاق اشغلوها وجمع جيرائيم الفلاح من ضيعة بافلوفو نحو خمسة الاف وثمانمائة رجل ليحارب مدافعاً عن الوطن وعن هيكل العذراء المقدس ضد العدو الذي كانوا يتوهمون انهُ السبب في حرق الضياع وسلخ جلد كل سكانها وكان كثيرون من الفلاحين يسقطون على الرجال الحاملين العلف او الساعين الى جمع المأكولات فيقتلونهم بضرب الاخشاب او يشنقونهم ويغرقونهم . وقد قال ويلسون المورخ الانكليزي انهم دفنوا كثيراً منهم احياء . وفي مقاطعة بوروفسك وحدها قتل نحو ٢٥٠٠ جندي وكان روساء العصابات فيغنار وسلافين ودافيدوف وبانكادورف والبرنس كوراكين يوقعون في طريق سمولنسك على كل الارساليات الذاهبة الى تلك المدينة والبنت ناديجا دوروفا جعلت نفسها قدوة حربية لنساء روسيا فكن يشاركن الرجال في طرد العدو الاجرب من بلادهم

وكان عند تساقط الثلج المرة الاولى في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) قد اخرج نابليون من موسكو المستشفيات والارساليات الاولى وفي ١٤ الى ١٩ منهُ خرج من موسكو

بتسعين الف مقاتل يسحبون خلفهم ٦٠٠ مدفعاً و ٢٠٠٠ صندوق
ونحو خمسين الفاً من مرضى وخدمة ونساء وسكان المدينة
الذين خشوا سوء معاملة القوزاق . ولم تكن طليعة الجيش قادرة
لان تصون قلبهُ ولا موخرتهُ وقد جمع الروسيون جيوشاً كثيرة
ليمنعوهُ عن الرجوع . وكثيرون من القوزاق كانوا يجولون
راكبين خيولاً سريعة . وسارت الطليعة يومين بدون معارضة
ووراءها تلك الجيوش الجرارة وفي ٢٢ من الشهر المذكور كان
نابليون نائماً في بوروفسك التي تبعد نحو ستين ميلاً عن موسكو
وكان اوجين ومعهُ ١٨ الفاً من الفرنسويين والايطاليان في
مكان يبعد ١٢ ميلاً عن اركان الحرب فبعد نصف الليل
باربع ساعات كان الجنود مستغرقين بالنوم ليرتاحوا من تعب
المسير فهجم عليهم نحو ٥٠ الف روسي صارخين باعلى اصواتهم
قاتلين كل من كانوا يصادفونهُ وبعد معركة شديدة رجع
الروسيون عن ساحة القتال . وحينئذٍ اخبر امبراطور
الفرنسويين ان جيشاً جراراً من الروسيين نازلاً في اماكن
لايمكنهم المرور منها فبعث بسيار ليكشف له الخبر فعاد واخبرهُ
ان مائة وثلثين الفاً او اكثر من الروسيين في مواقف حصينة
لايمكن الهجوم عليها . وفي الساعة الربعة من النهار دخل

جيوش القوزاق بين الطليعة والجيش فركب نابليون فرسهُ وسار مستكشفاً ووصل الى سهل متسع مرَّ بهِ فرسان من القوزاق كانهم ذئاب خاطفة يصرخون صراخ بلادهم المخيف (هوراه هوراه) فقتلوا جماعة من قومهِ وجرحوا قائد الطليعة. ثم عقد مجلساً حربياً وتقرر انهُ لا سبيل الى التقدم الى كالوغا حيث ان الروسيين كثيرون في مراكز حصينة ورأى الفرنسويين ان الحمل عليهم يودي الى الهلاك المبين. وصمم نابليون ان يرجع القهقرى بكدر لا مزيد عليهِ ليتمسك بالطريق التي خرب الروسيون ما يجاورها لما سار فيها حاملاً على موسكو وكان ملزوماً بان يسير سبعمائة وخمسين ميلاً بدون ان يجد مكاناً ليستريح فيهِ الا في موقعين وهما سمولنسك ومنسك

وفي ٢٦ تشرين الاول (اوكتوبر) شرع الفرنسويون في التقهقر وادار وا وجوههم عن ذلك العدو الذي لم يلاقوه الا ليفتكوا بهِ بكدر وصمت شاخصين الى الارض. ورأى الروسيون اعداءهم يتقهقرون فاخذوا في مطاردتهم. واراد نابليون ان يدفع ثقل الويل والخراب النهائي الذي كان يتهددهُ فكتب الى كوتوزوف بتوقيع برتيه لينظم القتال ويخلص الامبراطورية الروسية من شرور لا تنفك عن حالة

الحرب لان الحرب كانت مضرة جداً بروسيا ومغيظة له. فاجاب بفحة اني لا اقدر ان امنع الروسيين من اظهار حبهم لوطنهم

ولم ينفك الجيش الفرنسوي عن المسير متقهقراً في طريق سمولنسك وقد فتح هذه الطريق بواسطة معركة فياسما في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) وفي ٥ منه اخذت غيوم كثيفة في الاجتماع في الجو واشتدت الرياح التي كانت تهب وتبلي الجيش بالبرد المضني وعند نصف الليل اخذ الثلج يسقط بكثرة ويطفئ نيران الجيش ويغطي الرجال الذين كانوا بدون منازل بثوبه الابيض. واصبح فجر ذاك اليوم مخيفاً فان الفرنسويين اضحوا لا يرون الشمس ولا يعرفون الجهات. وكان الثلج يعمي الابصار فتدفعهُ الرياح على اوجه الجنود وتجعلهُ يخرق ثيابهم الرقيقة الممزقة. وباتوا غير قادرين على تحريك اعضاء اجسادهم فعجزوا عن ان يسيروا بنظام في صفوفهم. وكان ذاك اليوم يوماً مهولاً. وكان كثيرون يعثرون بالحجارة ويسقطون في حفر مستترة بالثلج دون ان يقدروا على النهوض والثلوج تدفنهم بسرعة فيموتون تحتها ولم يرَ فوق رؤوسهم ولا حولهم الا الرياح العاصفة والانواء والخراب وبعض الصنوبر فهلك الوف من الرجال والخيل في ذاك اليوم وبنادقهم تسقط من ايديهم

من شدة البرد وايدي كثيرين منهم جمدت على بنادقهم . اما الغربان فكانت تخرج من الغابات وتخلط اصواتها باصوات العناصر وهي تمزق بمخالبها الدموية جثث المطروحين قبل ان يفارقوا هذه الحياة وفوق كل هذا الويل والهوان كان اقوام القوزاق يتعدون على الفرنسويين بهجمات متتابعة وهم يسلبون الجرحى والذين في حالة النزاع ويقطعونهم بسيوفهم وحرابهم ويضحكون بشماتة . ثم خيم ظلام الليل وكانت ليلة هائلة مخيفة فان العواصف لا تزال تهب والثلج يسقط والاراضي مغطاة بهِ . وكان اولئك الجنود المتعبون المنكودو الحظ قد بلغوا النهاية من التجلد والصبر على الضيقات فالقوا بانفسهم في الثلج ليناموا وكان الوف منهم لم يقدروا على النهوض فدفنوا في مراقدهم . فيئنون ويموتون وينتقلون الى عالم الارواح . وكانت الخيل تهلك بسرعة كالرجال . والجنود يسلخون جلودها ويلبسونها لتقيهم من البرد وذبحت خيل كثيرة لتخليص بعض الجنود بشرب دمائها الحارة . وشكر الروسيون عمل ذلك الليل وتمنوا ان تطول تلك الاحوال . وفي النهاية اقبل صباح بارد فكشف نورهُ عن منظر تتفتت منهُ الاكباد وتقشعر لهُ الابدان . وكان الجنرال ناي يفعل افعال الابطال ويحتمل

اوجاعًا لامثيل لها وضيقات يقصر القلم عن وصفها ليصون هذا الجيش المتقهقر

ورجع ذلك الجيش الى المسير وهو في ويل يعجز القلم عن وصفهِ . وكانت تترك المدافع والبنادق والعجلات كل خطوة . والقوزاق القساة يتاثرون الجيش ويعذبون التعابى والذين في النزاع . واحتمل نابليون ما احتمل بصمت وسكون كمن لا يعترض على قضاء الله ولكن احزانهُ كانت عظيمة جدًّا وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) بلغ سمولنسك مؤملًا ان يجد مأوًى وثيابًا وزادًا ولكنهُ لم يجد غير المطر والجوع وفي الليل مات كثير منهم بعذاب البرد في الشوارع وفي الصباح امست مغطاة بجثث الذين دنقوا . وأُلف عدة قصص وروايات تتعلق بمصائب هذا الجيش والتقهقر الفرنسوي منها قصص سيكير ولابوم وبراندة وفيزانساك ودنيه وشامبري وفن ورينيه بورجوا ودومرغ ومادام فيزيل مشخصة ملعب موسكو الفرنسوية ومادام دي شوازيل كوفيه . وروايات ويلسون الانكليزي مما لا يسعنا المقام ان نعددها هنا

وصرف نابليون في سمولنسك خمسة ايام بجمع جنودهُ المتفرقة . اما اوجين الذي كان يحاول التقهقر في طريق فيتبسك

فقد تكبد خسائر عظيمة جداً من القتلى والجرحى والتزم بترك ذخائره ومدافعه وكان القوزاق يتعدون على اواخر جيشي دافوست وناي لانهم كانوا لايجاهرون بالحمل عليهما فيهدمون الجسور ويحرقون القرى ويستترون في الاجام ووراء التلال وفي الاودية ليحملوا على موخرة الفرنسويين وجناحيهم . وفي ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) رجع الفرنسويون الى التقهقر واخذوا يخرجون من مدينة سمولنسك تحت الظلام والبرد الشديد ولم يبقَ من الجيش الأ نحوار بعين الفاً قادرين على القتال فقسم الى اربعة اقسام تحت قيادة مورات واوجين ودافوست وناي وسار نابليون في الفرقة الاولى تحت قيادة مورات . وتعين على الماريشال ناي ان يبقى في المدينة الى ان يتم اخلاؤُها وامر نابليون ان يخرج المقصرون امامهُ وان تعطل المدافع التي لا يقدر على جرها وتحرق الذخائر التي يعجز عن نقلها . والتزم اعداء الروسيين ان يعانوا مشقات عظيمة بجر المدافع والعجلات على تلال غطتها الثلوج وكثيراً ما كانت الرجال والخيل تتدحرج من الاماكن العالية الى الاودية في الظلام ومدافع الروس تطلق على صفوفهم اما كوتوزوف فكان يسير محاذياً للعدو في تسعين الفاً من الجنود اللابسة الملابس الجيدة والمسلحة باجود سلاح وفي

برهة قصيرة سبقهم واقام في مركز حصين قاطعًا الطريق واقام مدافع في التلال المشرفة يحاول منعهم عن المسير. وكان نابليون يسير في وسط الرصاص والحديد المهلك الذي كان يطلق من الروسيين عليهم وجنوده تقتل حواليهِ. وبعد ان مرَّت الفرقة الاولى من الجيش بالقوة حاول الروسيون ان يصدوا اوجين فانهُ كان بعيدًا عن الجيش بضعة اميال فتحصنوا بقوة عظيمة في الطريق امامهُ وطلبوا اليهِ ان يسلم فانتشب قتال شديد جدًّا مخيف واجتمعت طليعة اوجين كالبنيان المرصوص وحملوا على صفوف الاعداء فانفتحت لهم ومكنتهم من ان يتقدموا الى وسطهم حال كونهم كانوا ضعفاء يكادون يعجزون عن الدفاع عن انفسهم. ولما عرف الروسيون بقصودهم حملتهم الشفقة او حبهم للشجعان الباسلين على ان يتوسلوا اليهم ان يسلموا لانهم امسوا في وسطهم وصفوفهم سادَّة جميع المعابر. ولم يرتضوا بان يهلكوا شجعانًا كاولئك الشجعان. فكابر الفرنسويون ولم يجيبوهم الاَّ باسرع الخطوات والصمت المخيف. وافواه البنادق وحينئذٍ صبَّ الروسيون كل نيرانهم عليهم ففي لحظة بات نصفهم مجندلًا بين قتيل وجريح. فانضم الذين بقوا احياء وانشأُوا مربعًا اصغر بدون ان يميل احدهم عن صفهِ او ان يرجع الى الوراء او يميل

ذات اليمين او ذات اليسار واستمروا سائرين في وسط تلك
النيران المهلكة الى ان قتلوا جميعاً خلا القليل · ولم يبقَ مع
اوجين غير اربعة الاف رجل وانجدهُ الليل البارد الطويل
المظلم · فترك الفرنسويون نيرانهم مشبوبة ليخدعوا الروسيين
وساروا عند نصف الليل بدون ان يسمع صوت من جهتهم
وكادوا يهلكون جميعاً وهم سائرون والمخاطر تحدق بهم فان
الغيم انكشف بغتة عن القمر فراهم احد الحراس الروسيين
فناداهم فقالوا لقد هلكنا عن اخرنا وعند ذلك دنا احد البولونيين
من الحارس وكلمهُ بلغتهِ قائلاً بسكينة اصمت فاننا حاملون
سرًّا لنكبس العدو فانخدع وسكت · وهكذا نجا اوجين وفي
الصباح انضم الى نابليون واشتد قلق نابليون بعد ذلك خوفاً
على ناي ودافوست وعول ان يرجع ويفتح طريقاً بالقتال ليرجع مع
الى براري روسيا ويخلص قومهُ او يهلك معهم · فلم يقدر
دافوست وناي ان ينسيا اهتمام امبراطورهما الذي لم يبالِ بالجوع
ولا بزمهرير الشتاء بل عاد وليس معهُ الاَّ تسعة الاف جندي
الى البراري المغطاة بالثلوج وقد اضعفهم الجوع والمشقات وامست
اسلحتهم ناقصة كثيرًا وصمم على الحمل بهم على ثمانين الفًا غير
مبالٍ بمدافعهم وصفوفهم وحواجزهم مقابلاً طعناتهم وضربات

سيوفهم وكللهم ورصاصهم مؤملاً بنفع الجيشين اللذين كانا مع القائدين المذكورين

وفي الظلام حمل الفرنسويون حملتين استعداداً الحملات الصباح العظيمة فتعجب الروسيون من هذه الشجاعة وفتحوا طريقاً لهم فتقدم نابليون بستة الاف جندي ومورتيه يصون ميمنتهُ وكانت مدافع الروس تفتح خلايا عميقة في صفوف نابليون ولكن لم يقدروا ان يوقفوهم عن التقدم لانهم لم يفارقوا متاريسهم بل اكتفوا باطلاق المدافع من الشرق والغرب والجنوب ولم يبقَ مفتوحاً غير الشمال · واخذ صف منهم يسير الى محل مرتفع ليكمل الاحاطة بالفرنسويين ويسد السبل دونهم واستمر القتال الى ما بعد الظهر بساعتين وحينئذٍ وصلت جنود القائد دافوست لان هجمات نابليون اشغلت الروسيين فتمكن من خرق صفوفهم واجتمع بجيش نابليون والكرات تفرقهم ولم يقدر بعضهم ان يهني البعض الاخر في ميادين انهار الدم والهلاك الاحمر قبل المساء . وسال نابليون عن ناي فقيل لهُ انهُ لم يرد خبر منهُ وربما كان قد هلك · فتكدر ولم يطق ان يترك قائدهُ الباسل الاَّ بالرغم عليهِ فدعا مورتيه اليهِ وقال لهُ وقد شد على يده لا تجعل دقيقة واحدة تذهب سدى فالروسيون ينصبون علينا

من كل الجهات وربما بلغ كوتوزوف القائد الروسي بورنيستث قبلنا وسد علينا طرق الرجوع فلا بد لي ان اذهب بسرعة مع الحرس القديم ولابد لك انت ودافوست من ان تحاولا منعهُ عن التقدم في الليل ثم ينبغي ان تتقدما وتنضما اليَّ . وسار نابليون ماشيًا متمهلاً تعبًا عظيماً وفي يده عصاهُ وهو يتردد كانهُ يروم ان يعود ثانيًا ليخلص الماريشال ناي ويظهر من الحزن ما لا مزيد عليهِ . وسمع البعض نابليون يقول في الليل لقد انفطر قلبي بما اراهُ من ويلات جيشي المسكين ولا اقدر ان افرج ضيقاتهِ ما لم اقم في احد المحلات ولكن كيف اقدر ان اقف بدون ذخائر وزاد ومدافع انني ضعيف فلا بد من ان اصل الى منسك بالسرعة الممكنة وعند ذلك دخل ضابط واخبرهُ ان الروسيين استولوا على منسك وهي المكان الذي علق املهُ بنوال الفرج فيهِ واخبرهُ ان كل مخازنها امست في ايديهم . فكاد يغيب عن الصواب وقال لم يبقَ علينا الا ان نفتح طريقنا بالحراب . وكان يسير والروسيون تحيط بهِ وتدفع عليهِ بالكرات وفرسان القوزاق يحيطون بكل الصفوف وهم كالبدو يغتنمون ما يتاخر من عجلات الزاد وغير ذلك

وفي برهة قصيرة عبر الجيش الضعيف نهر الدنيبر ودخل

مدينة اورشا ووجدوا فيها بيوتاً ونارًا وزادًا . وهذه هي المرة الاولى التي وجد فيها الفرنسويون بيوتاً وراحة وقوتاً كافياً منذ جاءوا موسكو . ودخل نابليون اورشا في ستة الاف من الحرس الامبراطوري وهم بقية ٣٥ الفاً واوجين بالف وثمانمائة جندي بقية ٤٨ الفاً ودافوست باربعة الاف بقية سبعين الفاً . وما ينشأ عن اختلاف عدد الجيوش فهو ناشيء عن هلاك الوف يومياً . وكان دافوست البطل الصنديد قد خسر كل شيء وانهكهُ النعاس والجوع وامست ثيابهُ خرقاً بالية ولم يبقَ لهُ قميص واخذ رغيفاً من الخبز وبلعهُ كالاسد المفترس الجائع . وقال ان الرجال الذين اجسامهم ليست من حديد لايقدرون ان يحتملوا المشقات والضيقات التي احتملناها فان ذلك مما تعجز الطبيعة عنهُ . واما نابليون فكان لا يزال يسأل عن ناي دون ان يرد اليهِ خبر عنهُ حتى قطع الامل من نجاتهِ وهو مع جيوشهِ على الدوام ينظرون الى عبر النهر علهُ يرى في الافق طلائع جيشهِ ويصغون ليسمعوا اصوات محاربتهِ فلم يسمعوا غير هزيز الرياح الشتوية الباردة وجيوش من القوزاق مزدحمة الاقدام في عبر النهر تحاول الاستيلاء على الجسر وهمُ الفرنسويون على هدم الجسر ليمنعوا تقدم الروسيين غير ان كثيرين منهم

امتنعوا قائلين ان ذلك يقطع امل رفاقنا من الخلاص . وفي
الظلام كان نابليون يتناول الطعام البسيط هو والجنرال
لوففر فسمع صوت مرور يقول ان المارشال ناي في اجان . ثم
دخل ضابط بولوني وقال ان المارشال ناي بعيد عنا بضعة
فراسخ وقد طلب نجدة لان كثيرًا من القوزاق ينقضون عليهِ .
فوثب نابليون واقفًا وامسك المخبر من ذراعهِ وقال لهُ هل هذا
صحيح هل تأكدتهُ . ثم قال بسرور عندي مائتا مليون فرنك
ذهبًا في سراديب القصر في باريس وكنت مستعدًا ان ابذلها
لتخليص قائدي . ومع ان الفرنسويين كانوا متعبين جدًا
ويتشوقون الى الراحة كثيرًا اجاب خمسة الاف منهم دعوة
اوجين وتركوا الراحة والنيران التي كانوا يستدفئون بها وساروا
ليلاقوا الموت ومشوا في طريق مجهولة تغطيها الثلوج مسافة
ستة اميال وكثيرًا ما كانوا يقفون ليسمعوا صوتًا يدل على ناي
وجنودهِ فلم يسمعوا وباتوا في وسط سكون نصف الليل في
ظلام مدلهم فامر اوجين باطلاق بعض المدافع فسمعوا جواب
البنادق عن بعد فانهُ لم يكن معهُ مدافع يجيبهم فاخذ الجيشان
في المسير ليلتقيا . وبعد ان اجتمعا رجعا الى اورشا ولم يكن ما
لاقاهُ ناي وجيشهُ اقل خطرًا مما لاقاهُ رفاقهُ القواد ونابليون

وقد فلَّ جيشهُ كثيرًا من فعل البرد ومطاردة الروسيين
بعد ان طاف جاهرًا في البراري ينسحب في الطرقات الخفية
مستترًا بويلات الليل مما يطول شرحهُ

وبالاختصار ان حالة الجيش الفرنسوي العظيم كانت
على ما تقدم وقد دخل بتلك العظمة الحدود الروسية وسار في
براريها مغطيًا كثيرًا من اراضيها ورجعت بقاياهُ القليلة
متقطعة منهزمة مطرودة ولم يقدر نابليون ان يجمع منهُ ما يقدر
على حمايتهِ بعد ان كان اكثر من نصف مليون مقاتل وقد
كتب في ذلك كثيرون من المورخين الفرنسويين وغيرهم
واكثرهم كان يصف نابليون بالحكمة والدراية والفوز في هذه
المواقع ويعدل بان ما خسرتهُ روسيا من احراق المدن والقرى
خسارة عظيمة تضاعف خسارة نابليون والصحيح ان ما خسرتهُ
روسيا تمكنت من تعويضهِ بزمن غير طويل فلو انها دافعت
نابليون مدافعة قتالة وهو بذلك الجيش العظيم لاقتضى لها ان
تبذل اموالاً غزيرة لا يعرف مقدارها فضلاً عن انهُ يلزمها ان
تهلك مئات الوفٍ من رجالها الذين لا يمكن ان تعتاض
عنهم بغيرهم ولو بازمان.

وفي الاخير جمع كوتوزوف معنى الفخر بكل انتصاراتهِ

التي نالها بدون محاربة تذكر. وجيء له بعلم فرنسوي فسأل
قائلاً. ماذا يوجد هنا. ايتذكر العدو اوسترليتس. اني اغسل
يدي من نتايجها ويداي بريئتان من اوسترليتس. فصاح اذ
ذاك احد الضباط (هوراه) فليحيَ مخلص روسيا فقال وهو
مجتمع بقوادهِ اسمعوا لي يا اصدقائي الشرف في هذا النصر
لا يعود لي بل لكل جندي روسي. ثم رمى قبعتهُ بالهواء وصاح
(هوراه هوراه) للجندي الروسي الشجاع. واتبع كلامهُ بان قال
لضباطهِ. اين يرقد اليوم هذا الكلب نعم ان الكلب شجاع وقد
ارسل لي كريلوف قصة جميلة فاصغوا واسمعوها. (دخل ذئب
ذات يوم مرقد الكلاب فاجتمعوا عليهِ فاراد الخروج فلم يتيسر
لهُ لانهُ عندما دخل كان مطمئناً فتسهل لهُ الدخول ولكن
عند الخروج اختلفت عليهِ الحال لان الكلاب حشروهُ في
زاوية فنفش وبرهُ وقال لهم ماذا جد يا اصحابي اني بنوع بسيط
اتيت لارى ما انتم تصنعون وها انا ذاهب. لكنما الراعي وصل
اذ ذاك وقال لهُ كلاً يا صديقي لا يمكن ان تغشنا لانك خبيث
قديم وذو شعر اشهب) وحينئذٍ رفع كوتوزوف قبعتهُ واظهر
شعرهُ الابيض وقال مداوماً حديثهُ. كلاً كلاً انك لا تذهب
من هنا كما اتيت لقد وضعت شجعاني على اثرك

ورغماً على كوتوزوف وعلى ويجانستين وتشيتشاكوف
وعلى قطع الثلج المتساقط وخراب الجسور قطع الجيش الفرنسوي
بيريزينا بقرب ستودبانكا في ٢٦ و٢٩ تشرين الثاني
ولكن بثمن عرفهُ العالم قاطبة وثلث الجيش كان من البولونيين
فداوموا مسيرهم في طريق دموركوفي . وترك نابليون الجيش
يسرع الى باريس واعهد بالقيادة الى مورات ووقف قليلاً
في فيلنا عاصمة ليطانيا واندفع اولئك الجائعون على البيوت
طلباً للراحة والطعام . ومن بعد ايام رنَّ صوت المدفع الروسي بغتة
من الثلاث جهات فتركها الفرنسويون وهربوا والماريشال
ناي يحمي موخرتهم باربعة الاف فرنسوي ولما كان هذا
القائد من الابطال نذكرهنا ما حكاهُ عنهُ مورخو حياة نابليون
في تلك الاثناء انهُ كان يدافع عن الموخرة بعد الظهر بنحوه ساعات
فيختار موقفاً حسناً ويصادم ليمنع تقدم الروسيين . ثم كان
يعطي جنودهُ من الماكل ما يتيسر ويمكنهم من راحة قليلة وبعد
الظهر بعشر ساعات اي قبل نصف الليل بساعتين كان
يعود الى التقهقر مستتراً بظلام الليل وقبل الظهر بخمس ساعات
يعود الى اختيار موقف موافق ويرتاح فيهِ الى ما قبل الظهر
بساعتين وكان العدو يظهر لهُ في تلك الساعة غالباً . وكان

يرجع بتانٍ ويتيقظ وهو يحاربهم مدافعاً النهار بطولهِ قاطعاً من الطريق ما تيسر الى الساعة الخامسة بعد الظهر . وصرف اكثر من شهر وهو ينازل العدو الذي كان يزيدهُ بالعدد ويقاوم ثلوجاً تعمي البصر وتبلي بدنق ورياحاً عاصفة مهلكة كون كلل ورصاص الروسيين تخرق صفوفهُ . وفي كوفنو جمع سبعمائة رجل وانشأ صفاً من المدافع ومنع الروس عن التقدم النهار بطولهِ . وكان ذلك الصف مولفاً من ٢٤ مدفعاً . وكان الجيش الفرنسوي يجتاز الجسر فذابوا جميعاً كالثلج في الشمس بنيران الحاملين فامسك بندقيتهُ ولم يقدر ان يجمع حولهُ ثلثين رجلاً الا بصعوبة وفي النهاية راى ان كل رجل من الجيش قطع الجسر بامان فرجع بهولاء الرجال متقهقراً ببطء ووجههُ الى جهة العدو وكان الرصاص يمر بجانبيهِ كالبرد الساقط ومع ذلك راى انهُ لا يليق بهِ ان يسير بسرعة ولا ان يري المطاردين ظهرهُ وهو الذي اطلق الرصاصة الاخيرة على الروسيين ورمى ببندقيتهِ الى النهر وكان هو اخر الفرنسويين الذين خرجوا من البلاد الروسية . وكان الجنرال دوما جالساً في بيت طبيب فرنسوي في الجهة الالمانية من النهر فدخل عليهِ رجل ملتفٌ بعباءة ذو لحية طويلة متلبدة من

عدم الاعتناء وقد سوّد البارود وجهه واحترقت جوانب
لحيته بالنار غيران في عينيهِ ما يدل على انهُ ذو عقل غريب .
فجلس في كرسي بسرعة وقال لقد بلغت هذا المكان في النهاية
فيا جنرال دوما اما تعرفني . قال لا من انت . قال انا المارشال
ناي حارس موخرة الجيش العظيم وقد اطلقت الطلق الاخير
من جسر كوفنو وطرحت في نهر النيامن السلاح الاخير
وجئت ماشيًا الى هذا المكان قاطعًا الغابة فما اشجع هذا الانسان
اما هو بطل الابطال . انتهى

وبعد سفر نابليون جرى في فيلنا منظر مرعب جدًّا
لانها كانت مملوءة من المرضى والجرحى المنكودي الحظ حتى
بالكاد يوجد بيت خاليًا منهم . فاليهود الذين كانوا كثيرين
في تلك المدينة خوفًا من الروسيين وحقدًا على تثقيل العساكر
الفرنسوية رموا اولئك التعساء من الشبابيك وكثيرات من
نساء اليهود وغيرهم امتن بضرب ارجلهن رجالاً من اولئك
الابطال الذين من قريب كانوا اخذوا جسر فردينلاند والمتراس
العظيم في اوردينو . واول من دخل فيلنا القوزاق فانتشروا
على جهات المدينة وانطلقوا الى محل الفواحش والحانات وقاموا
بمذبحة هائلة واحرقوا على النار ثلاثين الف جثة بعد ان

قطعت فضلات الجيش الفرنسوي الذي كان يحميها الشجاع
ناي النيامن وتركت وراءها اكثر من: ٥٠٠٠٠ قتيل وجريح
واسير فرنسوي

حروب المانيا وفرنسا . معاهدات باريس وفينا

لما انحلت عقدة الجيش العظيم اتفق كوتوزوف وروما نتسوف
وكيل الاختام ان لا يسرفا بثروة حصلت عليها روسيا بعد
الضنك وان يضما الى روسيا فقط اقاليم بروسيا و بولونيا الشرقية
وان يجعلا حدود روسيا الفستولا ويعقد الصلح مع نابليون
ولم يكن يخطر لهما ولا لاحد من رجال السياسة ان نابليون
يقدر ان يعوض خسائرهُ بسهولة وان يجمع جيشاً يقدر بهِ على
المقاومة والمدافعة عن بلاده اذا اقتضت الحال مع انهُ اجيب في
فرنسا حالاً الى طلبهِ واخذت القوات تجمع تحت امرتهِ بسرعة
عجيبة وكلها من الشبان الذين لم يدخلوا قبل ذلك ساحات
القتال وبالعكس كان يصعب على اسكندر جمع عساكر
جديدة من مسافاة بعيدة وكان قد وقع بضيق مالي وبرهنت
لهُ النتائج انهُ مع مساعدة بروسيا بكل قوتها ما قدر ان يقاوم
نابليون في معارك لوتزين وبوتزين ولو ان نابليون تقوى
بالجيوش البروسية والبولونية وعاد ظهر ثانياً على الدون لفاز

بنجاح عظيم كونهُ تعلم الاحتراس والتحذر من تجربتهِ في سنة ١٨١٢ . وقصد اسكندران يجد من نفس تلك الطوائف التي كان نابليون اضطهدها او بالحري اهلك جيوشها في بلادهِ القوات اللازمة لكبح خصمهِ فيريح افكارهُ ويحررا اوربا تماماً وبعاكس عمل نابليون الذي قام بحركة عمومية ضد روسيا وقاد تلك الشعوب من الغرب الى الشرق بان يقود نفس القوات وينقلها من الشرق الى الغرب ضد فرنسا . وحرق سرايتهِ وعاصمتهِ جعلاهُ يكره في الصلح فضلاً عن ان ستين وبعض مهاجرين من المانيا كانوا يحركونهُ على الدوام الى الانتقام

ففي مدة ما كانت الجيوش الروسية تحارب فضلات الجيش العظيم في انبغ وكاليش وفي مدة ما كان سزارتوريسكي يطلب الى القيصر قيام بولونيا تحت امرة الكراندوق ميشال كان فردريك غليوم يتفاوض مع القيصر بتقرير الاتحاد والاتفاق ويخابر بمثل ذلك نابليون ايضاً وقد نفي يورك دي وارتمبرغ وارسل كنيزابك متخفياً كبياع الى مركز القيصر العمومي وكذلك القيصر ارسل اليهِ ستين وانسيت اللذين بعد مخابرتهِ قاداهُ لامضاء معاهدة كاليش في ١٨ شباط (فبريه) سنة ١٨١٣

وبها كان على الملكين القيام بالمحامات عن الحدود البروسية للمحافظة على راحة المملكتين وكان على روسيا ان تقدم ١٥٠٠٠٠ رجل وبروسيا ٨٠٠٠٠ وان لا يقع التعاهد مع نابليون او الصلح الا باتفاقهما معاً وان روسيا تتوسط بحمل انكلترا على اعانة بروسيا ماليًا . وفي ١٧ اذار (مارت) حالما دخل وبتجانستين القائد الروسي برلين اشهر ملك بروسيا الحرب على نابليون ودعا شعبهُ وجمع جيشهُ . وفي ١٦ اذار عندما دخل بلوشر سكسونيا عقدت اتفاقية برسلو المتضمنة دعوة كل امراء وكل شعوب المانيا للمساعدة بتحرير الوطن العمومي وتعين لذلك مدة معلومة فكل امير يرفض الاشتراك بالحرب يكون محروماً من ملكهِ وعليهِ انحل اجتماع الرين وانشئ مجلس مركزي من الحكومة ليدير الاحكام المكتسبة من حد سكسونيا الى هولاندا وليلاحظ مداخيلها العائدة للدول المتحدة وتجهيز قيامها جملة

فقام نابليون بسرعتهِ الاعتيادية وجهز ٥٠٠٠٠٠ الف رجل وقدمت لهُ ليون وروم وامستردام وهامبورغ تقدمات وطنية اعانة للحرب الوفًا من الخيل وكان كل امراء الرين يظهرون عداوتهم لنابليون وتركوا محالفتهُ وانضموا الى اعدائهِ

ما عدا ملك الساكس فانهُ بقي مصرًّا على امانتهِ ولذلك عرَّض بلادهِ الى الخطر حيث دخلتها جيوش الدول المتحدة . وظهر على خط الالب ومعهُ ١٨٠٠٠٠ جندي و ٥٠٠ مدفعًا معتمدًا على قطعهِ مسندًا على الاماكن الحصينة الواقعة عند فستولا كادور ودانتزيك وتورن وبلوتك ومودلين وكوسترين وغلوكو وستيتان وسترالسوند وترك اكثر من هذا العدد في المحلات الضعيفة وكل هذا الجيش كان من الشبان الغير متعودين القتال لان الجيوش القديمة التي كانت اعتادت على خوض المعامع وفرسان مورات البسلاء دفنوا جميعًا في ثلوج روسيا

ففي ٢ اذار (مايس) عند لوتزن وفي ٢٠ منهُ عند بوتزن انتصر نابليون انتصارين مجيدين غير انهُ لم يقدر ان يتممهما لضعف الفرسان وقلتهم في معسكرهِ ودخل درست واعاد اليها حليفهُ ملك ساكس وكان دافوت ارجع هامبورغ وليبسك وهذا الانتصار الابتدائي افقد الشجاعة من ملك بروسيا وقد ذكره بمصائب سنة ١٨٠٦ وقال بعد لوتزين لقد وقع تمامًا ما كان وقع في اويرستايد . وقال موسيو بوكدانوفتش . ان خسارة هاتين المعركتين كادت تضعف الاتحاد بين الدولتين ولاسيما ان البروسيين كانوا يشكون من ان الروسيين ينهبون بلادهم

كما ينهبها الفرنسويون واراء باركلي دي تولي وسائر القواد الروسيين كانت تضاد آراء بلوشر البروسي واركان حربه وكلما بعدت روسيا عن بلادها تعبت وصعب عليها ايجاد القوات ونقلها لانهم لم يكونوا في كل هذه المسافة المعلومة بين فستولا والب قد اقاموا مخازن للذخائر والبستهم كانت رديئة ومثلهم كان البروسيون . وقد قال اسكندر وغليوم انهما يخاطران مخاطرة عظيمة

وحينئذٍ تداخل فرنسوا امبراطور النمسا ودعا صهرهُ لان يوقع على شروط هدنة موقتة في بلسوبتز وقال نابليون عن هذه الهدنة اذا كان لا يثق بالمتحالفين وبميلهم الى الصلح كانت تلك الهدنة عليهِ وبالاً . وهكذا كان لان في تلك الاثناء تمكن الجيش الروسي من ان يتقوى . وعقد الدولتان معاهدة مالية مع انكلترا وجلب الجميع للمحالفة ملك اسوج وعدوهُ بنورفيج وهو برنادوت الفرنسوي المشهور فانضم الى المتحالفين فحاصروا دانتزيك وستيتان وكوسترين وغلوكو ووصل الخبر الى المانيا بان نابليون اضاع اسبانيا وان الانكليز تتهدد بيداسوا ورأت النمسا الى قرب نجاح الدول فمالت الى الخيانة ضد نابليون والانتفاع بالفوز مع باقي الدول وحينئذٍ اغتاظ نابليون غيظاً

عظيماً واراد ان يتلافى امرهُ ويقترب من القيصر فيجعل حداً للردع مطامع الدول وبعث كولانكور للمخابرة بهذا الشان فلم ينتفع من ذلك

وحينئذٍ قدمت النمسا الى نابليون شروط المتحالفين وهي. اولاً. انحلال دوقية فارسوفيا العظمى وبهِ ينتهي تقسيم بولونيا تماماً بين دول الشمال الثلاث. ثانيا. اعادة بروسيا على قدر الامكان الى حدودها قبل سنة ١٨٠٦ . ثالثاً. ارجاع الاقاليم الايليرية للنمسا . رابعاً. ارجاع المدن الهانسياتيكية. خامساً. انحلال الاجتماع الريني . انتهت . فاظهر نابليون اشد الغضب. ومع ذلك قبل بان يجتمع في براغ مجلس دولي للتخابر بشان هذه الشروط واعطى اوامرهُ الى ناربون وكولانكور اللذين عينهما معتمدين من قبلهِ وليقاص خيانة النمسا افهمهم ان لا يسلموا لها ولا بقرية صغيرة وان يتساهلا مع روسيا بكل ما تطلب من الشروط بشرط ان يكون الصلح شريفاً لفرنسا على نوع ما. ولهذا اجتهدا ان يوفقا بين مطالب الدول وغايات سيدهما فلم يقدرا لان المتحالفين زادوا في مطالبهم على طريق مهينة لفرنسا ولم يقبل القيصر الروسي ان يترك متحالفيهِ طمعاً بان تزاد املاكهُ وحدهُ وطلبوا فضلاً عما ذكر في الشروط المتقدمة

ارجاع الاقاليم الايطالية للنمسا واخلاء هولاندا واذ ذاك رضي نابليون بتضحية دوقية فارسوفيا والاقاليم الايليرية فاجابتهُ النمسا انهُ قد فات الوقت وانها دخلت المحالفة فعلاً وانضمت الى المتحالفين في ١٥ آب (اوغسطوس)

ومن ثم صار للمتحدين ثلاثة جيوش في المانيا . الاول جيش الشمال وعددهُ ١٢٠٠٠٠ الف رجل من روسيين واسوجيين وبروسيين تحت قيادة برنادوت معسكرًا على الهافل . والثاني جيش سيلازيا وعددهُ ٢٠٠٠٠٠ الف رجل روسي وبروسي تحت قيادة بلوشر معسكرًا على اودر . والثالث جيس بوهيميا وعددهُ ١٢٠٠٠٠ روسي ونمسوي تحت قيادة شوارتزانبرغ حالاً حول براغ . ولهذا يظهر ان الثلاث جيوش المذكورة المتقدمة الذكر وان كان اكثرها مولفًا من الروسيين الاَّ انهُ لم يكن منهم قائد اولي حتى ان الكراندوق قسطنطين وباركلي واوسترمان واورلوف كانوا تحت قيادة شوارتزانبرغ وتحت امرة بلوشر وويتزنجر تحت امرة برنادوت واما كوتوزوف القائد الروسي المشهور فمات في اثناء هذا السفر في بوتنزلو الاَّ ان الامبراطور اسكندر كان يعرف ذلك ويعرف ان المعول في مثل هذه الحرب على جيوشهِ فاشهر نفسهُ بان القيادة العامة

في يدهِ وانهُ هو وحدهُ الذي ينبغي ان يدير حركات القتال وانهُ سيثبت ضد نابليون وبعد ان كان قد نقل الحرب من روسيا الى المانيا عاد فنقلها منها الى فرنسا

واقام نابليون في مقابل هذه القوات جيش دافوت في هامبورغ وعدده ٣٠٠٠٠ وجيش اودينوفي وينانبورغ وعدده ٧٠٠٠٠ و١٨٠ الفًا متجمعة تحت يدهِ من درست الى ليكنيتس مع فاندام وسن سير وناي ومكدونال ومورتيه . وجرت في بوهيميا معركة هائلة جدًا ثبت فيها الفرنسويون ثباتًا ممدوحًا وادار نابليون القتال بنفسهِ واتصل العراك الى داخل اسواق درست في (٢٦ و٢٧ اب) وفي الاخير انتصر الفرنسويون وخسَّروا المتحالفين ٤٠ الف رجل و٢٠٠ مدفع وهذه المعركة علمتهم ان يتجنبوا مقاتلة الجيش القائم تحت قيادة نابليون وان يقاتلوا قوادهُ المنفصلين عنهُ

وامر نابليون فاندام بان يقيم في مضايق بترسوالد مع ٢٥ الف رجل ليسد الطريق على المنهزمين وبعد ذلك شغل عن ان يرجعهُ من هناك فنزل فاندام الى حد تبليتس لكي يقطع الطريق على المتحالفين فاصطدم هناك بالحرس الروسي واشتبك القتال شديدًا واضطرمت ارض تبليتس بنيران

الفرنسويين والروسيين ومد دخان البارود فوق ذلك اللهيب الذي كان يظهر انهُ منبعث من جوف الارض والموسيقيون وخدمة الجيش طلبوا بنادق واشتركوا بالقتال لتاكدهم ان على ثباتهم يتوقف نجاح امبراطورهم ويرجع اليهِ نفوذهُ الذي خسره في اراضي روسيا وطار ذراع اوسترمان القائد الروسي وهو في وسط المعركة ولم يرجع طالبًا النصر الذي كان يلوح لهم. ورجع فاندام متقهقرًا الى كولم وفي اليوم الثاني راى نفسهُ محاطًا بجيوش كثيرة من الروسيين فأُخذ اسيرًا مع نصف جيشهِ تقريبًا وذلك في ٣٠ اب (اوغسطوس) وانتصار كولم كان على يد باركلي واوسترمان المجروح وارمولوف وقد خسروا بهِ نحو ٦٠٠٠ رجل منهم نحو ٢٨٠٠ من الحرس وحين وصول الخبر الى القيصر الروسي غمر بالنياشين قوادهُ وكل الذين امتازوا بالقتال من جنودهِ المشاة والحرس وعلق نباشين القديس جاورجيوس باعلامهم وحصل المتحالفون على نجاح تام وفي نفس الوقت التي كانت فيهِ هذه المعركة تقريبًا ضرب بلوشر عند كاتزباخ القائد مكدونالد فقهقرهُ. وبرنادوت ضرب اودينو في كروس بيرن وناي في دنويتس وانتصر عليهما وحلَّ جيش القوزاق في وستفاليا واستولى تشرنيشاف على كاسل

ووقعت في يدهِ خزانة اوراق الملك جيروم

ومنذ ذاك الحين اخذت جيوش الدول الثلاث المتحالفة في ان تضيق الحلقه على نابليون وتحاط بهِ. واضاف بينكسن الى الجيوش الروسية جيشاً جديداً عددهُ ٦٠ الفاً. وكان الجيش الفرنسوي الذي صار عددهُ ١٦٠ الفاً محاطاً بثلثمائة الف من المتحدين و ١٢٠٠ مدفع جعلوها نصف دائرة ولم يتركوا طريقاً الا من جهة الغرب حيث لم يتمكنوا من مسك تلك الطريق حالاً وكانت الفرق الفرنسوية مزدحمة عند ابواب ليبسيك لتلجيء اليها عند الضرورة. وقام نابليون هناك بمعارك هائلة شديدة تحت اسم معارك الطوائف ودام القتال الى مدة اربعة ايام دون انقطاع الا وقت الليل واظهر الامبراطور اسكندر الروسي شجاعة لا تحد كتب عنها كثيرون من الكتبة الفرنسويين وشهدوا بثباتهِ طول هذه المدة تحت نار المدافع وكلها المتساقطة وهو يرسل القوات العسكرية الى المحلات القريبة من الخطر فيقويها. وفي اليوم السادس عشر من الشهر الاول نجح الفرنسويون بان ثبتوا في مواقفهم وفي السابع عشر منهُ ايضاً بقوا محافظين على مراكزهم ولم يزاحوا قط وفي الثامن عشر تجددت المعركة وانفجرت عيون السماء بانابيب

المصائب فارسلت بالنار والكبريت الى اهلاك المتقاتلين الذين كانوا كانهم قطع من الفولاذ يكادون لايخافون الموت والهلاك بل يلقون بانفسهم في كل ناحية راوا فيها لهيب البارود يتجمع وينفجر مرتفعاً الى الاعالي قاذفاً تلك القطع المميتة ويتلقونها بصدورهم كانها نسيم هواء بارد ينتعشون بوقوعهِ عليها وكان اطلاق المدافع شديداً ودويها لايمكن لعقل متصوران يصفهُ وكان اعظم مما في بوردينو وهذا هو اليوم الذي ارتجع به الساكسون. وفي التاسع عشر من الشهر المذكور اخذ الفرنسويون بالرجوع على طريق الغرب وفي مقدمتهم فيلتور واوجيرو وفي وسطهم ناي ومارمون ونابليون وجيش الحرس وفي موخرتهم موريستون وماكدونال وبونياتوفسكي وبواسطة خراب وسقوط جسورة ايليستر فنيت تقريباً الموخرة برمتها ومكدونال تخلص سباحة وفاز بنفسهِ واسر لوريستون ومعهُ ٢٠٠٠٠ رجل و ١٥٠ مدفعاً واما بونياتوفسكي فمات غريقاً وغرق معهُ الامل باحياء بولونيا على يد نابليون وهذا هو الشجاع الوطني الوحيد الذي حارب لارجاع وطنهِ زماناً طويلاً قائداً الجيش البولوني

واراد البروسيون لشدة عدواتهم للسكسون ان ياخذوا

مدينة ليبسيك بالهجوم فامتنع عليهم اسكندر لكي لا يخربها وعقد
شروط التسليم فسلمت مع من كان باقٍ فيها من جيوش
فرنسا وقبل اسكندر ملك الساكس ببرود ورفض المفاوضة
معهُ محتجّاً عليهِ بانهُ لم يقبل بالاوامر التي وضعت للامراء
الالمانيين بل اظهر العناد بخضوعهِ الى نابليون . وربما اراد ان
يقاص بواسطة سكسونيا اخر امير في بولونيا. وهكذا نرى ان مقصد
اسكندر من رجوعهِ الى مسألة هذا القسم من اوربا لم يسمح لهُ
في ان يعطي ملك سكسونيا راحة ولا اماناً

ومعركة ليبسيك كانت سبباً لتكدير التسلط الفرنسوي
في المانيا ولم يبقَ الا نحو ١٥ الف رجل للمحافظة متفرقين
في قلع الفستولا والودر والالب وكان سبب نجاح المتحدين تخلي
الشعوب الكثيرة التي كانت في سنة ١٨١٢ قدمت مساعدتها
للجيش الفرنسوي العظيم ضد روسيا فضلاً عن النمسا
وبروسيا والساكس . ولم يقدر الفرنسويون ان يتخلصوا من
الرين الاّ بمرورهم في بطن بافاريا وتخلي باد وويرتانبورغ وهس
درمستات جاء تقريباً بنفس الوقت وكان الملوك اولاً
يتوقفون عن ترك نابليون الى ان يروا الجنود تشغل البلاد
المجاورة فينفصلون عنهُ وقد ترك جيروم بونابرت الكاسل

اومن ثم وجدت الدانمرك نفسها ملتزمة ان تلتحم مع الدول المتحدة وذهب نابليون على الضفة الشمالية من الرين فهل ياترى زمع اسكندر ان يقطع هذا الحد الطبيعي اي حد فرنسا السائرة. وقد قال جوابًا لذلك بوكدانوفيتش. ان الامبرطور اسكندر كان يعرف بالتجربة عدة سنين ان نابليون ثابت الجاش والعزم فلا يكبح لا بالخسائر ولا بالمعاهدات التي تعقد معهُ ويتصور ان طمعهُ لاحد فاعتمد ان يتم تحرير الدوقيات والامارات التي حررها من النير الفرنسوي بل نوي متابعة الحرب الى ان يصل الى قلب عدوهِ. انتهى. فاجتمع الملوك المتحالفون في فرانكفور وتفاوضوا بشان الحمل بسرعة على باريس فكان من راي اسكندر و بلوشر وجنيزنو خلع نابليون وكان من راي الامبراطور فرنسوا ومترنيخ ان يضعفا قوة نابليون فقط وانهما لا يرغبان في قلبهِ لان قلبهُ يعرض النمسا لخطر عظيم من جرى نفوذ روسيا وسلطتها. واما برنادوت فكان يلح في خلع نابليون وكان يضمر في نفسهِ انهُ يجلب بذلك تاج فرنسا لنفسهِ ولم يفكر قط بخيانتهِ لها وكان من غاية انكلترا تقرير صلح ثابت وسريع لتتخلص من المصارفات والاعانات الحربية التي كانت تقدمها وتزيد في دينها فهذه التباعدات بالمقاصد والتباينات

مكنت نابليون من ان يعرف بضعفهِ . وتاكد انهُ لو مشى المتحالفون حالاً على باريس لتسهل لهم الاستيلاء عليها دون وجود مقاومة كافية

واعاد نابليون عقد المفاوضات وطلب اليهِ ترك ايطاليا (بينما كان مورات يخابر ليحفظ نابلي مملكتهُ) وهولاندا والمانيا واسبانيا وارجاع فرنسا الى حدودها الطبعية بين الرين وجبال الالب . فهذه كانت شروط فرانكفور . واجاب عليها نابليون بانهُ يرضى بفتح مجلس دولي في مانهيم ويريد في ان يعقد صلحاً يؤكد استقلال كل الطوائف على وجه الارض وفي البحر وهذا هو المقصد من سياستهِ . فظهر للدول ان هذا الجواب مخاتلة . ولما كانوا متيقنين ومنسدين الى الخيانة الفرنسوية الداخلية اشهروا اعلان فرانكفور اكدوا بهِ انهم لا يقصدون محاربة فرنسا وجلّ قصدهم محاربة النفوذ الذي اجراهُ نابليون زماناً طويلاً خارجاً عن حدود مملكتهِ . فهذه التطمينات وهذا الفخ العظيم لم يكن ليغش امة كالامة الفرنسوية على انها كانت واقعة باليأس والقنوط من جرى حروب متواصلة استقامت نحو اثنين وعشرين سنة وان تكن تلك الحروب مقرونة بالانتصارات لكنها كانت عقيمة وبدون جدوى . وفي تلك

الاثناء تفاوض اسكندر مع نواب المجمع الملفيتيكي الذين
جاءوا الى فرانكفور بشان معاهدة السويس الجديدة. وكان
قد اثار هولاندا عملاء عائلة دي اورانج وعادت محاربة فرنسا
الى ما كانت عليهِ

وبعث الامبراطور اسكندر باعلان من فريبورغ الى
جيوشهِ ما لهُ. ان شجاعتكم الفائقة الحد وبسالتكم التي لا تدفع
وشهامتكم الروسية الممتازة على سواكم قادتكم من ضفات اوكا الى
ضفات الرين وستقودكم الى ابعد من ذلك ستقطع الرين
وستخرق ارض الشعب الذي ستقوم ضدهُ بمعارك دموية شديدة
ولقد خلصنا ومجَّدنا وطننا وارجعنا لاوربا استقلالها وحريتها
فلتسد الراحة والسلام على الارض بكمالها ولتفز كل مملكة ضمن
حكومتها الخصوصية وشرائعها الاصلية. عند ما كان العدو
يشنُّ الغارة على مملكتنا اضرَّ بنا كثيرًا فلهذا وقع عليهِ قصاصنا
المرعب واهلكهُ غضب الرب فلا يلزم ان نقتدي بهِ لان الله
العلي الرحيم لا يحب عديمي الانسانية والظالمين فعلينا ان
ننسى الضرر الذي الحقهُ بنا فلا نعاملهُ بنفس المعاملة التي
عاملنا بها. ولنعامل قومهُ ليس بالحقد واخذ الثار بل بالصداقة
والامان والراحة فمجد روسيا يقوم بان تهلك المتعدي الحامل

السلاح بالسلاح وان تغمر عدوها المجرد عن السلاح بالخيرات فامنوا الشعوب الهادية المستكنة ولا تضروا بغير من يريد لكم الضرر عند القتال . انتهى · ورفض اسكندر قبول كولانكور في فريبورغ مظهراً انه لا يريد المفاوضة الا داخل فرنسا· وقال الى مترنيخ فلنوخر امر المفاوضة مع المفوض الفرنسوي· وامضاء الصلح مع فرنسا ان كان في هذه الجهة من الرين او في الجهة الثانية او في وسط باريس لا يفرق ابداً على الملوك المتحالفين لكن الحوادث التاريخية عند ذكر انتقالنا من محل الى اخر تزيد في مجدنا

وفضلاً عن جيوشهِ في ايطاليا والبيريني لم يبقَ مع نابليون الا حلقة بسيطة من الجيوش قدرها ٨٠٠٠٠ الف رجل منتشرة من نيماك الى بال لتقاوم ٥٠٠ الف متحالف· فجيش الشمال تحت قيادة (وينتزنجرود) اغار على هولاندا وبلجيكا والاقاليم الرينية وجيش سيلازيا تحت قيادة بلوشر قطع الرين بين مانهيم وكوبلانتز ودخل تانثي وجيش بوهيميا وعليهِ شوارتزانبرغ تقدم الى ترويز وهناك سال احلاف البوربون ان يعاد اليهم تاج فرنسا· واسرع نابليون الى ان يسد طريق عاصمتهِ فهجم اولاً على جيش سيلازيا وضرب مقدمتها وفاز

بعض النجاح والتقى بجيش بلوشر في بريان وبعد معركة شديدة في اشباط (ففربه) سنة ١٨١٤ مع جيشي سيلازيا وبوهيميا اضطر الى الرجوع في طريق ترويز . وبعد ان فاز الجيشان بهذا الانتصار عادا فافترقا ثانياً لينزل الجيش الواحد نهر المارن والاخر السين وفكرا ان لا ينضما الاَّ تحت اسوار باريس. وكان وادي نهر المارن يبعد عن نهر السين خمسين ميلاً والنهران يلتقيان بالقرب من باريس فاخذ بلوشر يسير بسرعة بنحو سبعين الفاً من الروسيين والبروسيين قاصداً الحمل عليها بقطع ضفات المارن ولم يكن فيها قوة لتصادمهُ . وامسى نابليون في مركز حكم الناس بان لا نجاة لهُ منهُ . وكان ولنكتون الانكليزي يسير بجيش كثير من الجنوب وبرنادوت يتقدم بعساكر غزيرة من الشمال والح مشيرو نابليون عليه بان يقبل بشروط الدول مهما كانت فابى . واستفاد من غلطة افتراق جيشي بلوشر وشوارتزانبرغ وسار بثلاثين الفاً قاطعاً البلاد بسرعة عجيبة الى ان بلغ وادي المارن وكبس جيش بلوشر وفي ١٠ اشباط (ففريه) عند طلوع الشمس حمل الفرنسويون على الروسيين الذين كانوا يهيئون طعام الصباح بطمانينة وسكون . فانتشب القتال وفاز الفرنسويون فوزاً كاملاً وتمكن نابليون من خرق جيوش

الروسيين ثم حمل على الجناح الواحد ثم على الاخر و بدد شمل جيوش اولسوفياف و بولتاراتسكي وخسرها ٥٠٠٠ رجل . ولم يكن عنده جيش احتياطي ليستغنم سنوح الفرصة وينتفع بهذا الانتصار فان جنوده التعبة لم تقدران تطارد الروسيين . وفي اليوم الثاني جمع بلوشر جيشه حتى صار عدده ستين الفا وحمل بعنف عظيم على جيش نابليون وانتشب قتال اعظم من القتال الاول وانتصر نابليون انتصاراً اعظم . وفي هذين اليومين خسر الروسيون كثيرا ففي مونتميرايل رغماً على بطش زيغروت ولابوكهين خسروا وحدهم ٢٨٠٠ رجل و٥ مدافع . وفي شاتو تياري ضرب ساكن ويورك المجتمعين وخسر الروسيون ١٥٠٠ رجل و٥ مدافع وفي فوشام خسر بلوشر ٢٠٠٠ روسي و٤٠٠٠ بروسي و١٥ مدفعاً . فهذا التاخير الروسي الوقتي قوى من عزائم الفرنسويين وعلق نابليون امله برجوع زمان السعد اليه . وقد قال بوكدانوفيتش . ان الفرنسويين اخذوا السلاح وطردوا اعداءهم كالقطعان الى الاحراش فامتنع على عساكر الدول الوصول الى الاكل وتعذبوا من البرد وعندما تلطف الطقس نزعوا مراكبهم والتزموا ان يمشوا حفاة لينضموا الى بعضهم ودخل ميئات منهم مستشفيات الحرب

وبعد ان ثبت لنابليون تفريق جيش سيلازي وتقهقره
الى الشمال رجع الى جيش بوهيميا فقهقر البافاريين والروسيين
في مورمان والويرتامبورغيين في مونتيرو والبروسيين في ماري
وهولاء البروسيين كانوا قسماً من جيش بلوشر الذي كان
فصل وطرح على موخرة نابليون فهذا التاخير والانتصار
الفرنسوي اثر عميقاً بالمتحدين وعليهِ طلبوا الى اسكندر ان يسعى
بعقد الصلح قبل ان يتاخروا الى الرين وهكذا كان القواد ايضاً
يضطربون خائفين من ان يعود الى نابليون الفوز بحسب
عوائدهِ لانهم يعلمون بانهُ اعظم قائد من قواد الدنيا وانهُ
يستخدم معرفتهُ بالفنون الحربية بالاصابة التامة وكان يقال لهم
ان عند نابليون ١٨٠٠٠٠ الف رجل في ترويز فكان ما يجرى
في المعسكر اشبه بفتنة عمومية . لكنما ثبات اسكندر القيصر الروسي
عضد التحالف وبسالة بلوشر وبطشهُ خلصاهُ من هذا الاضطراب
فبعد تشتيتهِ وصلتهُ قوات من جيش الشمال فرجع الى مطاردة
قواد نابليون ومن ثم عرف بوصول نابليون الى فيرلي كوشر
فرجع بكل سرعة ووجد ملجأ غير مامول حصولهُ عليهِ في سواسون
التي استولى عليها جيش الشمال . وفي ٧ اذار (مارت) في
كروان وفي ١٠ و١٢ منهُ ايضاً في لاون قام بوقائع قوية دموية

جداً ارجع بها كل هجمات نابليون غير المثمرة وفاز عظيماً لكنهُ خسر في كرادون من الروسيين ٥٠٠٠ رجل مع انهم لم يكونوا اكثر من ١٥ الف نفس وهو ثلث عددهم الاصلي وقتل لانسكواي وجرح اوشاكوف واربعة قواد أُخر. وفي معركة لاون خسروا ٤٠٠٠ رجل. وفي هذا الوقت هجم سن بريا ست تحت خاطر اسكندر على ريمس وملكها فعاد نابليون الى هذا المهاجر الفرنسوي واخرجهُ منها بعد معركة شديدة وخسر الروسيون والبروسيون ٤٠٠٠ نفس وجرح المهاجر جرحاً بليغاً وذلك في ١٤ اذار (مارت)

وكان في ٢٨ شباط (فبريه) فتح مجلس المخابرة في شاتيليون سيرسن فكان معتمدا روسيا راز وموفسكي ونسلّدود ومعتمد نابليون كولانكور ووكيلا النمسا ستاديون ومترنخ الخ وكانت الشروط التي عرضت على نابليون ارجاع فرنسا الى حدودها سنة ١٧٩٢ وان يبقى الحق للتحالفين بالتصرف وحدهم دون ان يشترك معهم بالبلاد التي افتتحوها وان تكون المانيا حكومات متحالفة مستقلة وتقسم ايطاليا الى حكومات حرّة ايضاً وترجع اسبانيا الى فردينند وهولاندا الى عائلة اورانج فكتب نابليون يقول. اهل اترك فرنسا اصغر مما وجدتها لا يكون ذلك اصلاً

ولم يكن اسكندر يرغب في صلح يبقي نابليون على عرش فرنسا ·
ومع كل هذا فان المفاوضات كانت دائمة المجرى · والنمسا
وانكلترا لم تكونا راضيتين عن دوام الحرب وابعاد الصلح الى
الحد الاخير وبعد نجاح نابليون على بلوشر شدد كاستلراخت
بوجوب عقد الصلح . فامتنع امبراطور روسيا وصرَّح قائلاً ·
هذا الا اوافق عليهِ مطلقًا ولا اطلب صلحًا ولا هدنة ولا اسمح
بترك السلاح دقيقة واحدة لانهُ لايتيسر لي في كل يوم ان اسرع
من نحو ٤٠٠ فرسخ الى مساعدتكم لا تؤملون صلحًا على الاطلاق
ما دام نابليون على كرسي فرنسا · فبعد ان سكر نابليون من
خمرة نجاحه امر كولانكور ان لا يوقع على معاهدة شروطها تزيد
عن الشروط التي اشارت اليها الدول في فرانكفور · وبعد
مونتيرو منعهُ من المفاوضة بدون امرهِ · وحينئذٍ كتب الى
عمهِ امبراطور النمسا مجربًا المفاوضة معهُ يلومهُ على اتحادهِ مع
تتار القفار الذين بالكاد استحقوا اسم رجال · فوعدهُ بعقد
صلح مفيد وبلغ كولانكور ان يخابر لكن على اساسات فرانكفور
فطلب كولانكور بقاء اوجين في ايطاليا واولاد لويس نابليون
في برج وملك ساكس في فارسوفيا في (١٥ اذار) فرفض
طلبهُ هذا ولا سيما حيث كان قد اخذ توفيق المتحالفين في

السمو وانحل الاجتماع في ١٦ اذار . وكانت قد دخلت الى فرنسا امراء البوربون واوشكوا ان ينادوا باسم لويس الثامن عشر ملكاً على فرنسا

وفي اثناء انتصار نابليون على بلوشر جرت امور في ترويز فان احزاب الملكية فيها رأوا ان نابليون بات في حالة تدعو الى قطع الامل فصمموا على ان يقوموا بتدبيرات مهمة لارجاع البوربون فسارت لجنة الى امبراطور روسيا مولفة من ثمانية رجال وقالوا له اننا نتوسل الى جلالتك باسم جميع اعيان الاهالي في ترويز ان توجه اهتمامك الى انفاذ ما نرغب فيه وهو ارجاع العائلة البوربونية الى عرش فرنسا لانه عرش ابائهم واجدادهم وطرد المختلس . وكان امبراطور روسيا لا يزال يخشى ان يتمكن نابليون من تعويض خسائره . فقال لهم اني اقابلكم بسرور واتمنى نجاح مقاصدكم واظن انكم شرعتم به قبل حلول الاجل الموافق لان عواقب الحرب مجهولة و يكدرني ان ارى رجالاً باسلين مثلكم ساقطين في اضطراب واخبركم اننا ما اتينا لتنظيم ملك لفرنسا ولكن نرغب في ان نتفق على ما ترومه هي وان نتركها تصرح بما ترغب فيه . فقال موسيو دي غوال احد اعضاء تلك اللجنة انها لا تصرح بما تروم ما دامت تحت السيف وما

دام بونابرت مالكها لا ترتاح اوربا · فقال الامبراطور هذا هو
سبب الاجتهاد بالتغلب عليهِ · ورجعت عمدة الملكيين
مرتضية اذ تقرر عندها ان الحكمة قادت القيصر الى ان يوجل
اجابة طلبها مدة قصيرة · وفي تلك الاثناء ايضاً سار الماركيز
دي فترول وكان من اشد الناس تحزبًا للبوربون الى اركان
حرب الدول المتحدة من قبل الملكيين في باريس وتوسل اليهم
ان يتقدموا بالسرعة الممكنة اليها

وضجر اسكندر عند نظرهِ جيوش بوهيميا وسيليزيا تتاخر
دورًا بعد دور امام ٤٠ الفًا من الفرنسويين ولذلك صمم على
المقصد الذي جرَّ الويل على نابليون والقاهُ في حجر النحس ففي
ثمانية ايام جمع الجيشين جيشًا واحدًا وارسلهُ الى جهة باريس
على طريق واحد فاجتمع بلوشر وشوارتزانبرغ مع ٢٠٠ الف
رجل وداسوا كل قوة في طريقهم واول معركة اجروها معركة
ارسيس فاخذوا من نابليون ستة مدافع واخيرًا انطرح نابليون
لشدة الياس على موخرة الجيوش المتحدة تاركًا لهم طريق باريس
التي لو قاومت وثبتت على الدفاع مدة يومين لكان خلصها
واعاد اليهِ شرف انتصاراتهِ السابقة لكنهُ كان يفكر في ان يثير
فرنسا الشرقية ويقطع عنهم طريق الرجوع الى الرين · فقلق

المتحالفون برهة الاّ انهم ما لبثوا ان اطمأنوا من مآل رسالة مرسلة من نابليون الى زوجتهِ فجردوها من الرسول وتاكدوا خوفهُ وغايتهُ ومن رسالات احلاف البوربون في باريس حيث اظهروا لهم ضعف العاصمة . وساروا مطمأنين . وكان في اثناء ذلك تجرى امور مخيفة في باريس فان جيش الدول المتحدة وصل الى مكان يبعد مسافة رمية كلة عنها وصادمهم موريه ومارمون صداماً ثابتاً قليل الجدوى . فلما فرغت ذخائرهما وبات جيشهما متعباً جدًّا وقد هلك كثيرون منهُ تقهقروا الى شوارع المدينة . اما الجنرال مارمون فكان سالأسيفهُ المكسور ينازع الحاملين فتراً بعد فتر في ضواحي باريس وقد خرق الرصاص برنيطتهُ واثوابهُ وسوَّد وجههُ بدخان البارود وتمكن ان يقف في وجه ٥٥ الف من الحاملين ١٢ ساعة بثمانية الاف من المشاة وثمانمائة فارس . حتى ان الدول خسرت ١٤ الفاً بين قتيل وجريح

وكان باركلي في وسط الجيش وقد هجم على قمة رومانفيل حيث تاخر مارمون ليحميها وعلى شمالهِ البرنس دي ويرتامبورغ وقد تهدد فينشان وعلى يمينهِ بلوشر منتشراً امام مونتمارتر . وصوبت الدول وهي في المراكز المذكورة مدافعها على باريس واطلقتها

دفعة واحدة فتساقطت كللها بكثرة في اسواق باريس . ولما راى جوزف شقيق نابليون ان الدفاع لا يجدي نفعاً امر بتسليم المدينة . فبعث مورتيه وهو في مكان كثر اطلاق الرصاص عليهِ الى القائد شوارتزانبرغ رسالة كتبها على طبل وهي

يا ايها البرنس — فلنمتنع عن اراقة الدماء سدى اني اطلب ان يصير الانقطاع عن القتال ٢٤ ساعة نتخابر في اثنائها ونخلص باريس من ويلات الحصر والا فندافع عن انفسنا ونحن ضمن اسوارها الى ان نهلك . انتهت

وقال الدوق دي روفيغو . لو ثبتت باريس في الدفاع يومين لدخلها جيش نابليون ولو دخلها لما امتنع عن فتح مخازن الاسلحة والذخائر للاهالي لان وجودهُ بينهم يهيج فيهم الحمية ولا ريب ان باريس بمناظرته تفعل ما فعلت ساراغوسا

وكان الماريشال مارمون يحارب بلوشر فبعث اليهِ برسالة كرسالة مورتيه طالباً عقد هدنة غير ان الكرات والرصاص كانت كالبرد والارتباك عظيماً حتى ان سبعة فرسان قتلوا هم وفرسانهم بالتتابع وهم حاملون راية المهادنة . وفي اثناء ذلك رجع مارمون رجوعاً بسيطاً وقد جرح جرحاً بليغاً وتكسرت ذراعهُ برصاصة بعد ان قتل خمسة افراس تحتهُ

وبينما كان نابليون يسير سريعاً في ظلام الليل كان الملوك المتحدون يهنئ بعضهم البعض الاخر بهذا الفوز العظيم الغريب وحصل مارمون على هدنة لكي يتفاوض بشان تسليم باريس فالملك جوزف والامبراطورة ماريالويزا وكل الوزراء هربوا الى لوار وطرحت باريس بين يدي الملوك المتحالفين وهكذا انتهت معركة باريس وعلى قول بوكدانوفيتش ان هذه المعركة الاخيرة كلفت الدول ٨٤٠٠ رجل وكلفت الفرنسويين ٤٠٠٠ وذلك في ٣٠ اذار (مارت)

وفي اليوم التالي عند الصباح قبل اسكندر نواب باريس ووعد ان الجيوش المتحالفة تجري احسن معاملة مع الباريسيين وان راحة المدينة تسلم الى الحرس الوطني وانهم لا يطلبون من الاهالي سوى الاطعمة فقط. ومن ثم دخل اسكندر العاصمة وهو بين ملك بروسيا وشوارتزانبرغ لان ملك النمسا كان غائباً لكن الباريسيين كانوا لا يريدون ان يروا غير الامبراطور اسكندر وكانوا يسالونهُ وحدهُ في كل ما يريدونهُ. وحفظت الجيوش المتحالفة النظام ومراعاة جانب الاهالي فلم يسكنوا عند احد منهم

وجاء كولانكور من قبل نابليو ليعرض على الامبراطور

اسكندر غاية سيدهِ نابليون ويذكرهُ بالصداقة التي بينهما وعند ما اجتمع بهِ القيصر امسك يدهُ بحب وقال لهُ يا كولانكور العزيز اني اشترك معك بالحاسيات كل الاشتراك فاتكل عليّ كما تتكل على شقيق . فماذا اقدر افعل لاساعدك . اجابهُ اني لا اطلب اليك ان تفعل شيئاً لاجلي بل اطلب اليك ان تفعل كل شيء للامبراطور . فقال هذا الذي اخشاهُ فانهُ يدعوني الى التمنع عن اجراء ما طلب والى تكديرك لانني لا اقدر ان انفع نابليون بشيء فانا مقيد بمعاهدة الدول المتحدة عليهِ . فقال لا ريب في ان ارادة جلالتك تكون ذات نفوذ عظيم واذا تداخلت النمسا بتسوية الامر يعقد صلح ينشأ عنهُ راحة عظيمة ومن المؤكد ان امبراطور النمسا لا يرغب في ان يخلع بنتهُ وحفيدهُ عن العرش فقال القيصر قد كان هذا قبل اليوم واما الان فان النمسا لا ترضى بان نابليون يبقى مالكاً وامبراطورها يرضى بان يضحي جميع ما يتعلق قلبهُ بهِ شخصياً حباً براحة اوربا فقد صممت الدول المتحدة كل التصميم . فلما سمع كولانكور هذا الكلام شعر بان صاعقة سقطت على راسهِ ولم يكن يخطر ببالهِ ان الدول المتحدة تتوصل الى خلع نابليون فتضايق جداً وراى المصائب العظيمة التي كانت تحدق بالامبراطور

ورأى انهُ لاينبغي ان يضيع لحظة واحدة فان كل شيء يبلغ تسوية نهائية في ساعات قليلة وبعد ان صمت لحظة قال فليكن كذلك غير انهُ ليس من العدل ان تعامل الامبراطورة ماريا وملك روميا ابن نابليون هذه المعاملة ولا ريب في ان الدول المتحدة لاتخاف هذا الابن فاقيموا لهُ وكالة . فعارضهُ اسكندر في الحديث وقال لهُ قد خطر ذلك ببالنا ولكن ماذا ينبغي ان نعمل بالامبراطور نابليون ياترى فلا ريب ان الضرورة تحملهُ على الخضوع برهة غير ان المطامع التي لا تستكن فيهِ تحرك همتهُ فتمسي اوربا في لهيب . فقال كولانكور قد فهمت انهُ صار التصميم على اسقاط الامبراطور . فقال اسكندر بحمية من هو المسبب ياترى ألم اقم بكل ما يتيسر القيام بهِ لمنع وقوع هذه المصائب . فاني قلت للامبراطور بخلوص الفتوة التي لاتصادق عليها الحكمة ان الدول قد ضجرت من الاهانات التي لحقت بها ولذلك شرعت في عقد محالفات لمضادة سلطتك وتلك المحالفة ليست بمفتقرة الآ الى امضاءي وحدي . فاجابني باشهار الحرب عليَّ ومع ذلك ليس في قلبي امل كره لهُ وياحبذا لو كانت معاملتهُ متوقفة عليَّ دون غيري . فقال كولانكور بانكسار يا افضل الملوك واعزهم كرامة لقد تيقنت اني لا اتوسل

اليك باطلاً بان تساعد رجلاً عظيماً كذلك الرجل وهو
واقع في المصائب . فيامولاي كن محامياً عنهُ . ان هذا العمل
الناشيء عن الكرامة يليق بك . فاجاب الامبراطور متأثراً
اني ارغب في ذلك واقول لك حالفًا بشرفي انني ارغب فيهِ
على اني لا اقدر ان افوز . فان حزبًا قويًا جدًا يرغب في ارجاع
البوربون واذا ملكوا فرنسا فلا تتجدد الحرب . على اننا لا
نروم ان نلزم فرنسا بقبولهم وما صرحت بهِ يمكن فرنسا من
الحرية التامة لاختيار ملك لها . وقد قيل لي بتأكيد ان
الامة الفرنسوية ترغب في ارجاع البوربون والراي العام يدعوهم
ان يعودوا الى الملك . فقال كولانكور يامولاي قد اخبروك
خلاف الواقع فانهُ ليس للبوربون حزب في فرنسا فالاهالي
لا يحبونهم والزمان قد قرَّر قواعد الثورة والرجال الكنودون
الذين يريدون ان يتخلصوا من الامبراطور ليسوا بالامة . فاذا
كانت الدول المتحدة تروم ان نعتبر حقوق فرنسا فعليها ان
تقوم بانتخاب عام لترى راي الاكثرية . فلتفتح دفاتر الانتخاب في
جميع المجالس البلدية وعند ذلك ترى الدول هل تفضل
الامة البوربون على الامبراطور . فاثر هذا الكلام في الامبراطور
اسكندر وصرف نحو ربع ساعة يتمشى في المخدع غائصاً في بحر

من التفكر ولم يفه كولانكور بكلمة اثناء ذلك . ثم التفت الى كولانكور وقال ياعزيزي ان كلامك قد أثَّر فيَّ فربما كان الاوفق اتباع رايك على ان ذلك لا يتم الا بزمان طويل والاحوال تلزمنا بان نسرع في العمل ويلح علينا بان نضع قرارًا لهذه الامور اني معذب بالالحاح . وفضلاً عن ذلك قد انشأنا حكومة موقتة وهي قوية صحيحة قد احاطت المطامع بها والملوك المتحدون يحاط بهم على الدوام ويسمعون توسلات والحاحات وتمليقات وما ذلك الا ليقرروا البوربون . وهم جميعًا يرومون ان ينتقموا لانهم احتملوا اضرارًا عظيمة شخصية . وغياب امبراطور النمسا مضرٌ جدًا . فاذا حاولت القيام بما ينفع ابن نابليون امسي منفردًا بذلك فانهُ ما من دولة تجاريني على ذلك . ثم امسك يدهُ بحنو وقال لهُ بلطف ياعزيزي كولانكور انهُ يحق لهم بان يحملوني على ان اعدهم بعدم مقابلتك . فان حرارة قلبك التي تجعلك في ضيق تسري كالمرض المعدي لانك قد حركت كل عناصر الحب وكرامة الاخلاق فيَّ . سافرغ جهدي في اجراء ما تروم ونهار غدٍ اطلب ان تعين وكالة ليبقى الملك لابن نابليون وغير هذا لا يمكن ان يجرى فلا تخدع نفسك ولا تعلق الامل

وكان مجيء كولانكور مستترًا عن اعين الناس فلم يرهُ
احدٌ وجرت هذه المفاوضة بعد نصف الليل باربع ساعات
والقى كولانكور نفسهُ على مقعد من شدة التعب ونام بضع
ساعات وحلم احلامًا مخيفة واستيقظ قبل الظهر باربع ساعات
وبعد الظهر بساعة دخل الكراندوق قسطنطين المخدع الذي
كان كولانكور فيهِ وقال لهُ ان الامبراطور يسلم عليك ولم يقدر
ان يراك قبل ان خرج من القصر على اننا سنتناول الطعام
معًا وقد امرت الخدم بان يهيئوا الطعام في مخدع اسكندر
وسنبقى منفردين هناك ونحاول صرف الزمان الى ان يعود.
وبعد ان تناولا الطعام عاد كولانكور مع الكراندوق. الى المخدع
الذي كانا فيهِ وصرف النهار مختبئًا. وبعد الظهر بست ساعات عاد
الامبراطور وقال لهُ يا كولانكور اني جعلت نفسي كرجل سياسي
متوسط اكرامًا لك. وتحصنت في اراءٍ مهمة منعتنا عن ان نقرر
بدون تروٍ كافٍ امرًا مهمًا كاختيار ملك لفرنسا. وبعد ان
رايت اني قد استامنت من ذلك رجعت الى مسالة الوكالة.
فارجع بسرعة الى الامبراطور نابليون واخبره عن كل ماجرى
هنا وارجع حالاً بالسرعة الممكنة حاملاً اليَّ تنازل نابوليون عن
الملك بشرط تحويلهِ الى ابنهِ. فقال كولانكور ياسيدي ماذا

تفعلون بالنظر الى شخص نابليون . فقال المامول انك تعرف
قواعدي وتتأكد اني لا اسمح بوقوع الاهانة عليهِ فمهما كان
القرار لابد من ان يصادف معاملة حسنة . فارجع الى
فونتينابلو بالسرعة الممكنة وعندي ما يحملني على الالحاح بذلك
وخرج كولانكور من المدينة متخفيًا كما دخلها ملتفًا بعباءة
مستترًا بظلام الليل وسار معهُ الكراندوق قسطنطين ماشيًا
الى حديقة الالبزه حيث وجد مركبة تنتظرهُ . وعند وداع
الكراندوق قال لهُ يا ايها الكراندوق قد شاهدت من تنازل
الامبراطور اسكندر وحسن طويتهِ ما حملني على الاعتراف بانهُ
الرجل الوحيد الذي جمع بين السيادة والكرامة والنفوذ ولكن
الخدمة التي جئت لاجلها وقمت بها هي خدمة تقيد نابليون
الكريم الى الموت . وقال كولانكور في كتاباتهِ . ان الذين يقفون
على حقيقة الامور وقد وقع كره الامبراطور في قلوبهم بدون
عدل يتهمونني بالتعرض لاسكندر وعائلتهِ . على انني اتكلم
الحق بخلوص ومن الواجب عليَّ ان اعدل بالكلام فالادنياءُ
هم الذين ينكرون فضل من يحسن اليهم وينفعهم

وعند نصف الليل اقترب كولانكور من فونتينابلو وهو
المحل المقيم فيهِ نابليون ورأى ضواحيهِ مملوءة جيوشًا وكل

الاماكن المجاورة منارة بنيران خمسين الفًا من الجنود الذين كانوا بهياج شديد يطلبون القتال بتذمر · ولما دخل على نابليون راهُ صامتًا كانهُ فارقهُ منذ عشر سنوات · فقال لهُ ماذا فعلت هل رايت الامبراطور اسكندر ماذا قال · فتغلب الحزن على كولانكور برهة فلم يقدر ان يتكلم فامسك نابليون بيدهِ وشد عليها قائلاً يا كولانكور تكلم فاني مستعد لملاقاة كل شيء · فقال يامولاي لقد قابلت الامبراطور وصرفت ٢٤ ساعة مختليًا في مخدعهِ فهو ليس بعدوك ولا يعضدك الان انهُ يطلب ان نقوم بضحايا عظيمة فانهُ يسأل ان تسلم تاجك الى ابنك · فكدر هذا نابليون وبعد مفاوضة قصيرة مع كولانكور ذهب اخيرًا الى غرفة منامتهِ لينام مستريحًا

وكان لا يزال يتردد في صدر نابليون تخليص باريس من اعدائهِ ولو اطاعهُ قوادهُ ولم يخنهُ رجال دولتهِ لما تاخر عن الهجوم على باريس وربما وجد نجاحًا هناك وقرَّر السلطة لهُ غير ان من الامور المقررة ان العالم الفرنسوي وان كان قد تفرد في الشجاعة والمزايا ومحبة الوطن الاَّ انهُ كان قليل الثبات تحت السلطة فلا يبقى على حالة واحدة من هذا الوجه · فتاليراند رئيس مجلس الاعيان اجتهد في ان يحصل على رضى الدول

المتحدة فحمل الاعضاء على ان يقرروا خلع الامبراطور وانشأ
حكومة موقتة تحت رئاستهِ . وفي الساعه ١٢ من الغد عرض
الجيش ثانية على نابليون وقد اصدر اوامرهُ بان تتهيأ كل
الاشياء اللازمة للمسير الى باريس . وبعد عرضهِ جميع الاراء
العسكريين الموجودين معهُ عقدت مفاوضة قطعت حبال
امل نابليون وكادت تكسر قلبهُ . فان اعظم قواده واقواهم
امتنعوا من الحمل على باريس قائلين انهم قد خسروا كل شيء
ولذلك دخل مخدعهُ ما يوساً قاطعاً الرجاء من كل شيء .
وكتب ورقة واعطاها الى كولانكور وقال لهُ هذه ورقة
اعتزالي اذهب بها الى باريس . وهذه ترجمة ورقة الاعتزال .
لما كانت الدول المتحدة صرحت بان الامبراطور نابليون هو
المانع الوحيد لتقرير السلم فهو يروم بان يبرّ بيمينهِ ولذلك
صرَّح بانهُ مستعد لان ينزل عن العرش ويخرج من فرنسا
بل يبذل حياتهُ مراعاة لخير وطنهِ . غير ان ذلك لا يضر
بحقوق ابنهِ ولا بوكالة الامبراطورة ولا بالمحافظة على نظام
الامبراطورية . كتب في قصرنا في فونتينابلو في ٤ نيسان
(افريل) سنة ١٨١٤

وسلم هذه الورقة الى كولانكور واعهد الى مكدونال وناي

ان يرافقاهُ ليسلموهُ الى الدول . غير ان حظ نابليون كان لا يزال يتاخر وبسبب خيانة جديدة عدلت الدول عن قبول هذا الاعتزال والوكالة لابنهِ وذلك ان القائد مارمون كان يعلم ان الضباط الثانويين جميعاً يحبون نابليون فجمعهم اليهِ نصف الليل وخدعهم اذ انهُ اخبرهم ان الامبراطور صمم على ان يحمل على باريس وانهُ يسير بهم ليكونوا جميعاً طليعة للجيش في طريق فرساليا . فبادروا الى تقليد السلاح . واكمل عواقب خيانتهِ في ظلام الليل فساروا بحمية وفي الصباح ظهرت ادلة الخيانة وهاج القواد والعساكر فادعى بان من غاية نابليون تسليمهم وانهُ صارت المخابرة بالصلح ومن شروطهِ تفريقهم فصدقوهُ وعادوا بدهشة الى منازلهم ضمن خطوط الاعداء

واما الذين حملوا اعتزال نابليون فتقدموا بسرعة من باريس في اثناء تلك الحوادث ودخلوا المدينة في انارة مصابيح الليل . وترك كولانكور رفيقيهِ واجتمع بالامبراطور اسكندر فلاطفهُ ورأى ان لوائح الارتباك تلوح على وجههِ ومع ذلك قال لهُ ان الحوادث غيرت الاحوال فقال كولانكور يامولاي اني حامل ورقة اعتزال الامبراطور ليخلفهُ ابنهُ ملك رومية وقد جاء معي الماريشال ناي والماريشال مكدونال كمرخصين من

قبل الامبراطور وقد تهيأَت كل الامور ولم يبقَ الا عقد
المعاهدة . فقال لهُ القيصر يا ايها الدوق العزيز عندما ذهبت
كنا نحسب حساباً لمركز الامبراطور نابليون فان اجتماع الجنود
في فانتينابلو وحبهم لهُ وشجاعتهُ وحذقهُ كانت تلقي الرعب في
القلوب اما اليوم فقد تغير مركز الامبراطور . فاجاب كولانكور
ان جلالتك تخدع نفسك بهذا الظن فان الامبراطور قد جمع
تحت امرهِ في دائرة ضيقة ثمانين الف رجل يطلبون اليهِ
ان يدخل بهم باريس وهم يرتضون بان يدافعوا عن
امبراطورهم ولو قطعوا ارباً ارباً ولا ريب في ان باريس تبادر
الى الاقتداء بهم . فقال الامبراطور يا صديقي العزيز ان تكديرك
يكدرني غير انك تجهل كلما يجري فمجلس الاعيان قد خلع
نابليون وقواد الجيش قد بعثوا بانقيادهم الى حكمهِ من كل
الجهات ويسترون رغبتهم في ترك امبراطور قد سقط
ويصرحون بانهم ينقادون الى مجلس الاعيان . فهذه هي حالة
البشر . وفي هذه الساعة فتحت طريق فانتينابلو وامسى نابليون
في يدنا . فصاح كولانكور يا مولاي هل ظهرت خيانات جديدة .
فقال القيصر ان معسكر اسون قد انتهى والماريشال مارمون
قد خضع للمجلس هو وجيشهُ الذي اخذ يسير الى معسكر الدول

المتحدة . فسمع هذه الاخبار كانها صواعق وقعت على راسهِ وسكت لحظة ثم قال ان كل املي متعلق بكرامة اخلاق جلالتكم

فقال القيصر انهُ عندما كان نابليون مستنداً الى جيشهِ كان يمنع مشورات اعدائهِ عن النفوذ اما الان فقد تغيرت الاحوال . بترك القواد والجيوش طاعتهُ وقد امست فانتينابلو بدون مركز حربي مهم وقد خضع جميع المعروفين فماذا يا ترى اقدر ان افعل بعد هذا فاحكم . وعند ذلك رفع الامبراطور يدهُ على ذراع كولانكور وقال لهُ ولوائح الكدر تلوح على وجههِ ان الذين يخونونهُ هم الذين قد نالوا نعمتهم من يده وكذلك شهرتهم وثروتهم فلنعتبر نحن الملوك ــ وقد تحقق عندي اننا لو اردنا ان نجعل كوتوزوف يتبوأُ تخت فرنسا لضحوا فليعش كوتوزوف . فتشجع اني اسبقك الى الجمعية وسارى ماذا اقدر ان افعل . ثم تناول ورقة اعتزال نابليون وقرأها وقال اني اتعجب فانهُ لم يضع شرطاً واحداً يتعلق بشخصهِ وكنت صديقاً لهُ وساكون محامياً عنهُ وساصرُّ على بقاء لقبهِ الامبراطوري ورتبتهِ وان يكون ملك جزيرة البا او جزيرة اخرى

وعند اجتماع المرخصين لم ترضَ الدول باعتزال نابليون وتعيين ولدهِ ودافع ملك بروسيا في ارجاع البوربون ومرخص

برنادوت ملك اسوج امتنع من قبول الوكالة لابن نابليون مؤملاً ان عرش فرنسا ربما استقر على سيده وهكذا انتهت سلطة نابليون على فرنسا وباجتهادات اسكندر تعين لهُ جزيرة البا مقاماً وهو على اسباب الراحة والتنعم وتعين شوفالوف لمرافقتهِ الى ذاك المنفى . وقد قال لهُ اسكندر اني فوضت اليك خدمة مهمة اعتبرها من اعظم الخدمات فاكد ان سقوط شعرة واحدة من راس نابليون كافية لان تحملني على قطع راسك

وما من رجل يجهل قط ما خسرهُ الفرنسويون من النفوذ المادي والادبي من هذه المعاهدة الاولى وفي ٢ ايار (مايس) دخل لويس الثامن عشر باريس واقام في قصر اللوفر على العظمة والمجد ورجع برجوعهِ الكثير من الفرنسويين الضجر والملل وهم ينظرون الى اعمالهِ وتظاهرهِ بالفخار وحب الرفعة وسلك على هذه الخطة من نفس ذلك اليوم حتى ومع نفس اسكندر فانهُ كان يقدم لهُ كرسياً بسيطاً مع انهُ كان يجلس على كرسي بسندات وكان على الدوام يسبق ضيوفهُ الى غرفة الطعام ويجلس في صدر المائدة بمكان ارفع من مكان جلوس ملكي بروسيا وروسيا وياخذ الطعام لنفسهِ من الخدم قبلهما غير ان الامبراطور اسكندر لم يكن يفكر في ذلك ولا يعتني بمثل هذه

العوائد فضلاً عن انهُ حال اتمام الاشغال زار كجده بطرس الاول كل المحلات المشهورة السياسية في باريس والبنايات البديعة الفاخرة ولم يضيع يوماً واحداً بدون ان يرى بهِ شيئاً جديداً يستفيد منهُ ولاسيما غرف اهل المعارف والفنون فكان لا ينقطع عن التردد اليها والبحث مع رجالها . ومن ثم ازمعت بعد ذلك ان تتم قسمة اوربا في مجلس فينا حيث اعتمدت الدول على انشاء مجلس مخابرة في فينا عند ما لاح لنابليون وجه الرجوع ثانية الى فينا وقد طرد منها البوربون

وفي اجتماع فينا الدولي ناب عن القيصر الروسي رازوموفسكي ونسلرود وكابوديستريا وستا كلبرج . وأعهد الى زارتوريسكي وانستات بالمفاوضة بالاحوال البولونية وكان باتفاق تام مع متحالفهِ ملك بروسيا الذي كان يرغب في ان يتخلص من الاقاليم البولونية وان يعتاض عنها بسكسونيا ويعطي لملك هذه مكاناً آخر غير بلادهِ يقيم فيها وكان الامبراطور اسكندر يرغب في ضم كل بولونيا الى مملكتهِ ويجعلها برمتها من املاكهِ . ولا نعلم ما هي الفوائد التي ترتبت على ذلك بتضحية كل بولونيا واملاك ملك الساكس الذي تعين لهُ ان يقيم على الضفة الشمالية من الرين ويكون للفرنسويين

جاراً اقل خطراً عليهم من بروسيا · وعند المباحثة بهذا الشان
ابدى تاليران بالسلطة التي اكتسبها بالمجمع الدولي كل معارضة
ضد مطالب بروسيا وروسيا واسندهُ في ذلك انكلترا والنمسا ·
وفي ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) حتم الامبراطور اسكندر بوجه
قطعي انهُ يصر على انفاذ ذلك وامر البرنس روبنين حاكم
سكسونيا ان يسلم هذه القطيعة الى المملكة البروسية وان يشهر
ضمها الى فردريك غليوم الثالث واصدر امرهُ ايضاً الى
الكراندوق قسطنطين فدخل بولونيا وجمع بها جيشاً عددهُ ٧٠
الفاً ودعا البولونيين للمحاماة عن الاصلاح الوطني · فهذا
زاد في غيظ الدول · وسعى تاليران وكاستلرخت بعقد
معاهدة سرية بين فرنسا وانكلترا والنمسا وقع عليها في ٣
كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨١٥ فمن جرى هذا التناقض
في الغايات اوشك ان يقع بين الدول حرب عمومي وبهذا
النوع عادت فاخذت فرنسا محلها في اوربا وكان من المحقق
ان فوائدها كانت تقوم من جهة انكلترا والنمسا بما عرضهُ
زاروموفسكي بثبات وهو ان يقيم ملك الساكس في اقاليم الرين
ودارت المباحث كثيراً في هذا الشان وكثرت المشاحنات
والمخاصمات السياسية واخيراً انقشعت هذه الزوبعة حيث اظهر

الامبراطور اسكندر كل كرامة ورضي بان ياخذ قسماً جديداً من بولونيا فقط وان يعطى الى بروسيا ثلث سكسونيا (٧٠٠ الف من السكان) · وبقية تحديدات اجتماع فينا وتهيئة المعاهدة جرمانيا وإيطاليا ومملكة بيبا كل هذه تختص بالتاريخ العام · وفضلاً عن ذلك وقع التحالف الالماني الذي ترك عملاء روسيا ومتحالفي العائلة الامبريالية تتمتع بعيشة مستقلة وبسلطة تامة فهذا التحالف كان مفيداً ونافعاً لتعزيز القوة الروسية اكثر من النفع والافادة التي تولدت لها من جرى حرب سنة ١٨٧٠ · وقسمت بولونيا جديداً بين روسيا وبروسيا والنمسا · وهذا كان القسم الرابع ولكن فرض في معاهدة فينا ان الرعايا البولونيين الخاضعين للدول الثلاث المذكورة يكون لهم نيابة خصوصية وتعليمات وطنية تترتب وفقاً لعوائد الوجود السياسي وحالته · واصبحت كراكوفيا قطيعة حرة مستقلة

فمن كل هذه المعاهدات لم تكتسب روسيا كسباً يعادل قيامها في راس الدول المتحالفة واهتمامها بمصالح اوربا واسنادها مقاصد الدول بقوتها الفعالة وجل ما كان من نصيبها ؟ ملايين من السكان (مملكة بولونيا) مع ان بروسيا نالت ٥٣٦٢٠٠٠ (في بولونيا الغربية وسكسونيا وبوميرانيا الاسوجية ووستفاليا

والاقاليم الرينية) . والنمسا حصلت على عشرة ملايين (غاليثيا والمانيا وايطاليا) . ومن هذا ظهر ان الدولة التي اشتغلت اكثر من الجميع بتحرير اوربا كانت اقل مكافاة من الجميع . ومما عجل هذا الوفاق وقلع جرثومة المخاصمات بين الدول وصول الخبر برجوع نابليون الى باريس . وسوء حكومة البوربون حقق للدول وللعالم تنبؤات اسكندر من عدم موافقتهم غير انهم كانوا قد اتفقوا على ارجاعها ووقعوا على عضدها فالتزموا ان يقوموا بكل عمل مهما كان يصعب لاجلها وقصد القيصر ان يتبع اعمالهُ ولو كلفهُ ذلك خسارة الرجل الاخير من رجالهِ والريال الاخير من خزينتهِ . وكان نابليون قد بعث برسلهِ الى الدول المتحدة فلم يتسنَّ لهم ان يقطعوا حدود فرنسا وجرَّب بدون نجاح ليلقي الشقاق بين الدول المتحدة وكان يهتم بان يفصل اسكندر عنهم فيفوز بكل ما يريد واوصل اليهِ نسخة من المعاهدة السرية التي عقدت على روسيا وبروسيا بين تاليران وانكلترا والنمسا بوقت الخلاف على بولونيا وسكسونيا . فكان من نتيجة ذلك ان هاج غضب اسكندر بزيادة ضد تاليران والبوربون دون ان يستفيد نابليون شيئاً من ذلك . وارسلت الدول ثانية الى فرنسا

فمن ثماني مائة الف جندي كان ١٦٧ الفاً جيش روسيا الخاص
تحت رئاسة باركلي دي توللي الذي سمي منذ معركة باريس
الاولى بالماريشال الاول وتحت امرتهِ دوكتوروف وريافسكي
وساكن ولانجرون وسابانيف واورمولوف وو ينتزنجرود
وباهلين وبالرغم على حادثة واترو والحرب الهائلة التي جرت
بين المتحالفين ونابليون المعروفة بوقعة واترلو وتنزل نابليون
ايضاً عن الملك لم تمتنع الدول عن شن الغارة على فرنسا ·
وعند وصول اسكندر الى باريس وجد بلوشر يعاملها كمدينة
مفتتحة يتهددها بالتضييق ويطلب عوضاً عن ذلك على سبيل
الغرامة مائة ملبون وهو يتهيأ للغم جسر يانا فخلص المدينة من
تهديدهِ وسرَّ بهِ الاهالي وعلقوا كل امل بكرامة اخلاقهِ واعتبروهُ
كمخلص لهم ولمدينتهم بعد ان كانوا قد هلكوا من المعاملات
البروسية وحماهم من مطالب الالمان الباهظة

ووجد اسكندر سنداً لسياستهِ ومقاصدهِ وهو ولنكتون
الانكليزي وكلاهما كانا يعرفان ان قيام البوربون في فرنسا
محطاً لدوام الارتباكات وان حكومتهم هي اضعف الحكومات
وانهم غير قادرين على ادارة مهام الامور لترتاح اوربا وتبطل
الفتن والاضطرابات منها · ولم يقدر القيصر في هذه المرة ان

بمنع خزائن الفنون من النهب . وكانت مطالبهُ ومطالب انكلترا تقريبًا مشابهة وهي الطف مطالب الدول واخفها على فرنسا لانهُ كان من صوالح انكلترا وروسيا ان تبقى فرنسا قوية لانتظام الاحوال الاوربية ولاسيما الاحوال الشرقية فتكون فرنسا حليفة في المستقبل تعضد غاية كل دولة منهما فضلاً عن انهُ كان من غاية القيصر الروسي ان لا يعطي الالمان الضمانات الارضية التي كانوا يهتمون باكتسابها ويطلبونها . وقد قال سيبل . ان اسكندر كان يرى خطرًا عظيماً ويرغب في ان تبقى المانيا على الدوام متعلقة ببروسيا محتاجة اليها . وقال سبرتز . ان سياسي روسيا اعترفوا بخلوص نيةٍ انهُ لم يكن من سياسة روسيا اعطاء المانيا حدودًا متينة تجعلها امينة مطمئنة من فرنسا . وقال كابوديستريا بحرية لستين . ان لروسيا فائدة كبرى بترك فرنسا قوية وبواسطة قوتها مع وجود اهميتها في اوربا لا يمكن قط لغير دول ان تجرد قوتها ضد روسيا . واجتهد ستين بكل قواهُ عند القيصر اسكندر ليحملهُ على عضد مطالب مواطنيهِ الالمان . غير ان كثيرين من اصحاب القوات والنفوذ كانوا يقفون في سبيل نجاحهِ منهم الدوق دي ريشليو حاكم روسيا الجديدة ومؤسس اودسا وكان يرغب اسكندر ان

يراهُ قائماً مقام تاليران بقرب لويس الثامن عشر ومنهم ايضاً كابوديستريا وبو زودي بورغو ومستشاروهُ اليونانيون الذين كانوا يؤملون عند افتتاح المسألة الشرقية فائدة الوطن اليوناني وهم يؤكدون لروسيا خدمة سياسية ضد انكلترا والنمسا ومن جملة من كان يدعو اسكندر الى عدم اجابة ستين نفوذ مدام دي كروندنر الديني الذي كان يعظم في عيني اسكندر ويعتقد بها سمو النفس وعفة الذيل وكان في غرفتها (صالونها) احسن ما يوجد في باريس وهي تحيط الامبراطور بكلما كانت تملكهُ فرنسا من المتقونات ونحوها ومن الرجال الممتازين كشاتو مبريان وبانجامين وكونستان ومدام ريكاميه ودوقات دي ديراس ودي اسكار

ومما لا ينكر تساهل الامبراطور اسكندر بمطالبهِ من فرنسا فانهُ كان لا يجب ان يحملها ثقلاً تأن من تحتهِ زماناً طويلاً وربما لا تقدر على القيام بزمن طويل وهاك المطالب التي طلبتها الدول ومنها يعرف الفضل العظيم الذي لا تجحدهُ فرنسا فطلبت روسيا ان تشغل فرنسا بالجنود ويضرب عليها غرامة حرب فقط وطلبت انكلترا نفس هذا الطلب وزادت عليهِ ان ترجع فرنسا الى حدودها في سنة ١٧٩٠ . ومثل طلب

انكلترا طلبت النمسا وزادت بان تهدم قلاع الفلاندر واللورين والحيرا وتخلى. ودول المانيا وبيبا الثانوية طلبت تخلية الفلاندر والالزاس واللورين وسافوا. فليتامل المطالع عدل مطالب روسيا حيث لا ترغب في ان تخسرها ولا مترًا من الارض. وقال اسكندر الى رويشيليو في سنة ١٨١٨ ان الدول المتحالفة اجتهدت لان تقنعني بوجوب اذلال فرنسا ونظمت مذكرة في ذلك وكان ينقص لاجرائها امضائي واني اعدك بصدق انهُ ينقصها الى الابد. وقد عرض عليهِ الخارطة التي ربما كان ينتهي الاتفاق عليها وهي ان يوخذ من فرنسا فلاندر ومتس والالزاس وشرقي فرانش كونتي. وكان يهتم ستين وكارلو فيتزبان تقسم فرنسا الى اللغتين القديمتين اللتين كان يحكى بهما قديمًا في فرنسا بعد ان يكون قد اخذ منها اقاليم اللغة الفلامندية والجرمانيكية وكثيرون من المصابين بخفة العقل كانوا يطلبون ارجاع بوركونيه ومملكة الدول القديمة وخلف تاليران رويشيليو كوزير للامور الخارجية ووقف تجاه نتيجة جمعية الدول وطلبت اليهِ اخلاء سافوا وكوندي وفيليبفيل وماريتبورغ وجيفت وشارلمون ولاندو وفورجو وفولكليز وخراب اوننغ ودفع ثمانمائة مليون وان تشغل اراضي

فرنسا عساكر الدول الى مدة سبع سنوات من الشمال الى الشرق فقاوم رويشيليو هذه المطالب واحدة فواحدة ونقطة فنقطة . وقد قال كاجرن ان الروسيين بدون ان يلفظوا كلمة امتنان او يشيعوا المقصد من ارادتهم اهتموا بتلطيف هذه البنود . واخيراً كان من نتيجة اعمال رويشيليو ان خلص كوندي وجيفت وشارلمون وحصون بلاك وفولكليز وقلل الغرامة الى سبعمائة مليون وان تبقى عساكر الدول في فرنسا الى مدة خمس سنين فقط . وفي هذا الشرط الاخير ان الدول تحفظ لذاتها حق سحب عساكرها في مدة ثلاث سنين فقط اذا كانت حالة فرنسا تسمح لها به وهذه المعاهدة كانت في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨١٥ . فخرج اسكندر من باريس وتوكلت عساكر روسيا باشغال ليشامبانيا وبلورين وكان عددها نحو ٢٧٠٠٠ الفاً معها ٨٤ مدفعاً وعليها فورونزوف قائداً واعهد الى الوبيس بالوكالة السياسية وكلاهما كانا في نانثي وقد كتب نقولا تورکانیاف احد عملاء السفارة تفاصيل عديدة عن اشغال الروسيين اللورين

مملكة بولونيا . المجالس الدولية . اكس لاشابل وكاربسباد وتروبو وليباخ وفيرون

وانهى القيصر اعمال بولونيا بشرف عظيم اكثر من غيره من المتقاسمين الاخرين وكان ما يفرضهُ عليها من الضرائب اخف ثقلاً بكثير مما فرضتها عليها معاهدات فينا . وبعد حوادث فونتينابلو وضع دوميروفسكي القائد العام لطوائف فستولا جيوشهُ تحت امر الامبراطور اسكندر وكان البولونيون يوملون منهُ اصلاح وطنهم واعتقدوا بهِ نجاحهم وذلك لما راوا فيهِ من حسن الطوية وسلامة الباطن في مسائل باريس وتاكدوا الحلم فيهِ والاهتمام . وكثيرون من الذين اشتركوا بالحرب ضدهُ نالوا عفوهُ وتغاضى عن ذنوبهم ولم يقبل بان يتم مصائبهم بهلاك من استحق القتل . فعين لهم بوزن محلاً للاجتماع واقام اخاهُ الكراندوق قسطنطين رئيساً عليهم وهذا خطب فيهم في الحادي عشر من كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨١٤ خطبة فرنسوية ونشرها بينهم ما لها . ايها البولونيون اجتمعوا حول بيارقكم وتسلحوا بساعد الجد لصون وطنكم وعضد وجوده السياسي ما زال ذاك السلطان العظيم قيصر روسيا يهيئ لكم ولبلادكم مستقبلاً سعيداً . اظهروا ذواتكم

مستعدين الى عضد مقاصده الشريفة ولو بدمكم ونفس القواد الذين قادوكم منذ عشرين سنة الى طريق المجد والفخر يعرفون ان يقودكم اليهما مرة ثانية وهواي الامبراطور يعتبر قيمة شجاعتكم ومن جرى حروب هائلة سيئة العقبى وخراب عظيم بذلتم نفوسكم مع انها لم تتعلق بكم وامتزتم بمعارك ربما كانت نتائجها لو انتهت بنجاح قليلة الجدوى لكم ونافعة لغيركم . واما الآن فلا تضحوا شجاعتكم لغير وطنكم ومن المستحيل ان تغلبوا . وعلى هذا الوجه تصلون الى حالة تجعل الاخرين في خوف منكم والامبراطور وحده يقدر ان يوكدها لكم . انتهى . فهذا المنشور وقع موقع القبول وحل محل الفخر في جيش فارسوفيا العظيم وانزلوه منزلة الامانة . وكتب القيصر رسالة في ٣٠ نيسان سنة ١٨١٥ الى رئيس مجلس اعيان بولونيا بان ياخذ لقب ملك على بولونيا ويدعو الناس للجهاد ويتكلم عن الاهتمامات التي يجريها لكي يلطف شدائد الغرق ويحصل البولونيون في كل مكان على راحة التمتع الوطني

وفي ٢١ حزيران (جون) سنة ١٨١٥ اذاع صوت المدفع في فارسوفيا خبر تجديد قيام بولونيا ونشر قانون تنزل ملك ساكسونيا واعلان ملك بولونيا . واجتمع الجيش في سهل فولا

وحلف يمين الامانة وانتهى هذا النجاح وتزوجت عروس المملكة بالاسلحة الروسية . وبقي النظام الذي وضعهُ نابليون لها . فكان منهُ ان يكون مجلس اعيان ومجلس نواب فالاول يتالف من المطارنة ورؤساء الطوائف الذين سماهم الملك لمدى حياتهم . والاخر اي مجلس النواب يتالف من ٧٧ نائباً شريفاً و١٥ نائب مدن ولا يصح النائب ان يكون نائباً الاَّ اذا كان يدفع ١٥ روبل او اكثر من ثلاثين سنة والاخر اكثر من ٢٥ سنة وينتخب النواب اصحاب الاملاك الذين فوق السن ٢١ والرهبان والمعلمون والعلماء واصحاب الفنون . ويلتئم المجمع الانتخابي كل سنتين ويجلس ثلاثين يوماً . ومواضيع النظام الذي يعينها المجلسان اي مجلس الاعيان ومجلس النواب يجب ان تكون مقبولة من الملك ووجد بين الوزراء من كان في الحكومة السابقة . فسوبولوفسكي للمالية وماتيسزفيكس للداخلية وستانيسلاس بوتوتكي المعارف وفافرجسكي للعدلية وفيالاهورسكي الحرب والرئيس (خديوي) زايونتشك القديم في الحروب النابليونية . والاقسطنطين اخو الامبراطور فكان قائد العساكر البولونية العام ونوفوسيلتسوف وكوميسار تحت امره واذا كان هذان الاخيران قد قام الواحد مقام بونياتوفسكي

رئيس البولونيين والاخر مقام بينكتون مرسل نابليون وسزارتوريسكي لم يكن يتعزى حيث لم ينتخب رئيساً

ومن ثم اخذت الافكار السرية في اوربا ان تضطهد اعمال اسكندر وسرت الى داخل روسيا وابتدأت المخابرات في ان تمتد من جهة الى جهة دون ان يكون لاصحابها سبب يلجأون اليهِ ضدهُ لانهُ كان بالحقيقة صاحب اراءِ حسنة ومزايا كريمة فهو اقنوم المحالفة المقدسة الغير المضطهد وقد شاع صيتهُ في اوربا اشاعة عظيمة المقدار وجعل لروسيا في اوربا موقعاً شديد النفوذ من جرى قوتها الحقيقية الفعَّالة فهو الذي رسم الاشارة الى الحرب ضد نابليون وهو الذي حافظ باجتهاد على المقصد العمومي وحدهُ لما تغلب على رجل الاقدار والسعادة ولولا مباديهِ واهتمامهِ واقدامهِ لما افتكرت ولا تجاسرت اوربا ان تتسلح ضد نابليون . وترتيباتهُ الحسنة لاجل فرنسا تممت العمل الذي ابتدأت الحرب لاجلهِ وبدون شك كان اسكندر بمقدمة ملوك اوربا . وقد تعاهد ضدهُ ملك بروسيا من كل خاطرهِ ووقع امبراطور النمسا على المعاهدة السرية دون ان يعرف الاسباب اما لويس الثامن عشر فقد رفض التوقيع عليها .
ولا ريب ان نقولا الاول غلط غلطات عديدة ليخسر روسيا

هذا المركز العظيم الذي نالتهُ بما هو اشبه بالسحر

وكان قد ظهر نفوذ اسكندر بالمجالس الدولية حين جربت الدول الاوربية بان ترتب امور المحاربات البرية بالمشاركة . فاول اجتماع عقد بعد اجتماع فينا كان في اكس لاشابل سنة ١٨١٨ حيثما قرروا علائق اوربا مع فرنسا وتبين ان هذه المملكة بقيت مستكنة وقد انهوا مقاصدهم من جهة شغلها بالعساكر الاجنبية ومقاصدهم السرية لم تنجح الا انها اغاظت اسكندر غيظاً شديداً وقد قال في أثناء زيارتهِ للويس الثامن عشر لو كنت اعلم ان احد رعاياي ارتكب هكذا جريمة لكنت قاصصتهُ بالموت ولهذا السبب توصل ريشيليو لاتمام مقاصدهِ وهو ادخال فرنسا بالاتحاد الاوربي

وثاني اجتماع عقد بين الدول كان في كارلسباد سنة ١٨١٩ للاهتمام بمصالح المانيا والبحث في القلاقل الواقعة . لان خيانة امراء المانيا الذين نسوا الوعد بالحرية المقررة في سنة ١٨١٣ وخيانة فردريك غليوم الثالث ضد ذاتهِ حيث تخلص من عهودهِ بواسطة المطران ايلر البروسي ونفوذ مترنيخ المتهقر في مجلس فرانكفور هيجت فتنة عمومية في المانيا . فالشبان ومعلمو الكليات والمدَّعون بالحقوق العقلية واعضاء تيجابنند

القدماء طلبوا الاصلاحات المشار اليها وهيجان التلامذة الالمان في وارتامبرج وقتل كوتيزبو الذي قتله مورات ساند اغضب المجلس وفي هذا الوقت ظهر على ان اسكندر غيَّر مبادئهُ واطوارهُ . فمخلص اوربا وصاحب الافكار الحسنة نفذ فيه قصد مترنيخ ووقع على المطاليب التي ما لها حرم المانيا من الحرية التي وعدها بها في سنة ١٨١٣ . ووضع على المطابع جزاء شديد وحوفظ على المدارس الكلية بما امكن وطرد اولئك المعلمون اصحاب الافكار الحرة ومشيرو الحرب الاستقلالية . فلهذا التزم رفقاء اسكندر بالسلاح ان يفتشوا على ملجاء لهم داخل فرنسا الصغيرة

فبغتة تحركت الافكار في اوربا وثارت اسبانيا ضد ملكها طالبة لنفسها الاصلاح وكذلك قامت عدة فتن في بورتغال ونابلي وبيامون وهي تطلب امتيازات حرة ولهذا التزم الامبراطور اسكندر ان يجعل نفسهُ مبارزاً الطيور الجنوب وهم فردينند السابع ملك فرنسا وفردينند ملك نابلي فهذا الذي اراد اصلاح بولونيا وكفل اصلاح فرنسا عامل بقساوة شديدة مصلحي اسبانيا وايطاليا وارتكب بهذه المرة غلطة مضلة اشبه بضلال بولس الاول حيث ظن انهُ ملزوم بان يتداخل بتلك الاقاليم البعيدة

بمثابة المسائل الاجنبية لفائدة روسيا وطلب التئام مجلس دولي في ترويو سنة ١٨٢٠ ومن ثم نقلهُ الى ليباخ فملك نابلي كان باضطراب عظيم ولكي يتخلص من يمينهِ بالاصلاح طلب الى اسكندر ارسال جيش الى نابلي . وتعين لقيادة ذلك الجيش اورمولوف بطل بوردينو وكولم . فقلقت النمسا من جرى مداخلات روسيا في ايطاليا واسرعت بارسال فريمون الذي انهى خطتهُ بنجاح ولم يبقَ للعلم الروسي مجال للتجول في ايطاليا كما كان في سنة ١٧٩٩ فانسرَّ اورمولوف من ذلك وكتب يقول . لا يمكن لجنرال لاقى الاهوال والحروب بفرح مرات كثيرة مثلي ان يكون مسرورًا من جرى علمهِ ان الحرب لا تتم وما ذلك الاَّ لكي لا اعيد في ايطاليا اجراءات زمن البطل سوفوروف مع البونابرتيين فيكون ذلك سبب تعجب الاجيال الاتية . انتهى

وفي سنة ١٨٢٢ عقد مجمع فيروم الدولي وارسلت روسيا كبقية الدول لائحة تهديدية الى مجلس مدريد الاصلاحي . فاجاب المجلس المذكور جواب متكبر بقولهِ ان جيش فرنسا وحدهُ هو الموكل باجراء ارادة اوربا فيما وراء البيرانه واذذاك وقعت حوادث اعظم من هذه في الشرق استلفتت

اميال روسيا فان سكان شبه جزيرة البلكان الذين هم من
الجنس الروسي ومذهبهم كمذهبها اضطربوا بتمامهم وادعوا ان
النير العثماني ثقيلاً عليهم وتشكى اهالي الفلاخ والبغدان من
قساوة معاهدة بخارست . والسربيون الذين كفل لهم
اسكندر الاستقلال والذين سحقوا عندما كانت اوربا مشغلة
بغير جهة حملوا السلاح مع ميلوخ اوبرينوفتش وثاروا ثورة
عامة امتدت الى كل الاقاليم والى كل جزائر اليونان حيث قد
قتل ريغا الذي سلمتهُ النمسا للباب العالي فماذا يا ترى ازمع ان
يفعل اسكندر تجاه هذه الدنيا المستيقظة . اهل هو مزمع ان
يقوم بحرب اشبه بالحروب الصليبية ويقاد كبطرس الاول الى
شطوط البروث . او ازمع ان يشغل نفسهُ بمخابرات سياسية
ومنشورات مقلقة على حسب مقاصد كاترينا الثانية . او هل
ازمع ان يرى العالم فيهِ المخلص كما في سنة ١٨١٢ او رئيس
مجلس كارلسباد رجل الحق او مبارز الحق الملكي . كلاَّ . فقد
ظهر للطوائف في هذه المرة انهُ لا يجيب الى مقاصدهم بالقوة الفعالة
ولذلك رفض اليونانيون التصديق على كابوديستريا عند ما
اثبت لهم الامبراطور انهُ لا يعضدهم ولم يقدر ايبسيلانتي ان
يتصور ان الامبراطور ينكرهم حقيقة ومع ذلك قطع هذا البروث

واثار الشعوب الرومانية وذهب ليسقط الى ريمنيك التي كانت شاهدت انتصار سوفوروف بطل روسيا وبالرغم على امتناع اسكندر عن مساعدة هذه الشعوب ثارت كولوكوتروني وبليبوناز وسلح مافرميشايس المانيوتيين وابتدأت من ثم حرب الجهاد بواسطة ثورة المسلمين في القسطنطينية قصاصاً للثائرين وفي عيد الفصح ضربوا الشعب اليوناني ومسكوا البطرك من الهيكل حيث نسب اليه انهُ كان يكاتب الشعوب اليونانية لتثير على سيدتها وتخرج جاحدة من تحت طاعتها وشنقوهُ على ابواب الكنيسة وهو لابس ملابسهُ الكهنوتية وبقي مقدار ساعة ينظر الوزير الاعظم الى جثتهِ باحتقار ومن ثم سحبها اليهود على الوحول وذبح ايضاً ثلاث كهنة (متروبوليت) وثمانية مطارنة وذلك في سنة ١٨٢١ فاضطربت روسيا باثرها لهذه الاخبار والف ديابتوس رسم رحلة مدهشة مدح لاجلها وحققها عند حكم القيصر التابع الا ان اسكندر تبادل المخابرات السياسية مع الباب العالي وطلب مداخلة انكلترا والنمسا فلم تقبلا المداخلة ودامت المذابح على حالها فاشتغل بها اسكندر في فيرون بوقت اهتمامهِ بامور اسبانيا فهاج الشعب الروسي وزعم ان من الغضب الالهي التقاعد عن قصاص قاتلي البطرك اليوناني الا ان طوفان

بطرسبرج المرعب وموت اسكندر السري اخرا في تلك المقاصد . وبالاختصار ان حفيد كاترينا الثانية اضاف للمملكة فينلاندا وبولونيا وبسارابيا وقسم من القوقاس (داغستان وشيروان ومينكرالي وايماراتي) . فهذه كانت مدة حياة اسندر الاول الخارجية واما تاريخ حياتهِ الداخلي واصلاحاتهِ واهتمامهِ بالمعارف فهو كما ياتي

تاريخ حياة اسكندر الاول الداخلي

السنون الاولى . التريو مفيرات . قياسات حسنة الوزارات والمعارف العمومية

كانت سنو اسنكدر الاولى الداخلية سنو رخاء وخصب وافكار جيدة واصلاحات حسنة . وعندما قدر على التخلص من وصايا متعصبي ٢٤ اذار (مارت) سنة ١٨٠١ احاط ذاتهُ من وزراء قدماء كانوا عند جدتهِ ومن شبان مثلهِ فكانوا يجارونهُ على مقاصدهِ وآمالهِ واميالهِ الجديدة والذين حصلوا اولاً على النفوذ العظيم هم البرنس آدم سزارتوريسكي ونوفوسيلتسوف وستركونوف وكونشوبي فالثلاثة الاول باتحاد متين فيما بينهم الفوا ما دعوهُ (تريو مفيرات) وكانوا يعرفون اوربا الغربية اكثر مما يعرفون روسيا وانموزج سياستهم كان

ميلهم الى الانكليز فكان سزارتوريسكي من اسياد بولونيا العظماء ومن عائلة خرج منها ملوك لبولونيا وكان يفتكر باعادة وطنهِ الى ذات اصلهِ تحت حكم امبراطور روسيا واذ كان وكيل المجمع الشمسي في فيلنا استفاد من هذه الخطة ليساعد في روسيا البيضاء تعليم اللغة البولونية واذ كان وزير الامور الخارجية ومستشار اسكندر الوفي وضع تحت نظرهِ فوائد امتهِ ولا ريب انهُ كان يفتكر ان يكون رئيسها بصفة امير او وكيل الامبراطور

فاعيدت القياسات التي كانت في زمن الحكم السابق وسمح مجدداً للروسيين ان يسافروا بحرية الى البلاد الاجنبية وللاجانب ان يدخلوا روسيا وسمح ايضاً بدخول الكتب والجرائد الاوربية وتلطفت الضرائب وكثيراً من كتب المعارف امران تترجم وابطل تفتيش المراسلات السرية ونسبت تلك الاعمال التي كانوا يتعاطونها الى المجلس والخوارنة والشمامسة والاعيان ومنعت العذابات الجسدية عن فلاحي جيلدس

وتحركت في مجلس القيصر الشاب مقاصد متسعة النفع اتخذت كمقدمة للقانون المدني وكانوا يتفاوضون في موضوع اصلاح ويرغبون في تقرر حقوق الرعايا دون ان يمسوا سلطة

الدولة ورتبوا مجلساً تحت اسم (مجلس جلالته) وتقررت بنود
عتق العبيد باكثر واحسن مما كان في زمن كاترينا الثانية
بحسب مناسبة الوقت وباكثر حرية وسعادة من الفلاحين
الخصوصيين وكفل بانهُ لا يعود يسمح ببيع الارواح ولهذه الغاية
تقرر ان يشترى في كل سنة بمليون روبل املاكاً للملك وللعبيد
وعلى هذا القياس ابتدأت تبطل شريعة المقاولات بالاستعباد
او التحرير الاختياري الذي كان يقع بين الفلاحين واسيادهم.
وبيع العبيد كان جارٍ قبل تلك الايام في اكثر اقسام اوربا
فكانوا يباعون مع الاملاك والاراضي بالعدد وحصر المنافع غير
ان هذا الامر اخذ في ان ينقص ويبطل فالالمان في استونيا سنة
١٨١٦ وفي كورلاندا سنة ١٨١٧ وفي ليفونيا سنة ١٨١٩ اخذوا
في ان يجاروا اهل الجيل التاسع الجديد وابتدأوا بتحرير العبيد
الليثوانيين والتشوديين دون ان يمس ذلك بفوائدهم. وقد قال
موسيو بوكدانوفيتش. كل عبيد هذه الاقاليم التزمت ان
ترتع بنجاح الحرية وقد منع بيعهم لوحدهم او مع الارض التي كانت
تباع من الاسياد او مع عيالهم كما كان يجرى سابقاً ونالوا الحرية
بان امتنعوا ان يكونوا عبيداً لكائن من كان وباي واسطة
كانت واعترفوا لهم بحق الاقتناء لكل ملك من الاراضي والابنية

وكانوا بالحقوق المدنية فقط ممنوعين من انتخاب القضاة والحكام فلا ينتخبون ولا يُنتخبون . وعلى ما تقدم لم يبقَ لهم مع اسيادهم الّا علاقات مدنية ولكن في البداية لم يملكوا الاراضي بل بقوا لديهم بتعلق لا يخلون من التثقيل . انتهى . وذلك انهم كانوا في القديم عبيداً للاعيان لكنهم كانوا يملكون الاراضي فلا ينفكون عنها واذا انتقلت نقلوا معها والان قد صاروا احراراً واذ كانوا مجبورين لان يعيشوا ويتعيشوا بقوا يخدمون بصفة شركاء او فعلة زراعة الاراضي التي كانت تخص اجدادهم القدماء . وفوق كل ذلك فقد جددوا بالحاح منع بيع العبيد وعيالهم او اعضاء عيالهم بيد الدلال او بالمساومة على انهُ قيل ان هذه العادة كانت سائدة ولم يكن يصغى الى التشديد بذلك وقد قال بتاكيد نقولا تور كونياف انهُ كان يباع عبيد على مثل هذا الوجه تحت نوافذ السرايا الامبريالية

وابدى الامبراطور اسكندر افكارهُ الجيدة بخصوص الراسكولنكيين وقد كتب لهم في اعلانهِ . ان العقلَ والمعرفة اظهرا منذ زمان طويل ان اغلاط الشعب العقلية والمشاحنات وعظائم الامور اوجبت تفريق الكلمة وتضييع الفوائد فلا يمكن ان يشفوا الا بالنسيان وبالامثلة الجيدة والمسامحة اهل يوافق

الحكومة ان تستعمل الصرامة والقساوة لارجاع اولادها الضالين
الى حضن الكنيسة الحقيقية . انتهى . وحمى اسكندر كل المذاهب
الخارجة وزار في اسفاره اكثر من مرة اجتماعاتهم فهذه المعاملة
اللينة دعت كثيرين الى اعتناق الديانة الارثوذكسية حتى ان
فيئة من الراسكولنكيين الدوارين احتفلت باعتناقها الديانة
وكان البرنس غالتسين وزير الدين محطاً للوافدين المهتدين
واما في الاصلاحات السياسية فقد ابتدعت الحكومة
بدعتين مهمتين في سنة ١٨٠٢ فالاولى ابطال الوكالات في
بعض اشغال الدولة التي كان انشأها بطرس الاول واعتاض
حينئذٍ عنها بوزارات حسب اصطلاح دول اوربا . فكان
اسكندر الاول للحربية والجنرال فياسمياتينوف للبحرية والاميرال
موردفينوف ذو الحمية الوطنية للخارجية واسكندر فورونزوف
حفيد مستشار اليصابات للداخلية والكونت كوتشوبي للعدلية
ودرجافين الشاعر العظيم للمالية والكونت فاسيلياف للتجارة
والكونت رومانتسوف المشهور لوقاية الفنون والعلوم
وزامادوفسكي للمعارف وتلطفت علائق الوزارة مرات عديدة
وبالتتابع انشأ واوزارة الاملاك والمالك والتحقيق العام وطرق
المراسلات وبيت الامبراطور . والبدعة الثانية اصلاح عظيم

بخص ببطرس الاول وهوان اسكندر ورجالة الشبان انشأ واصلاحات جديدة لاجل المعارف العمومية فقسمت المملكة الى ست دوائر رسمية الاولى دائرة بطرسبرج وتشمل ست حكومات والثانية دائرة موسكو وتشمل احدى عشرة حكومة والثالثة دائرة دورباث ثلاث (الاقاليم الالمانية) والرابعة دائرة كهاركوف ست عشرة (مع القوقاس وبسارابيا) والخامسة دائرة كازان اثنى عشرة (مع سيبيريا) والسادسة دائرة فيلنا وتشمل ست حكومات (روسيا البيضاء) ويرأس كل دائرة نائب اعتيادي من الاعيان المعتبرين مثل نوفوسيلتسوف وبوتوتكي وادم سزارتوريسكي وهذا النائب يوكل بنجاح المدارس والطبع لها دائماً

وبنوا لتعليم الكهنة مدارس لاهوتية وعينوا دخلاً لها محصول بيع الشمع في الكنائس وعلاوة على هذه المدارس كان يوجد مدارس اكليريكية ومن ثم مجالس علماء الكهنوت في موسكو وبطرسبرج وكازان وكياف واقاموا مدارس في الضياع والمدن الصغيرة وهذه المجالس تدفع مرتبات معلمي المدارس وفضلاً عن كليات موسكو وفيلنا ودورباث اقاموا كليات كازان وكهاركوف وبعده كلية بطرسبرج توبولسك

واوستيوك وانشأ ول ٥ امدرسة تختص بالحكومات لتعليم فتيان الشرفاء الفنون العسكرية وبنفس هذا المقصد قامت بعد ذلك مدرسة اسكندراو كامني اوستروف ومدرسة تسزارسكوه سيلو ومن ذلك الوقت ايضاً تاريخ مدرسة التجارة والرياضة (ريشيليو) في اودسا والمدرسة لازارف او مدرسة اللغات الشرقية

وكان يترأس مجلس الاعيان الذي كانت قد قلت اهميته بسبب اقامة مجلس شورى الدولة الامبراطور او وزير مفوض واما اصحاب السيادة فكانوا يمانعون في التنازل عن حقوقهم فذات يوم قال لاسكندر احد مستشاريهِ . ياسيدي هل اذا كان يرفض احد الوزراء التوقيع على امر صادر من جلالتكم يحتاج الامر الى ذاك التوقيع . فاجاب الامبراطور بدون شك ان امرًا صادرًا مني يجب ان يجرى على كل حال بدون تاخير

سبيرانسكي . مجلس شورى المملكة . موضوع القانون المدني ومقاصد الاصلاحات الاجتماعية

منذ سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٨١٢ كان النفوذ السائد بقرب اسكندر الاول نفوذ سبيرانسكي ابن كاهن قرية وكان قد درس

في مدرسة اكليريكية ومن ثم صار مدرساً للرياضيات والفلسفة في مدرسة اسكندر نفسكي واستاذ اولاد الكسيس كوراكين. ثم ترك خدمة الدين والتعليم وصار كاتم اسرار كوتشوبي ومن ثم كاتم اسرار الدولة. وكان يتمتع بامانة اسكندر المطلقة ومع ان كل اصحاب الخطط الشيوخ كانوا يميلون الى الانكليز ويرغبون في تعزيز سياسة تلك الدولة عند القيصر ما عدا سيبرانسكى هذا فانهُ كان يحب فرنسا وكان يظهر لنابليون تعجباً شديداً من اعمالهِ وحكمتهِ وهذه الاميال الفرنسوية كان يقاسمهُ اياها اسكندر وجعلتهُ ان يتخذهُ اميناً على مقاصدهِ واسرارهِ ودام هذا الرباط يتجدد وينمو الى ان التزم الامبراطور اسكندر الى قطعهِ بسبب قطع العلائق مع نابليون وفي ذلك يقول بوكدانوفيتش. ان اميال اسكندر كانت تظهر كثيرة الى التحسينات ليكسب بذلك الجاه والعظمة وكان يقتنع ان لا اتساع روسيا العظيم ولا انتظام اللجن المدنية تسمح لهُ باحقاق افكارهِ فصار يودع من يوم الى اخر اجراء هذه الافكار الغير ممكنة في روسيا وكان يحب ان يتحادث مع اوفيائهِ عن الاصلاح الذي يفترضهُ وعن اسباب الحرية المطلقة ومواقعها وكان سيبرانسكى ليرضي الامبراطور يتظاهر بحرارة كبحام عن اصول

الحرية ولاجل ذلك تعرض للشكاوى من المقاصد العديمة الحكم والمواضيع التهديدية المكرسة من الزمان والعوائد . انتهى .
وحيث انهُ كان رجلاً ذا عمل دائم متواصل ومن رجال المعارف الاولين ويحب الوطن اكيداً كان اهلاً لان يحقق آمال اسكندر وافكاره ويحملهُ على ثبات العزم

فقدم سبيرانسكي لسيدهِ رسم قياسي للاصلاح وعرضهُ على مجلس الشورى فوضع عليهِ بعض ملاحظات . وحيث ان المجلس المذكور يتالف من اصحاب السيادة والنفوذ في المملكة صار بنوع ما صاحب الحق بوضع القوانين او بقبولها او عدم قبولها وكان عليهِ ان يفوض كل القوانين الجديدة والقياسية الغير عادية ولوائح الوزراء . وكان مقسوماً الى اربع اقسام . حرب . وقوانين . وتوفيرات سياسية . وامور مدنية وكهنوتية . فافتتح اسكندر المجلس في ١ — ١٣ كانون الثاني سنة ١٨١٠ . وتسمى سبيرانسكي كاتماً لاسرار مجلس شورى المملكة فكانت كل الامور تمر من تحت يدهِ وكان على نوع ما الوزير الاول . ولما كان يفكر ان مجلس الشورى هو الرئيس لوضع الشرائع والوزارات راس الادارة وجب ان يكون مجلس الاعيان في راس النظام القضائي . وكما انهم اعادوا السلطة الشرعية

بواسطة اصلاح مجلس المشورى والسلطة الادارية بواسطة اصلاح الوزارات كذلك وجب ان تنال السلطة القضائية بدورها الاصلاح التام . فتعين على المجالس ان تتركب من قسمين من القضاة القسم الاول يسميه الامبراطور والقسم الاخر بنتخبه الاعيان . ومن الواضح الجلي ان سبيرانسكي كان قد درس قوانين الجمعيات الفرنسوية العظيمة على انموذج سياسي . وفي منشور ٢ و١٤ شباط (ففربه) سنة ١٨١٠ عرفت اوراق المملكة كدين على الدولة وتوقف اخراق اوراق النقود وترتبت اخرجة جديدة لتكون ضمانة ونشرت قوائم الدخل والمصرف وانشئ صندوق مشترى الديون وكان نصب عيني سبيرانسكي وضع دفتر كدفتر الفرنسوية الكبير للدين العمومي وميزانية البلاد الغربية . وكان قد وضع القانون بثاني رتبة للعمل . وفي مواجهة دورفورت وجه اليه نابليون انتباهاً خصوصياً وتخابر مع اصحاب الادارة الفرنسويين ودعاهم عملاء رجال المراسلة الادارية لمجلس شورى الدولة غيران القانون النابليوني لم يكن يوافق تماماً الا الطوائف الحائزة على الحرية الشخصية والمالية المتمتعة بالمساواة امام الشرع . وكان ايضاً يعتبر سبيرانسكي استقلال العبيد كوضع حجر للزاوية وافتكر بان

بجدد عدد الشرفاء وان يؤلف اعيانًا من العائلات العظيمة التي لو وجدت بانكلترا لدعيت شيوخ الدولة ٠ وكثيرًا ما كان يشجع الكونت ستر ينوفسكي على نشر تاليف يتعلق بالتوفيق من جهة الحقوق بين اصحاب الاملاك والفلاحين ومنذ سنة ١٨٠٩ كان قد حتم بان الذين يكون لهم رتب من المدارس الكلية يتمتعون بافضلية على الاخرين للوصول الى الدرجات العالية وعلى هذا الوجه فالدكتور يكون لهُ دفعة واحدة الرتبة الثامنة والماجيستر (المأذون) الرتبة التاسعة والطلبة الرتبة العاشرة والمتعلم المتدرج الرتبة الثانية عشر

وكان سبيرانسكي مثل تيركوت وزير لويس السادس عشر ومثل ستين مصلح بروسيا قد صيَّر العالم ضدهُ فاعيان البلاط واصحاب غرف الاستقبال واكثر الشبان من رجال الحكومة انفوا من ان يكونوا مديونين بتقدمهم لا لتفانه وياسوا من أعلان سنة ١٨٠٩ وكذلك اصحاب الاملاك المغتاظون من اعمال سبيرانسكي لسبب استقلال العبيد واعضاء مجلس الاعيان المتكدرون من الرسم الذي جعلهُ لاصلاحهِ حيث رتب قسماً من المملكة بجوق حكومة عدلية وكل الاعيان والامراء كانوا يتذمرون من جسارة رجل دني الاصل ابن

خوري فرية حقيرة ويتمرمرون من زيادة الاخرجة . فكل
الفيئات المحسودة والمتكدرة منهُ تحدث ضده واتهموهُ بانهُ يحتقر
النظام الروسي وتشكوا منهُ كونهُ قدم لهم القانون الذي سنهُ
بونابرت ليكون لهم دستوراً للعمل واذ كانوا قريبين من فتح
حرب على فرنسا اخذ الوزراء بالاشف وارمفلت وغوريف
والكونت روستوبتشين واراكتشاف والدوقة كاترينا بافلوفنا
اخت الامبراطور في تكدير خاطره اي خاطر اسكندر على
سيرانسكي الى حد انهم وشوا بان سيرانسكي هو خائن
وشريك فرنسا بالذنب . وفي اذار (مارت) سنة ١٨١٢ نفي
بغتة من العاصمة وارسل كحاكم الى نيجني نوفغورود ومن ثم خلع
ووضع تحت المحافظة الاَّ انهُ بعد ذلك بزمان اي في سنة
١٨١٩ عندما سكنت حركات مقاوميهِ سمي حاكماً لسيبريا
وقام بخدمات مهمة وفي سنة ١٨٢١ رجع الى بطرسبرج لكن لم
يعد الى خطتهِ الاولى

اراكتشاف . عكس العمل السياسي العام
المهاجرون العسكريون

بعد فصل سيرانسكي دخلت السياسة في دور جديد
لان اخصامهُ ارمفلت وسيشكوف ورستوبتشين ارتقوا الى اعلى

الوظائف وجعل نديماً للامبراطور اراكتشاف كابورال غالتسينا الخشن الذي كان كالة ظلم لبولس الاول وكعدو الد لكل فكر وعمل جديد ولكل مقصد اصلاح وكرسول للسطلة المطلقة والطاعة المنفعلة واكتسب اولاً ركون اسكندر لما ابداهُ من التعبد لتذكار بولس وكان يظهر اشد امانة من كل رجال البلاط وارفعهم عظمة . وبعد ان غاب نابليون كان يدعي انهُ مخلص الشعوب ومحرر المانيا وموفر فرنسا ومنعم عليها بالحرية وموهب الاصلاح لبولونيا. ومنع الكتبة كنياستنيك سلوفستوستي من هجاء مشخصي دورهِ . وخلف النفوذ الفرنسوي النفوذ الانكليزي والبروتستانتي فكانوا يقفلون ملاعب التياترات الفرنسوية ويفتحون الجمعيات المختصة بالكتاب المقدس . وقد انتظمت جمعية الكتاب المقدس احسن انتظام وكسبت ثلثمائة الف روبل اكتتاباً ونشرت خمسمائة الف مجلد بخمسين لغة مختلفة وكذلك جمعية الكتاب المقدس الروسية مع فرعها القوزاقي تشركاسك نشرت ميئات الوف من الكتب المقدسة بترجمات مختلفة . ومن حرب سنة ١٨١٢ قطع الامل من الاصلاحات التي كانوا ابتدأوا بها ولم يتعودوا عليها حق التعود وسقط قانون سيرانسكي لسقوطهِ وضاعت اجتهاداتهُ واخذت

الاعمال في روسيا ان تسري بما يعاكسها

وحالاً عندما راى اسكندر سريان الاحوال على هذا النمط عرف فضل سبيرانسكي وصار حزيناً وهو لا يتمكن من اجراء مقاصده وافكاره الجيدة تشتتت . وبعد اجتماع لاشابل وتروبو الدولي لم يعد هو ذات الرجل . وفي ترابو اخبره مترنيخ بتعظم عن تمرد قائده سيمينوفسكي المحبوب بين كل فرق الحرس ومنذ ذاك الوقت راى ذاته كمغشوش من افكاره الكريمة . واكتشف في اكس لاشابل على مؤامرة ضده واصلح بولونيا وبولونيا لم تكن تفكر الا بان تعتق ذاتها من الاستعباد تماماً بينما كانت روسيا برمتها تطلب منه حساباً عن الخطر الجديد الذي انشأه عند حدودها باعادة قيام المملكة (ليسوت) وبذاك الوقت انشئ الاتحاد المقدس المختص بالملوك وهو ضد الشعوب ففي كارلسباد وفي ليباخ وفي فيرون عاكس اسكندر اعمال اوربا وفي الشرق نكره ايبسلانتي وفي روسيا احتمل نفوذ اراكتشاف والمظلمين (الذين لا يريدون ان يروا دخول النظام الحسن الى الشعوب) وابتدأ حكم اصحاب اراكتشاف

ومن جرى عظات الكاهن سيرافيم وقف اسكندر امياله

من جهة جمعية الكتاب المقدس وخلع الوزير الكريم وزير المعارف العمومية وصديقهُ القديم الكونت غاليتسين واقام مقامهُ سيشكوف فتزايد الخطب يوميًا ولكن اعقب ذلك عمل محمود وهوان اسكندر طرد اليسوعيين من بطرسبرج واخيرًا نفاهم من كل المملكة قصاصًا لهم على التحيلات التي كانوا يستعملونها لادخال الاخرين الى مذهبهم وبالحقيقة انهم كانوا حملًا ثقيلًا على الروسيين لانهُ ظهر لوكلاء الكليات الارثوذكسية جليًا ان اليسوعيين وجدوا لاعدام كل فكر استقلالي حر . واقيم رئيسًا لكلية كازان رونيخ وفوض اليهِ ان يرتب التعليم مطابقًا للقانون المحالفة المقدسة . فهذا طرد احد عشر استاذًا ورفع من المكتبة كل الكتب المشتبه بها وعلى الاخص كتاب كروتيودس في حقوق الشعوب ومنع تعليم العلوم الجيولوجية المختصة بالعالم بيفون وحصر علم الطب بان يكون طبًا مسيحيًا محترمًا وحرم تشريح الموتى وقارًا للجثة . وقد اظهر استاذ الهندسة نيكولسكي بالزاوية المثلثة اقنوم الثالوث وبالفرد اني بالعدد الواحد الوحدة الالهية وفي كلية كاركوف طرد المعلمان شاد واسيبوفسكي وفي كليات بطرسبرج طرد الاساتذة غاليتس معلم الفلسفة وهرمان وارسني معلما المساحة وروباخ استاذ

التاريخ واحضر هولاء كلهم رونيخ امام مجلس عام فادعى على الاول بعدم النقاوة واتباع فلسفة شلنك وادعى على الاخرين باتباعهم مذاهب مخالفة لكونهم درسوا علوم شلتزر اعني لكونهم ذموا العبودية الحراثية وقد انفوا قبول اساتذة من الغرب في المدارس الروسية ولم يقم لها اساتذة من الروسيين

والعمل الذي كان اكثر نفوذاً من ادارة اراكتشاف هو انشاء قانون للعساكر المهاجرة ومما تضمنهُ هذا القانون ان يقام بقيام العساكر عند الفلاحين بعض اقسام من القطيعات فاذا كان اولئك العساكر متزوجين يصحبون نساءهم معهم الى القرى واذا كانوا غير متزوجين يتزوجون ببنات الفلاحين فاذاً كل قرية تولف ٠ اولاً ٠ من عساكر مهاجرة ٠ ثانياً من فلاحين ابناء المكان فالعسكري يساعد الفلاح بشغل الحقول واولاد الاثنين كانوا خاضعين للخدمة العسكرية وقطيعات المهاجرين كانت محرومة من السلطة المدنية وخاضعة لادارة وقضاة الجندية ومجموع هذه القطيعات في حكومات نوفغورود وموهيلف وكاركوف واوكاتيرنوسلوف وكرسون كان ١٢٨ فرقة من المشاة و ٢٤٠ فرقة من الفرسان ٠ فهذا القانون كان يظهر محموداً وممدوحاً حتى ومن نفس سيبرانسكي لانهُ

كان يوكد دخلاً قانونياً ويثقف الجندي لعدم انفصالهِ عن عائلتهِ ويكفل لهُ ملجاء لشيخوختهِ ويساعد بالفلاحة والزراعة وينقص عن الحكومة مصاريف الجيش وعن الاهالي ثقلة المساكن والمطاليب الرسمية واخيراً كان ينشاء على حدود المملكة طائفة عسكرية . وكانت الحكومة تزيد لهم الاراضي وتمنحهم الحرية الممنوحة للفلاحين الموجودين بالعاصمة وكانت تصلح بيوتهم وتدفع اموالاً عند تزويج بناتهم

فساكنو البراري لم يفهموا معنى هذا القانون بحسب مضمونهِ السابق بل فهموا منهُ انهم يكونون خاضعين وهم داخل بيوتهم لمحافظة هي اشد قساوة من محافظة السادات القدماء وخاضعين لعبودية مضاعفة كحراثين وكجنود بوقت واحد فكانوا يلعنون افكار اراكتشاف وثارت لذلك ثورات عديدة فاراكتشاف تضجر من جهلهم الجسيم ومن نكرانهم الجميل ورماهم بقساوة لا توصف

الجمعيات السرية . بولونيا

وتولد في روسيا عناصر جديدة نتيجتها الفتن والاضطرابات واخذت تنمو وتزيد ومع ان ذاك الزمان لم يكن كزمن كاترينا الثانية حيث يمكن لكل انسان بدون قصاص ان يحرك امام

الطوائف الغفلة اعظم المسائل المهمة لدى الهيئة الاجتماعية فان اجتهادات اسكندر المحمودة الكريمة في سنيهِ الاولى وجدت سنداً لحفظ حياتهِ وكرامتهِ ومع ذلك فان الاتفاق لم يكن تاماً بين المالك وشعبهِ . وكان في كل وقت يتشوق لاتمام مقاصده وكانت مبادئهِ الحسنة معروفة من الجميع الأَّ ان افكار رجال الحكومة كانت تغيظ الاهالي وتظهر لهم انهم سيتقهقرون الى الوراء ويخسرون ما كانوا حصلوا عليهِ بجدهم واجتهادهم واشتروهُ بدمائهم . لاسيما عندما نظر العساكر الروسية الى باريس واقاموا على التربة الفرنسوية وشاهدوا نتيجة الاصلاح والتقدم والاجتهادات في الانشاءات والاختراعات ولحظوا ان الفتن والثورات التي وقعت في زمن كاترينا الثانية ومقاومتهم لها وادعاءاتهم الباطلة كانت ويلاً عليهم وقد راوا عياناً كل ما كانت تريد ان تتم اجراءهُ او اجرتهُ موجوداً بالممالك الغربية ومن جرى ذلك حققوا وجوب انتصارهم على الاهتمام بنجاح جديد . ومنذ تاريخ رجوع الجيوش الروسية الى بلادها اخذت الالسنة ان تلهج بالنجاح والتقدم وقد كتب نقولا توركينياف في ذلك ما ياتي . اخذت تنتشر في روسيا راية الافكار الحسنة كما كان يقال حينئذٍ وفضلاً عن الجيوش المنظمة كان اجواق

من المتطوعين قد راوا البلاد الاجنبية وشاهدوا عمرانها وهولاء المتطوعون من كل رتبة بينما كانوا يقطعون الحدود راجعين الى بيوتهم كانوا يخبرون عن كل ما نظروهُ في اوربا حتى ان الحوادث نفسها كانت تتكلم بصوت عالٍ اكثر من كل صوت بشري وهنا كان الانتشار الحقيقي . انتهى . وكذلك بستل احد المفتنين في سنة ١٨٢٥ كان يعترف بقولهِ . اني رايت حينئذٍ اكثر الترتيبات الجوهرية التي اقامتها الثورة حفظت بوقت اقامة الحكومة الملكية كاشياء نافعة مع اننا كلنا سابقًا وانا بالاول كنا نقوم ضد تلك الثورة فاستنتجت من ذلك جليًا انهُ لم تكن تلك الثورة ردئية بقدر ما كانوا يشخصونها حتى انهُ كان يوجد بها شيء صالح اثبت في فكري باعتبار ويقين ان الدول التي لم تقع بها ثورات تكون على الدوام محرومة من الحقوق والحرية . انتهى

ولم يكتفوا كما في زمن كاترينا الثانية بقراءة مولفات مونتسكيو ورينال وجان جاك روسو بل صاروا يقرأُون مولفات بيكنون ولاكرتال وترانى وبنجامين كونستان ووجدت اصوات الفصاحة الفرنسوية صدى بشبان روسيا الشرفاء وبقسم كبير من اهالي البلاد ونجحت الاداب نجاحًا عظيمًا ولم يكن

الترويض الاوربي بالظاهر فقط بل كان يخترق القلوب و يتخلل الاحشاء ويدخل الحاسات وكثيرون يفتكرون بالاصلاح الاوربي مثل ويلهلم كوشلبكر . وقد قال اشهر الكتبة في تاريخ روسيا . ان الله احسن بالصفات الكريمة والافكار المنورة على الشعب الروسي وهذا الشعب الذي لغتهُ رنانة وغنية وقوية ليس لهُ شبيه باوربا وخلقهُ الوطني مركب من بساطة وشفقة وذكاء حار . واستعداد شريف النفس لمسامحة الاساءات وكل ذلك كان يمكن ان يسحق ويعدم ولا تنضج ثمرتهُ قبل ان تساعد الحكمة الالهية هذه الطائفة العظيمة وتسهل لها طرق المعارف والاداب كما سهلت لها طرق العظمة والمجد فمدت سلطتها بوقت قريب الى مسافات بعيدة حتى نفذت الى اعماق اوربا وبذلك اينع غصنها الغض وازهرت حديقة جمالها الباهر فعرف الكبير والصغير في تلك الايام ما لهذه الامة من الكرامة والشهامة والشجاعة والبسالة . وهذه النفوس الكريمة كانت تتعذب عند نظرها بعض الاحيان الى الظلم ينفذ من المرتفع في المتضع وذلك بسبب روابط السلطة الواقعة مثلاً بين المتوظفين ومستخدميهم وبين الضباط والانفار وبين اصحاب الاملاك والفلاحين وكانوا يغتاظون عند تذكرهم

ونظرهم الشعب الروسي وحده في كل اوربا مفتضح بالاستعباد للاراضي التي يباع ويشرى معها وبالخدمة اللازمة وبالهبات الوقفية المحبة الناتجة عن البربرة القديمة السلافية والنير التتاري الثقيل وعند نظرهم ايضاً العسكري الروسي الذي حارب شجاعة العالم وقهر السلطة البونابرتية خاضعاً عن طوع لقصاصات جسدية مختلفة وما كانوا يصدقون ان الارادة المضادة المسلطة تنفذ باعمال اسكندر ونيتهِ الجيدة وهذا الذي جعلهُ سعيداً في اعين المورخين ولا سيما في اعين العقلاء من اتباعهِ وقد قال هو نفسهُ في ذلك الى مدام ستائيل ان اجتهاداتي قدرت ان تقوم بالشرائع العادلة والنظام الحق . انتهى

ورغماً على ملاحظات البوليس قد تجددت جمعية الماسون المضطهدة في زمن كاترينا الثانية وبولس الاول وكانت تنتشر في روسيا وفي بولونيا والاقاليم البلطيكية وكذلك اقيمت جمعيات ذات هيئة حربية وبقيت زماناً مكتتمة الاعمال على بعض مقاصد سرية . وفي سنة ١٨١٨ تالفت في موسكو جمعية الفضيلة تقليد نيجانبوند الجرمانيكية وكان منها البرنس تروبتسكواي ونيكيتا مورافياف وماتفاي وسرج ومورافياف

ابوستول ونقولا تور كيناف وفيدور غاليتنكا وميشال اورلوف والاخان فون فيزين وباكوشكين ولونين والامراء فيودور شاكوفسكواي واوبولانسكي وعدد غفير خلافهم ولم تكن اعضاء هذه الجمعية على وفاق تام على نوع الحكومة التي يرغبون في اعطائها لروسيا . فالبعض كانوا يرغبون في الحكومة الملكية الشرعية الموافقة لقوانين المملكة والبعض الجمهورية واول من لفظ اسمها نوفيكوف . وبسبب هذا الاختلاف انحلت تلك الجمعية نحو سنة ١٨٢٢ . ومن ثم تفرع منها دائرتان وهما جمعية الشمال او جمعية بطرسبرج وجمعية الجنوب التي انتشرت على الاخص بين ضباط حرس ايكرنا وروسيا الصغرى حيث كان الكولونل باستيل يدسُّ سم الجمهورية واقيمت جمعية ثالثة اقل اهمية من الاثنتين وهي جمعية السلافيين ومن غايتها انضمام الشعوب السلافية وكانت تدعي ان لها فروع مشتركة معها في بوهيميا وبلغاريا والسرب . فالجمعيات الروسية دخلت نحو سنة ١٨٢٢ بالعلاقات مع جمعية بولونيا الوطنية التي منذ ذاك الحين كانت تستعد للعصيان ولكي تكون امينة من مساعدة البولونيين التزمت بحماية اصلاح وطنهم . وكان اكثر اعضاء الجمعيات الروسية حماسة وحمية باستيل وابن

ريلاف احد مديري البوسطات القدماء وكانوا يتذكرون عبودية آبائهم ويفكرون بان يقدموا لنفوسهم كفارة تعزيهم عن ذلك . وفي زمن الاجتماعات في كياف قرأ باستيل لائحة ترتيب جمهوري وقانون مختص بالتسوية وكان يظهر من مواضيعه ان عائلة رومانوف موضوعة تحت سلطته وهو مصمم كل النية انهُ لا يرتجع عن قتل الامبراطور ومحو العائلة الامبرالية ومن حضن جمعية الجنوب كانت تتالف عصبة اكثر شرًا تجاه قتل الملك ووجب عليهم الانتظار لان يستفيدوا من الفرصة الاولى التي تظهر لديهم مثل عرض العساكر على الامبراطور الذي يجب ان يمرّ في وسطها سنة ١٨٢٤ الى جيوش ايكرن وانتشر هذا المقصد سريعًا بين ضباط الحرس وكانوا يجتهدون بان يكتسبوا اميال الجنود واعدينهم بالحرية وتلطيف القانون العسكري

حركة ادبية وعلمية

لم يكن تيقظ الفكر الرومي والتمدن وسيلة لعقد مؤامرات سياسية فقط بل كان يظهر لهُ تاثير في القيام بالمعارف والفنون في كل ناحية شعر اهلها بلذتهِ اي لذة التمدن فكان زمن اسكندر

عظيماً بالحركة العقلية الصناعية كما في الاداب فكانت الاميال الى الانشاءات والاختراعات والتعليم والتعلم تخرق الى اعماق الطوائف وتكتسب نفوذاً واتساعاً وتنتشر في الاقاليم البعيدة والهجوم الذي كان وقع سنة ١٨٠١ لم يكن ليوقف من تلك الحركة الموذنة بالنجاح فيما بعد حتى وان نفس اسكندر المنفعل الذي كان وجب عليهِ ان يكون متحذراً من حرية الافكار فيعاملها بقساوة لم يرضَ مع ذلك بتنقيص عدد الجمعيات العلمية التي بنيت وتاسست بمظاهر نافعة وكذلك الجرائد والمكاتب كانت تزيد بدون انقطاع

والفت حينئذٍ دائرة ادبية (لابيزيادا) وكان كريلوف يقرأ فيها (قصصهُ) فابل ودجافين ينشر قصائدهُ وكان بمدة امتداد نجاح المدارس بولف جوكوفسكي وداشكوف واوفاروف وبوشكين وبلودوف والبرنس فيازمسكي قصصاً متنوعة (رومان) . وفي بطرسبرج جمعية اصدقاء العلوم والاداب والفنون وفي موسكو جمعية اصدقاء العلوم والفنون نشرتا مجموع اشغالها المهم . وجمعية تاريخ الاقدميات الروسية والجمعية الارشبولوجية في اودسا وجمعية الاداب الوطنية في كازان وجمعية اصدقاء العلوم في كاركوف وعدة جمعيات أُخر كانت

تضحي ذواتها للعلوم الارشيولوجية والرياضية والطبيعية والطبية الخ . وفي بطرسبرج نشرت الجرائد الكثيرة واسماؤها . بوسطة الشمال . ورسول من بطرسبرج . ورسول الشمال . وزئبق الشمال . ورسول صهيون . والديموكربه . وكان كروبوتوف يتكلم فيهِ ضد انتشار العوائد والافكار الفرنسوية وقد رثى كلب بالاياس برثاء محزن وبطريقة مجازية فانهُ كان يعني به ذاك الكلب الشجاع الطويل الوبر لكونهِ لم يدرس في مدرسة كلية ولم يهتم بالمسائل السياسية ولا قرأ كتب فولتير . الخ . وكانت هذه الافكار سريعة الانتشار في موسكو . فكاراما زين الف بها رسالة دعاها رسول اوربا . ومكاروف دعى رسالتهُ زئبق موسكو وسرج غلينكا دعاها الرسول الروسي . وهو مجتهد لان يهيج الحماسة الوطنية تارة بالتحذر ضد كل نفوذ عقلي او ادبي مصدرهُ من الخارج وعلى الاخص العوائد الفرنسوية وطوراً يدعو الراي العام الى التسلح ضد نابليون ويعلم الشعب ان يضحي ذاتهُ للوطن محركاً ومثيراً الحماسة للقيام بحرب وطنية وعندما انتهى عملهُ وفازت روسيا غاب الرسول الروسي وقام مقامهُ ابن الوطن وقد تم عملهُ الى ما وراء الحدود من محبة حرب نابليون وهو يعاملهُ كظالم غاشم وقاتل وكان يدعي رفاقهُ

بالقتال اي فواده الاخصاء باللصوص ومما قالهُ فيهِ اي في نابليون . اعلم منذ الان الى اي حد النسل المتعاقب يلعن اسمك . انت جالس على عرشك بين الصواعق واللهيب اشبه بسطنائيل في وسط الجحيم ممنطقًا بالموت والخراب والغضب والحريق . انتهى . وانتشر في سنة ١٨١٢ الجرنال المدعو (العاجز الروسي) لتعزية العساكر المجروحة والمصابة . وعندما تلطفت الاحوال اي عند سقوط نابليون اندثرت تلك الاحقاد ضد النفوذ الفرنسوي

وتقريبًا كل كتباء ذاك العصر في روسيا تداخلت بالحرب الصليبية ضد الفحش النابليوني والبعض دفعوا من شخصيتهم ضد حرب فرنسا فجوكفسكي حارب في بورودينو وباتيوسكوف حارب في سنة ١٨٠٧ و١٨١٢ وجرح هيلسبرج وبينين عرض ذاتهُ للقتل في ليبسيك والاميران فيازمسكي وشاكوفسكواي خدما في معسكر القوزاق وغلينكا رغمًا على تقدمهِ بالسن تطوع بين متطوعة كارامزين وكان كريلوف يكتب قصصهُ المشهورة (فابل) التي وضعت بقرب لافونتين الشاعر الفرنسوي وبرواياتهِ تحول مخزن بضائع الزي الجديد او بالحري مدرسة السيدات الى اضحوكة بالذوق المفرط

الراغب في الاشياء الفرنسوية · ومثلهُ كثيرون الفوا وكتبوا روايات وتراجيديات ونظموا قصائد بعضها لاثارة الافكار الروسية وبعضها للطعن في نابليون وفي العوائد الافرنسية واكثرها من سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٨١٣

وبوجه الاجمال علم الاداب في زمن اسكندر كان مطلق الحرية وكان لكل شخص الحق في ان يكتب للمنفعة الوطنية فكان البعض يكتب مشخصاً الاعمال الالمانية والبعض الاميال الانكليزية الى غير ذلك · وكما انهُ في فرنسا من جرى الرغبة في القصص ومطالعتها تولدت المباحث التاريخية وعمل على درسها كذلك تاريخ مملكة روسيا الذي الفهُ كارامزين فانهُ كان ذو انموذج قاسٍ قليل الضبط من خصوص الازمنة التاريخية لكنهُ اشتهر بواسطتهِ ببراعة النظم والعظة وحسن الاملاء وخط للمعارف الروسية خطة جديدة ، وقاد مولفي المواقع والقصص الى ذوق موافق للرعايا الوطنيين · فسلتزر كان قد الف (نسطور) التاريخي القديم الكيافياني اب التاريخ الروسي · وتمتعت المعارف بالحماية والحرية والجد براً وبحراً . ففي سنة ١٧٠٢ الربانان كروزانسترن وسيزيانسكي ركبا المراكب ورافقهما العالمان تيلاذيوس من ليبسيك وهورنر من

هامبورغ وانهوا اول سفرة روسية حول العالم وقرروا المواصلات مع الممالك الاميركية والجابون . وفي سنة ١٨١٥ سبر الربان كوتزبو اوقيانوس الجنوب ومن ثم اوقيانوس الشمال الثلجي . وآخرون كذلك جدوا الى البحث في سيبيريا وعرفوا منذ ذاك الوقت ان اسيا لم تكن متصلة بامركا كما كان ادعى ذلك بيرني الانكليزي

وفي سنة ١٨١٤ فتحت المكتبة الملكية في بطرسبرج واحتفل بافتتاحها احتفالاً عاماً فكانت تحوي حينئذٍ ٢٤٢ الف مجلد طبع و٠٠ الاف نسخة خط والذي سبب قيام هذه المكتبة وقاد الراي العام الى استحسانها انتصارات البطل سوفوروف حيث ارسل الى روسيا مكتبة ملوك بولونيا

ورغماً على اثقال الحرب جرت في مدن روسيا اصلاحات عديدة ففي بطرسبرج بلطت الازقة باعتناء وبراعة صنعة وكثير من الطرق التي بلطت بالصوان تشهد باعتناء الحكومة فتومون اقام دار الندوة المالية ومونتغران ابتدأ بكنيسة القديس اسحاق العظيمة الواسعة . وكانوا يبنون كنيسة السيدة دي كازان على نسق كنيسة القديس بطرس في رومية واقيم امام هذه الكنيسة تمثال سوفوروف ومن ثم تمثالا باركلي دي توللي وكوتوزوف

كلها مركبة من البرونز . وبنيت بولتافا تذكاراً لانتصار بطرس الاكبر . وغير ذلك من الابنية التي تشهد باهتمام اسكندر الاول واعتنائهِ في نجاح بلادهِ نجاحاً صادراً عن نيتهِ الكريمة ومحبتهِ الصحيحة لرعيتهِ وحكمتهِ في الاعتناء بها وسياستها

وترك اسكندر العاصمة في سنة ١٨٢٥ لزيارة اقاليمهِ الجنوبية وان يقيم في تاكانبروك وقتاً لمنفعة صحتهِ وفي حين سفرهِ ظهر عليهِ انهُ متأثر باحساسات محزنة . وفي دير القديس اسكندر نفسكي طلب ان يقدسوا قداس مناحة وفي وسط النهار تركوا بغرفتهِ الشموع مضيئة وقبل ذلك فاض طوفان على بطرسبرج فخرب اكثرها وظهر للشعب ان ذلك قصاص سقط عليهم من السماء لعدم اهتمام روسيا بمسيحي الشرق . وفي تاكانبروك تناول اسكندر رسائل كثيرة الشبهة عن مقاصد جمعية الجنوب بقتل سيدهم وربما تذكرات سنة ١٨٠١ المرعبة اضيفت على هذه فاحدثت تهيجات سوداوية . وكان يتفكر بحزن بالاضطرابات المقلقة التي كان مزمعاً ان يسلمها الى خلفهِ وفي ١٩ من تشرين الثاني وقبل اول كانون الاول (ديسمبر) انتقل هذا الامبراطور العظيم الاعمال الكريم الافكار الى رحمة الله تعالى بين يدي الامبراطورة اليصابات . فكيف يا ترى كان

من الواجب ان تحتفل روسيا بجنازة هذا الامبراطور الذي خلف لها الحلم والوداعة فاقامت بالاحتفال الامبراطورة الارملة ماريا فيودوروفنا ودعته (جنازة اسكندر)

ولا يمكن لمن قرأ تاريخ هذا الامبراطور الداخلي والخارجي الاَّ ويحكم بانهُ كان من اعظم الملوك كرامة وعدلاً واجتهاداً وقد صرف كل حياتهِ في ترقية رعيتهِ وقد انهضها من حجر الاستعباد وعلمها كيف يكون عدل الملوك واراها ان حكومتهُ ليست هي الا حكومة جمهورية تقريباً وقد قال ذلك مرة وهو في القريم . ان الناس يقولون كثيرًا وباطلاً ما يريدون ان يقولوهُ عني فاني عشت جمهوريًا واموت كذلك . انتهى . ومن كان مثل هذا الامبراطور والاب لروسيا يؤسف عليهِ . وقد لاقى في حياتهِ مقاومات كثيرة من اهل النفوذ ومحبي القلاقل وهو يغض النظر ويحب ان يعود رعيتهُ على الحرية فيعرفون عظم محبة الوطن والحقوق التي هي مفروضة على كل شخص تجاه العالم اجمع

الفصل الثامن

نقولا الاول من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٥٥

هيجان كانون الاول . ادارة واصلاحات المعارف العمومية وعلم الاداب

اذا نظرنا الى حقوق الارث بالجلوس على العرش الروسي نرى ان الحق في ذلك الى اكبر اخوة اسكندر وهو الكراندوق قسطنطين الا ان هذا اليكون حرًّا بزيجته بالكونتيسة غرودسينسكا التي بعد ذلك صارت اميرة لوفيكس اظهر لاخيهِ الامبراطور في حال حياتهِ انهُ يرغب في ترك حقوقهِ من جهة التسلط على العرش وذلك في سنة ١٨٢٢ فقبل بهِ الامبراطور اسكندر وكذلك رضيت بهِ الامبراطورة الوريثة وعلى ذلك كتب اسكندر اعلامًا ابان بهِ مقصد اخيهِ المقدس وانهُ تنازل عن العرش لاخيهِ نقولا وانهُ يرضى بان يبقى حاكماً في بولونيا وهذا الاعلام الذي هو اشبه بالوصية وضعهُ في اوسبيانسكي سوبور (كنيسة في موسكو) ولم يظهر امرهُ الى احد بل حفظهُ سرًّا وعليهِ فلم يطلع عليهِ الكراندوق نقولا ثالث اولاد بولس الاول وبعد مرور سنتين حين توفي الامبراطور اسكندر اسرع الكراندوق قسطنطين ليحلف يمين الامانة الى اخيهِ نقولا وهو

في فارسوفيا وكذلك نقولا وهو في بطرسبرج فكر بان من الواجب عليهِ ان يحلف يمين الامانة الى اخيهِ قسطنطين ولذلك ارسل بالاوامر الى كل فروع المملكة ليحضروا حلف اليمين ولم يكن الا ايام قليلة اي من ١٢ ــ ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) حتى وصلهُ رسالة من قسطنطين يعلن لهُ بها غايتهُ ويصرح لهُ بتنازلهِ عن كرسي الملك وحينئذٍ نشر نقولا اعلان جلوسهِ وقبل يمين رعاياهُ

فهذه المعركة الكريمة والحبية بين اخين عظيمين المختلفة كثيراً عن عوائد غيرها والطمع بالمجد والثورات السياسية التي حدثت في الجيل الثامن عشر كلفت المملكة وحملتها ثقلاً غير قليل . وفي هذه المدة الخالية من وجود امبراطور على روسيا حملت كثيرين على القلاقل والاضطراب . وانفاذ المآرب ولم يكن الشعب يعرف فيها لمن يطيع لان نقولا كان يفكر ان قسطنطين هو القيصر على روسيا وقسطنطين يوكد ان اخاهُ هو الحاكم والمالك وكل منهما في جهة يجتهد بان يحلف لاخيهِ يمين الامانة والطاعة . فاستفاد اعضاء الجمعيات السرية من هذه الفرصة واتخذوا المقاصد الكريمة الممدوحة وسيلة للشر وقرروا خطط الثورة وادعوا بالنفع العام وقصدت جمعية

الشمال ان تجري العمل وتبتدئ بهِ · ففي ١٤ الى ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) من سنة ١٨٢٥ اهاجت قسماً من الجيوش والفرق في موسكو وعساكر البحر اذ دسوا فيهم سم الفساد واقنعوهم ان تنازل قسطنطين عن الملك مشتبه بهِ وانهُ مسجون في فارسوفيا وان اليمين الذي يطلبها منهم نقولا هو كفر ونفاق وتعدٍ على حقوقهِ الشرعية الملكية الارثية · فانطرحت الجيوش المتمردة على محل مجلس الاعيان وهي تصرخ · فليعش قسطنطين فليعش قسطنطين · وبعض الرعايا ايضاً هاجوا صارخين فلتعش قوانين المملكة · وكان هذا الفكر غريباً من الجموع وظنوا ان قوانين المملكة هو (كونستيتسيون) اسم لامرأة قسطنطين فاتسع خرق الثورة وفرق حينئذٍ بندق للبنادق واعطيت علامات الفتنة بذبح وجرح الضباط الذين يرغبون في معارضة الحركة وحينئذٍ خطب الامبراطور نقولا بالجمع الذي كان واقفاً امام قصر الشتاء وقرأ امامهُ وامام الجموع وصية اسكندر التي كان قد عملها في حال حياتهِ فتوصل بهذه الوسيلة الى تفريق العساكر واقناعهم بوجوب تسلطهِ فاغاظ ذلك المتمردين وراوا ان الشعب الثائر قد حرم من المساعدة الجندية فبقوا متجمهرين في فسحة مجلس الاعيان وهم يزيدون هيجاناً واضطراباً

وابوا استماع شيء فاراد ميلورادوفيتش حاكم العاصمة ان يخطب فيهم ويسكن من هيجانهم لكن هذا البطل لاثنين وخمسين معركة قتل بطلق فرد من يد كاكوفسكي احد الثائرين وكذلك هجم على مطران لايسازيتنه واطلقت عليه البنادق فاصيب تاجه باربع رصاصات · وحينئذٍ نهض القيصر نقولا بهمة الابطال لكبح اولئك الثائرين بعد ان افرغ جهدهُ في اخماد الهيجان وامر باطلاق المدافع على المتاريس التي اقامها المتمردة بكل سرعة وبطلقات قليلة تشتتوا جميعاً وهجمت عليهم العساكر فقتلت كل من قاوم وأُسر نحو ٥٠٠ رجل · وفي الليل جاء وسلم عن طيبة خاطر عدد غفير منهم وعاد نقولا منتصراً الى سرايتهِ في الساعة السابعة صباحاً

وفي نفس تلك الليلة اوقف ثلاثة عشر شخص من امناء جمعية الجنوب فهذا الانتصار لم يوقف حركة تلك الجمعية بل انضمت الى جمعية السلافيين واقام بعض فرق نيكيتا مورافياف وسرج ومورافياف ابوستول وبستوجف ريومين واشغلوا فاسيلكوف وتدرجوا نحو كياف وفي الطريق بقرب قرية اوستيموفسكا تصادفوا مع الجنرال جسمار الذي لاقاهم بنار المدافع وحمل عليهم بالفرسان فكسرهم كسرة كاملة وسلم

السلاح منهم نحو سبعمائة رجل وأسر تقريباً كل الرؤساء ولما بلغ القيصر ذلك لم يشأ ان ينتقم كل الانتقام من اولئك المتمردين بل منح عفواً محتقراً للبرنس تروبا تستواي الذي عينهُ متحالفو العاصمة ليكون رئيساً للحكومة وبسبب تردده تعطلت كل اعمالهم وابدى نقولا حلماً ممدوحاً بالثائرين فعفى عن كثيرين وقبض فقط على ١٢١ منهما واوقفهم امام جمعية المحاكمة واخذ بتقريرات ومباحث كثيرة وثبت عليهم كلهم الاشتراك والارتباط بخيطان تلك المؤامرة وعوملوا بعذابات مختلفة على ما استحقهُ كل منهم وحكم بالشنق على ستة منهم فقط وهم باستيل وريلاف وسرج ومورافياف ابوستول ورستوجف ريومين وكاكهوفسكي قاتل ميلورادوفتش فاقتبلوا الموت بجسارة وصبر ولكن جهل الجلادين جعل عذاب موتهم مؤلماً جداً وقد قال ريلاف رئيس جمعية الشمال بعد ما حكم عليهِ . ان شدة محبتي للوطن ولرعاياي قدرة ان تغشاني وحيث لم يكن من مقصد او طمع شخصي لي لتذم اعمالي ساموت بدون خوفٍ . انتهى . وباستيل المشترع القانوني اتهم بسبب وضع قانونهِ الذي سماهُ القانون الروسي وقد قال . اني موكد بانهُ ذات يوم ستجد روسيا في هذا الكتاب ملجاء تقاوم بهِ كل

اضطراب واعظم غلط ارتكبتهُ هو اني اردت ان احصد الغلة قبل الزرع . انتهى

وبالحقيقة ان اعمال اولئك الرجال كانت ناضجة قبل الوقت وقد ترتب على بعضها ان تحيا فيما بعد ذلك الزمان وتحقق بذات هذه القوة التي كانوا حاربوها لانهم ارادوا استقلال الفلاحين ومساواتهم بالحقوق المدنية بالامراء وتحديد الشرع . ورغماً عن اغلاطهم التي اشتروها بحياتهم عرفوا ان يظهروا للعالم اجمع ان في روسيا رجال مستعدون للموت لاجل الحرية ووضعوا للبلاد انموذجاً لم تقدر الثلاثون سنة التي حكمها القيصر نقولا ان تميتهُ او تمنعهُ . وكانت هذه المؤامرة السيئة العقبى وسيلة لاحياء البلاد ولا يخفى ان اكثر البلاد العديمة الحرية اذا استيقظت لنفسها لا تعدم من الراحة فان يكن قد قتل اولئك الثائرون وعذب كثير منهم الاَّ ان هذا جعل الاهالي ان ينظروا في معنى بعض مقاصدهم وبذلك كانوا الوسيلة الكبرى لازدياد المعارف والفنون والاقتصاد السياسي وعرفوا ان يفيدوا للرعايا الروسية وسائط الاعمال الخيرية . لكن القيصر الذي افتتح حكمهُ باخماد ثورة واسعة وجب عليهِ ان يكون في كل حياتهِ عدواً للثورة . وظن كثيرون انهُ لو تم

مقاصد اخيهِ اسكندر لكان هو اسكندر السنين الاخيرة لكنهُ
مع اقنومهِ العظيم وتظاهره الوفور وكبريائهِ الداخلي وانشغافهِ
بكونهِ ملكاً سائداً وارادتهِ الحديدية التي لاتلين وقدرتهِ على
الشغل والقيام بالاعمال وذوقهِ من جهة السفسطات التي
لاطائل تحتها ومحبتهِ للاصناف العسكرية وهو ملتف على
الدوام بردائهِ الرسمي ودائم الظهور امام الشعوب كان يتجسد
بجسد مضاعف للسلطة السائدة وكان يظهر على ان حكمهُ
يمتد لان يكون على زعم لامارتين (سكون العالم على حالهِ) ولم
يكن الامعارك معنوية ثابتة ضد القوات البشرية الحارّة وضد
حركة العقول التي لا تغلب وقد شبههُ البعض بريمورا (سمكة
تمنع المراكب عن المسير) وعندما استقلت قوتهُ ظهر تحت
خراباتهِ عالم جديد كان قد وصل الى حد البلوغ وعاشت
المقاصد التي كان يظن انها لا تعيش واخطأ رجال اول
حكمهِ في زعمهم

وكان احدى اعتناءات القيصر الاولى انهُ قدم على انشاء
القوانين والشرائع الروسية التي رسمها اسلافهُ مراراً عديدة
ووضعوا اسساً لها فبطرس الاكبر مع مساعدة شرائع جرمانيا
وكاترينا الثانية مع التئام جمعيتها الشرعية العظيمة واسكندر

الاول مع اميالهِ التي كانت تقريباً بونابرتية وقد رتبها سبيرانسكي لم يقدروا ان يتمموا العمل الى الحد الاخير . لكن نقولا وجد من الاصابة ان يجمع شتات المواد الى بعضها . ففي سنة ١٨٣٠ نشر مجموع قانون مملكة روسيا ماخوذاً عما ابدتهُ الجمعيات من الاراء وعما نشرهُ علماء القانون من المولفات والمباحثات في هذا المعنى وفي سنة ١٨٣٨ نشر ايضاً مرة ثانية منقحاً ومطابقاً للاحوال التحسينية التي كانت روسيا آخذة بها وتحمل المحاكم والمجالس على تعجيل الاشغال والاعمال في الدعاوى والاسراع في الحكم بها واسقاطها وكان اوائذٍ تعرف المجالس ان ٢٨٥٠٠٠ دعوى واقعة بين ايدي الحكام متاخرة الى ذاك الحين من حقوقية وجزائية و١٢٧٠٠٠ متهم تحت المحاكمة ينتظرون نهاية محاكمتهم وما برحت القوانين تنمو وتصحح وتكمل الى حد سنة ١٨٤٥ وفيها نشر قانون العدلية الجنائي والتاديبي ونظموا المجالس التجارية على اقرب ما يكون واوفق مايكون لنجاح اشغال التجارة

وكان بطرس الكبير قد وضع المجالس الحربية فحذفتها حنة ايفانوفنا لكرهها في العوائد الروسية وعدم ميلها الى نجاح هذه الامة كما تقدم معنا في بابهِ فاعادها الامبراطور نقولا ورتبها

ترتيباً جديداً وقسمها الى اقسام متفاوتة عالية وابتدائية وما بينهما وابطل عدة عوائد كانت جارية بين القوزاق . واخذ عالم التجارة في السعي والكد والوصول الى ميادين الشرف والمجد لان الامبراطور منحهم ذلك اي انهُ منح العوام الذين يتعاطون الاسباب التجارية عفواً من الضرائب ومن الاستخدام بالعسكرية ومن القصاصات الجسدية وان يكون لهم امتيازات وطنية وحقوق مدنية لم تكن قبل الاَّ للشرفاء والاعيان وهو ان لهم الحق بالانتخاب بالرتب والخطط العائدة الى الحكومة ان كان في نفس المملكة او في القرى . ففي هذا العمل الحميد والممدوح في التاريخ الروسي اظهر الامبراطور انهُ انهى مقصد كاترينا الثانية التي كانت قد جربت في ذات مرة ان تقيم اشرافاً من غير الكهنوت والاعيان وكان من غاية الامبراطور اعتاق الفلاحين من الشغل في كل الانحاء فلم يقدر ان يتوصل الى الحد الاخير لانهُ عند ما اعلن الى السادات ترك كل الفلاحين الذين في خدمتهم استعظموا الامر دفعة واحدة وقد اجاب بعضهم ذلك . فالبرنس اورلوف. تشسمانسكي اطلقت ٥٥١٨ خادماً واما الذين لم يجيبوا اعترضوا ان ترك الفلاحين الى حريتهم الحراثية والزراعية تخرب اراضيهم وتضر

بزراعتهم . ولما راى نقولا ان ٧٢٨٤٤ ذكر ازمعت ان تترك الشغل بالزراعة عاد الى اطمئنان الاعيان وقرر شروطاً للكونتراتو التي تقع بين الفلاحين واصحاب الاملاك وامر بتوقيف ناشري الرسائل الكاذبة وحتم بارجاع العبيد الغير خاضعين لفروضهم بالقوة . فهذه المسالة التي كانت موضوع اهتمام كل ملك من ملوك روسيا كانت صعبة الوقوع بحيث لا يتيسر اقتناع اصحاب الاملاك والامراء بان حرية الفلاحين من الامور التى لابد منها غيرانها سرت بالتدريج فعوضاً من انهم كانوا يباعون ويشرون مع الاملاك اصبحوا احراراً لكنهم باجرون نفوسهم بشروط وسندات الى مدات غيران هذا الاستيجار كان يقع اجبارياً من اصحاب الاملاك واعتنى اسكندر بتلطيفه فساعدته الظروف الى ان اوصلهم الى حالة احسن مما قبل غيران نقولا لم يتمكن من اجراء عمل كاعمال سلفهِ بل راى ان يتوقف من ذلك وان لا يقرر مسألة تحرير الفلاحين الى الحد الاخير

واقام تجاه المجمع المقدس احد اركان الحرب المشهورين وهو الجنرال برو تاسوف وهذا اقيم رئيساً على تدبيرات الكنائس والانشاءات الوطنية نحو عشرين سنة وقد عرف عند الضرورة

ان يقاوم كل معاندي روسيا البيضاء

وكانت قد اعيدت مباشرة الحفر في فولغا وفي دون وحسن السفر في دنيبر وتحت حكم هذا الرئيس انشئت اول طريق حديدية ورسم على خط مستقيم هذا الطريق بين بطرسبرج وموسكو وبلغ طوله ١٢٠ فرسخاً بدون ان يسمح بتعرجه او اعوجاجه بالرغم عن الموانع الكائنة في الوسط ومد خط آخر ضعيف ربط سزارسكوه سيلو بالعاصمة ولم تكن بعد قد اشتركت روسيا بالمواصلات الاوربية الأعن بعد ولم يكن قط من طريق حديدية تربطها مع الغرب واهتمامات البوليس وتشديد الجزاء وزيادة الرسومات (الجمرك) كانت تزيد بانفرادها عن اوربا وسلطتها السائدة كانت تحيطها على الدوام بخفر صحي (كوردون). وقد انتهى بمدة خمسة عشر شهراً بناء السرايا الشتوية التي اندثرت في حريقة سنة ١٨٣٧. وانشىء لمجمع المعارف العامة مدرسة معلمين وهي نوع من مدرسة اصلية للتعليم العالي ومدرسة خصوصية ايضاً للمعلمين الثناويين وكان المقصد بذلك ان يخلص التلاميذ الوطنيين من سلطة المعلمين الاجنبيين وكثر استعمال المعلمين والمعلمات والتعليم في البيوت الخصوصية ووضع جزاء ٢٥٠ روبل على كل من

يدرس في مدرسة كلية اجنبية وبالنفي ايضاً اذا استعمل التدريس العلمي والسياسي معاً واذا احتيج الامر الى الدرس في مدرسة اجنبية يسترخص بذلك من الحكومة · وعليه تحسن التعليم جداً في المدارس الروسية وتعطل على نوع ما التعليم باللغات الاجنبية وسادت اللغة الروسية فكان يعلم فيها كل فروع العلم كالمساحة والتاريخ ونحوهما · ووضعت عدة ملاحظات تتعلق بالسفر الى البلاد الاجنبية والقيام بها فقد تحددت مدة الغياب عن روسيا بتذاكر مرور نظامية خمس سنوات للاعيان وثلاث لباقي الرعايا الروسيين واسست كلية سن فلاديمير في كياف لكن تعويضاً لكلية فيلنا التي حذفت بعد الهيجان البولوني وتحذراً من الفلسفة الالمانية حذف تعليم الفلسفة من كل المدارس وحصر بتعليمها الى الكهنة فقط وخصص نقولا اعتناءهُ بابنية المعارف العسكرية وجمعية العلوم الحربية وفوق ذلك قد انشأ مدرسة حقوق ومدرسة فنون وصنائع

وبالاختصار ان هذا الزمن من الجيل الثامن عشر كان نامياً ومخصباً وعلم الاداب ناجحاً بقدر ما كان ناجحاً في فرنسا وفيهِ كان بوشكين اول شعراء روسيا يتبادل الافكار بالرسائل مع لامارتين والفيكتور هيكو الفرنسويين المشهورين وبرمونتوف

ألهم من جمال القوقاس الوحشي بتاليف عدة كتب عالية .
ووجد كوتسواي منفرداً بعلم الاغاني وقد حصر الاغاني الزفاقية
بمعانٍ شعرية اشتهرت كثيراً وعوغول بروايتهِ (ريفيزور)
وقصتهُ (النفوس المائتة) كشف بجسارة عن جروح الادارة
والهيئة الاجتماعية الروسية وكثيرون من المؤلفين كانوا
يشتغلون ويجتهدون بما ظهر ان ذاك الزمن لم يكن عاقراً قط
بل كانت في كل يوم وفي كل اسبوع تنشر تآليف جديدة
تاريخية وعلمية وادبية وفنية وصناعية وكان يظهر أن روسيا
المنفردة عن اوربا والمنقطعة اوانئذٍ عن المعارف الادبية والاختلاط
بفنون اوربا وصنائعها لم تعدم من النجاح في هذا الباب
بل كانت تسير على قدم ثابت متقدمة في خطة الترقي
يوماً بعد يوم

حرب العجم من سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٢٨ وحرب الدولة العلية
الاول . تحرير اليونان من سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٢٩
الروسيون والانكليز في اسيا

ومنذ معاهدة غوليستان كان حكومتا روسيا وايران على
اختلاف دائم بخصوص الحدود والشعوب التابعة لكل منهما

وكان الشاه يجمع الاخرجة من خانات كاراباغه وغانجه ومع ذلك كان يتشكى من تعدي روسيا ومن اعمال الجنرال ارمولوف حاكم جبال القوقاس بانها ثقيلة عليه وحالاً سمع في روسيا ان المشائخ تعظ بالحرب المقدسة في كل مكان وان ضباطاً من الانكليز دخلوا في خدمة الشاه وان الامير عباس مرزا ولي عهد ايران استعد ليقطع اراكس بخمسة وثلاثين الفاً ويطلب الى الخانات القيام باثارة الفتن . واذ ذاك اسرع القيصر نقولا بان ضم الى الجنرال ارمولوف بالجنرال باسكيافيتش وكان اوائئذٍ الامير الايراني يسير الى تفليس وقد اوقفتهُ قلعة شوشا مدة ستة اسابيع وقاومتهُ ببسالة وشجاعة عجيبة وهذه الفرصة مكنت الروسيون من الوصول والانضمام الى بعضهم وحال وصولهم الى اليصاباث بول ضربوا مقدمة الجيش الايراني وكان عددها ١٨ الفاً فتبدد شملها . ثم ضرب جيش الامير كلهُ وبعد معركة عظيمة دارت الدائرة على العساكر الايرانية وتبددت وكان عددها ٤٤ الفاً وطرحت فضلاتها الباقية الى ما وراء اراكس وذلك في سنة ١٨٢٦ وبمعاهدة طهران وعدت انكلترا بان تقدم لايران في وقت الحرب مساعدة جيوش واعانة مالية باهظة فرغماً على هذه المعاهدة شنت روسيا الغارة على ايران غير مبالية

بانكلترا . وسمي الجنرال باسكيافيتش قائداً عاماً فهجم على ممرات فملكها مع الجبال وطريق اراكس واسر نحو عشرة الاف رجل من جيوش عباس مرزا وملك ايضاً اريفان في طريق ايران بعد الهجوم عليها ودخل منتصراً الى توريس المدينة الثانية في مملكة ايران وتدرج في طريق طهران فاضطرب لذلك علي شاه وخاف على بلادهِ وثبت عنده ضعف الانكليز وحقق عدم الركون الى مواعيدهم ومساعداتهم ولذلك وقّع على معاهدة صلح في توركمانتشاي في ١٠ شباط (ففريه) سنة ١٨٢٨ وبهذه المعاهدة سلم الى روسيا اقاليم اريفان وناكهيتشفان ودفع غرامة قيمتها عشرون مليون روبل واكد بالسماح لتجار روسيا ان تتعاطى ما يخولها الارباح العظيمة وصارت اراكس حدود المملكتين . وانعم القيصر على القائد باسكيافيتش ولقب بفتح اريفان . واوشك الصلح ان يضطرب ثانياً سنة ١٨٢٩ بواسطة مذبحة السفارة في طهران التي بها قتل الشاعر غريبوايدوف وزير روسيا وكان موتهُ خبر تعاسة على الشعراء الروسيين ووجب ان يموت موتاً مرعباً ومحزناً لرمونتوف بمبارزة ظلمية فغسل يدهُ البلاط الايراني من عمل الشعب البربري ولئن كانت روسيا اوائذٍ مضطربة بحوادث الباب العالي فقد جاء

الامير عباس بطرسبرج لمراضاة القيصر واستعطاف خاطره على ايران . ومنذ ذاك الحين صارت ايران عرضة لاحتمال كل نفوذ روسي رغماً على كيد الانكليز واهتمامهم العظيم

واتخذ نقولا تجاه الباب العالي حالة عدوانية وتظاهر بالغيظ اكثر من اسكندر الاول ومع انهُ كان يتهم بانهُ عدو الاصلاحات ظهر بانهُ كان يميل الى موادة اليونان ويرغب في اصلاحهم ولذلك كان يتطلب من الباب العالي مطالب لاحق لهُ بها وحمل بعض الدول على الاتفاق معهُ وشدد الطلب بان يضع حدّاً لفناء اليونان وان ترفع الدولة العلية عنهم الحرب التي كانت تقوم بها ضدهم وباسمهِ وحده ايضاً كان يطلب ترضية عن الاهانات الدموية التي وقعت على المسيحيين حين مذبحة الاستانة ولا سيما عن الاهانة التي لحقت بسفيره وعلى هذا كان من جهة يطلب كباقي دول اوربا المحافظة على حقوق اليونان ومن جهة ثانية كان يظهر نفسهُ كمحامٍ عن المسيحيين الارثوذكسيين المكفولين بمعاهدتي كابرناجي وبخارست فتارة كان يجري مقاصده بمساعدة اوربا وطوراً يفترق عنها ويشدد الطلب منفرداً بارايه واعمالهِ

وقد قدم لائحةً في اذار (مارت) سنة ١٨٢٦ لديوان

الدولة العلية يطلب فيها. اولاً . اخلاء الاقاليم الدنوبية
التي اشغلها العثمانيون بسبب هيجان سنة ١٨٢١ ووضع كل
الاشياء في موضع مطابق لمآل المعاهدات . ثانيًا . اجراء بنود
معاهدة بخارست بخصوص حرية السرب واخلاء سبيل النواب
السربيين الممسوكين في الاستانة . ثالثًا . اعطاء ترضية على
المظالم الخصوصية التي تدعي بانها وقعت وكانت تقع على المسيحيين
في كل المملكة العثمانية وارسال مفوض عثماني لاتمام العمل .
فجرب الباب العالي ان يرفض ذلك الاَّ انهُ وجد من الاصابة
التساهل اولاً لاتفاق اوربا ضدهُ وثانيًا لضعف القوة العثمانية
الموجودة اوانئذٍ حيث كان حضرة ساكن الجنان السلطان
محمود خان آخذًا في محو جوق الانكشارية من مملكتهِ . ففي
٢٦ ايلول الى ٨ تشرين الاول عقدت شروط اكرمان وهي . اولاً .
اثبات معاهدة بخارست . ثانيًا . اعطاء الحرية بالحكم للفلاخ
والبغدان (مولدافيا وفالاشيا) تحت امرة حاكم ينتخب لمدة سبع
سنوات بجمعية من الاعيان ولا يمكن خلع هذا الامير الاَّ بموافقة
روسيا وارادتها . ثالثًا . ان نترك لروسيا الاراضي الواقع
بسببها الاختلاف عند الحدود في اسيا . رابعًا . ان يبقى فرصة
سبع سنين للباب العالي لاجل ان ينظم حالة السرب طبقًا

لمعاهدة بخارست . خامساً . ترضية عادلة للرعايا الروسيين اصحاب الديون على الحكومة العلية . سادساً . حرية المرور للمراكب الروسية في البحر الاسود وبحر الروم

وتركت المسألة اليونانية ولم يرضَ حضرة السلطان الاعظم الدخول بالبحث في شانها فاتفق الدوق دي ولنكتون والكونت نسلرود في اجتماعات في بطرسبرج على مطالب رفعت الى الباب العالي بواسطة سفراء الدول الثلاث وهي روسيا وانكلترا وفرنسا في ٢٦ اذار (مارت) سنة ١٨٢٦ وما لها ان يطلق لليونان حرية الحكم ويترتب عليها فقط دفع جزية سنوية تدفعها للباب العالي ويحكمها امراء حسب انتخابهم ويكون للدولة العلية عليها حق السلطة . والعثمانيون المقيمون في بلاد اليونان يقدرون على المهاجرة وياخذون ثمن املاكهم فرفضت الدولة العلية هذه المطالب واعتبرتها من الدول اخلالاً لسلطتها المطلقة وسيادتها الشرعية . وعلى هذا وقعت الدول الثلاث المتحدة على معاهدة لوندرا في حزيران (جون) سنة ١٨٢٧ بوجوب مداخلتها في المسألة اليونانية وبلغت هذه المعاهدة الى الباب العالي والى اليونان . فاجاب الباب العالي عليها بان انزل في المورا جيشاً عثمانياً مصرياً واتفقت

الدول على ارسال البوارج تحت امرة الاميرال ريني والاميرال هيدن والاميرال كودر ينكتون وامروا ان يمنعوا ولو بالقوة اطالة الحرب ولذلك نفذ تعديهم على الاسطول العثماني فاضمحل في جون نافارين في ٢٠ تشرين اول (اوكتوبر) سنه ١٨٢٧ فارضى هذا العمل الامبراطور نقولا وارسل للاميرالية المذكورين بشكره لهم ووجه اليهم بالنياشين من رتبة (سن اسكندر نفسكي) ومن رتبة (سن جورج) ولم تكن حادثة نافارين الا لتزيد من حنق السلطان محمود الاعظم . وبعث في الحال للدول الثلاث لائحة يطلب بها عن حق قبل كل مخابرة تعويضاً عاماً وعلنياً عن الاهانة التي لحقت بالعلم العثماني وغرامة تدفع للباب العالي عن الخسائر المادية الناتجة من تلك الاهانة وان تشهر الدول تنازلها عن كل مداخلة بامور اليونان . وخطب في الجوامع بالقيام بالجهاد (الحرب المقدسة) وطلب في الاستانة ان يفعلوا كفعلهم السابق القريب العهد غير ان السلطان محمود كان يمنع كل ما كان بحسب ظلماً وكان يقصد فقط محاربة المتعدين الا ان قوة الدولة العلية كانت دون المطلوب لان وجاق الانكشارية كان قد انقرض ولم يكن بعد قد تنظمت قوة كافية من الجيوش النظامية لتقوم بحروب عظيمة هائلة ومع

ذلك اصرّ الباب العالي على محاربة روسيا

وكانت انكلترا قد تاسفت على خراب الاسطول العثماني وان تكن مرتبطة باجراء العمل مع الدول ومن غايتها اقامة اليونان . ولكي تعضد فرنسا قانون الاتفاق الدولي انزلت في المورا فرقة من الجيش تحت قيادة الجنرال ميزون فاجلت الجيوش الحالة في الشبه جزيرة اليونان وكذلك الامبراطور نقولا عضد مطالبهُ بالقوة وفتح الحرب على الباب العالي وامر الفلدماريشال ويجنستين ان يقطع البروث في سنة ١٨٢٨ وان يدخل باسكيافيتش اسيا الصغرى . ففي اوربا شغل الروسيون الفلاخ والبغدان وقطعوا الدانوب تحت امرة الامبراطور واستولوا على برايلوف وفارنا وفي اسيا قاموا بمعركة دموية عند اكالتسيكه واستولوا عليها بعد ان هجموا على قلعة القرص وافتتحوها وهذا اقلق انكلترا وكانت النمسا تقترب اليها وقد قال شارل العاشر علنًا . اذا هجم الامبراطور نقولا على النمسا اكون بحسب واجري مع مجرى الحوادث ولكن اذا هجمت النمسا اسوق اليها عساكري بكل سرعة . انتهى . فمجلس الاصلاح في فرنسا كان يؤمل ان يجد بواسطة المعارك الشرقية ثارًا لمعاهدات سنة ١٨١٥ الدولية وتفاوضوا في

مجلس شورى الملك في ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٢٩ على ضم شط الرين الشمالي او البلجيك وقرروا مشاركة الروسية بالمنفعة تلقاء المساعدة التي قدموها لها على الدانوب وحسب قول موسيو نتمان . صار الدولتان حينئذٍ باتحاد تام ففرنسا وقفت تجاه الافكار والاعمال الساسية والحربية المقاومة في اوربا ومثل ذلك روسيا في الشرق . ولذلك تمكن الامبراطور نقولا من الحرية التامة لمحاربة سنة ١٨٢٨

وقد جرت عدة وقائع في اسيا بين الدولتين تبادل بها النصر تكرارًا بين المتحاربين ثم تقدم باسكيافيتش بعد ان هزم جيشين من الجيوش التي كانت تشغل اسيا وافتتح ارزروم وبعد ذلك حارب الوزير الاعظم واجلاهُ عن تلك الارض الى شوملا وقد ترك خمسة الاف قتيل و٤٣ مدفعًا ومن بعد ان عقدت شروط تسليم سليستري حصرت شوملا وقطعت الجيوش الروسية بكل جسارة البلكان ودخلت ادريانابلي وهي المدينة الثانية للدولة العلية

ولا يخفى ان السلطان محمود ساكن الجنان كان قد اهلك اوانئذٍ الانكشارية عن اخرهم ولم يكن بعد قد اقام قوة كافية تقدر ان تقوم امام قوة دولة عظيمة كدولة روسيا . ومن

المؤكد انهُ مهما كانت قوة المملكة سريعة النمو لا يمكن تاليفها وتعزيزها باقل من نصف جيل على الاقل ومن راجع تاريخ دولتنا العلية في ذاك الزمان وحقق في داخليتها لا ريب انهُ تعجب من مقدرتها على محاربة اليونان ومحاربة الدولة الروسية التي كانت قد وصلت الى درجة عالية من النفوذ والسلطة والقوة الحربية . وعليهِ فقد راى حضرة ساكن الجنان السلطان محمود خان ان يقرر الصلح ولا سيما بعد ان راى ان دولة ايران ترفض الاشتراك معهُ في محاربة روسيا . فعقد معاهدتين الاولى مع دول اوربا والثانية مع روسيا وقد اعترف بالاولى باستقلال اليونان وبمعاهدة تموز (جوليه) سنة ١٨٢٧ وبالثانية ان يبقى الى روسيا في الجزائر المثلثة الدانوبية وفي اسيا قلاع واراضي انابا وبوتي واكاتيسكه واكهالكالاكي ودفع مائة وتسعة عشر مليون ريال غرامة حرب ومليون ونصف مليون تعويضاً لخسائر التجار الروسيين وكفل البراءات الممنوحة سابقاً للفلاخ والبغضان والسرب واعلنت حرية المرور لكل الدول من بوغازي البوسفور والدردنيل بشرط ان تكون تلك الدول مسالمة للدولة العلية واعطي المتجر الروسي حرية تامة ومطلقة بالسفر في البحر الاسود فهاتان المعاهدتان فضلاً عن انهما منحتا

الاستقلال لليونان هيئتا استقلال الرومانيين والسربيين وقبل ان اقام الانكليز بحرب الصين الشهيرة المعروفة بحرب الافيون وذلك في سنة ١٨٤٠ و١٨٤١ كان الروسيون قد نالوا مركزاً عظيماً نافعاً بدون ان يلاقوا عظيم صعوبة او تعب في سلسلات امبير (المملكة السموية) . وفي سنة ١٨٢٧ عقدت روسيا معاهدة مع الصين ان تقيم في باكين مكان تربية لاجل تدريس الشبان الروسيين لغات وعوائد الصينيين . واحترس نقولا كثيراً من ان يغيظ البلاط في باكين مما يتعلق بمسالة الافيون وعندما علم بحكم المنع منع على رعاياهُ ادخال هذا الصنف الى حدودهِ الروسية . وفي سنة ١٨٥٢ بسبب معاهدة جديدة بين الروسيين والصينيين فتح سوق لمتجر العالم على ايرتيخ وهذا السوق دعي بالسوق الغربي وسمح للعملاء الروسيين ان تحط في كياكتا وجانب بخارا وبالرغم على هذه العلاقات الحبية كانت برُدا العساكر الروسية تحت الخطر كل يوم وهي تمشي على الاراضي الصينية بسكون كمختفية . وقد تعجبت اوربا جداً عندما رات ان روسيا في سنة ١٨٥٤ استولت بالقوة على امور وعلى هذا الوجه ظهر انهُ من طرف اسيا الاول الى طرفها الاخر قد اقامت روسيا تجاه

انكلترا فاذا سارت انكلترا عن طريق رات روسيا قد سبقتها في طرف ذاك الطريق وتقدمت الى جهتها فيه وكلتا الدولتين حال اشتغالهما بامتداد النفوذ والسلطة اسرعتا في ذاك الوقت لان تكونا بشقاق وخصام دائم وربما الى انقراض احدهما

وبواسطة افتتاح مينغراليا وايماراتيا والكرج وشيروان والاقاليم الايرانية والعثمانية اشغلت روسيا كل سفح القوقاس الجنوبي وبواسطة افتتاح داغستان وضعت قدمها على السفح الشمالي ومن ثم احاطت بالتمام الجبال المتسعة التي يسكنها الشركس والايكازية على ان حصونها المتينة كانت تشغل مخارج الوديان فدافع الشركسيون والايكازيون بقوة عجيبة عن استقلال بلادهم فاتخذ نقولا في طريق اناما وبوتي مراكز لاطمئنان الحملات المرسلة ومنع التعديات وتامين المعاملات مع اسيا الجنوبية من اواخر القوقاس ومن الطرق المتوسطة وصنع في هذه السلسلة العجيبة قلعة حصينة وكانت الحرب مع الجبليين متواصلة وقد اختلف فيها النجاح فكان تارة للروسيين وتارة لاعدائهم وقد امتدت كثيرًا الى جهات بعيدة بواسطة التعصبات المذهبية وهو مذهب موريديتسم وتجسد هذا المذهب بالامام شامل الكاهن والجندي معًا وهو الذي جمع بين اولئك الاسباط

المنشقة الى كلمة واحدة دينية واوقف مدة ٢٥ سنة اعظم جنرالي روسيا . وفي سنة ١٨٤٤ لزم على روسيا حشد مائتي الف جندي بالقوقاس تحت قيادة فورنزوف العاقل الشجاع . فساعدت الانكليز الهيجان ومن جرى مسالة الشنوبر البريطانية بحيث مسك المركب (لي فيكسن) وقت اعزامه على تنزيل الاسلحة الى مينا ايكازي اثيرفتنة واسعة ونظر في مقدمة الكرجيين المتمردين برهة القائد بل" الانكليزي

وفي ايران خلف فتح علي شاه حليف نابليون حفيده محمد شاه وكان تماماً تحت النفوذ الروسي . ففي سنة ١٨٣٧ و١٨٣٨ حاصر محمد المذكور هرات الواقعة عند احدى طرق الهند فالزمه الانكليز برفع الحصار واكرهوه على التخلي بواسطة الخليج العجمي واطمئنوا عن جزيرة الكرك ومينا بوسهير . وبعد حصار هرات بثلاث سنين سقط الانكليز نفسهم عندما جربوا الامتلاك على كابول . فبحث القيصر عن طريق آخر من غير جهة واشهر الحرب على خان خيوا محتجاً انهُ يريد وضع حدٍ للتعديات والسرقات التي كانت تقع على القوافل وفي سنة ١٨٤١ قاد الجنرال بيروفسكي جيشاً روسياً وقطع بفصل شتاء مرعب وبرد قارص سهول تركستان . وبعد ان استفاد

ببعض فوائد قليلة من تلك الطوائف التزم ان يميل الى امبا
وهناك كل الجيش المذكور تقريبًا هلك من الاتعاب ومشاق
السفر الطويل ورداءة المناخ فاخاف هذا الامر خان خيوا
ورأى نفسهُ ملزومًا بتقديم ترضية لروسيا فوضع جزاء بعقاب
الموت على كل خيوي يتجاسر على معارضة حرية احد الرعايا
الروسيين واخلى سبيل ٥١٥ اسيرًا كان اسرهم منهم ومن المعلوم
ان روسيا كان لا يمكنها ان تخضع خيوا لها خضوعًا كاملًا إلّا
بعد ان تكون قد سهلت المفاوز الواقعة في طريقها لتقرب
المسافة التي كانت تبلغ اكثر من مائتي فرسخ عن الحدود الروسية
واقامت محطات متوسطة لاخضاع الطوائف الكيرغيزية
خضوعًا تامًا واقامت مينا على بحيرة آرال .غير ان القيصر جدد
الحمل في سنة ١٨٥٤ بارسالية ثانية تمكن فيها من النجاح
وصار خان خيوا كتابع للقيصر يراقبهُ في بلادهِ سفير روسي

الهيجان البولوني

وكانت قد وجدت روسيا في سنة ١٨٣٠ بحالة سيئة مستغربة
فظهر فيها الهواء الاصفر ووقعت عدة فتن دموية في سباستبول
ونفغورود وستارايا روسا وقد تاثر الامبراطور من كل هذه
الحوادث المحزنة ولا سيما من خبر الثورة في تموز التي طرد فيها

حليفهُ شارل العاشر . وتبع ذلك ثورة بلجيكا وهيجان الايطاليان .
والعلم المثلث الالوان علم سنة ١٧٩٩ و ١٨١٢ المرتفع على
قونسلاتو فرنسا في فارسوفيا اسرع ظهور الثورة البولونية

وكانوا قد بعدوا عن زمن اسكندر الاول الذي جمع
مجلس فارسوفيا في سنة ١٨١٨ وعظم ذاك النظام الكريم الذي
كان موضوع محبتهِ وكانوا بعيدين ايضاً عن الزمان الذي بهِ
هنئ النواب البولونيين لكونهم طرحوا عنهم مقصد الشريعة
المتعلقة بامر الطلاق واعلن فيهم ان المنتخب بحرية يجب ان
يعطي الصوت بحرية . وكان نجاح المملكة ينمو بالتدريج وتحسن
حال التجارة والصناعة واصبحت مالية الدولة بحالة مرضية وكان
قد الف الكراندوق قسطنطين من فضلات الجيوش التي
كانت في زمن نابليون ومن سواهم جيشاً يبلغ عددهُ ستين
الف رجل وكان من التعاسة ان يكتفى بحرية القانون النيابي
واغتاظ القيصر من مضادة الوزراء وغير حوادث كانت بمقام
اعتداء على سلطتهِ فصغى الى مشورات كارامزين وارا كتشاف
وامر بوضع قانون اضافي على الاصلاح ومن بعد جلسة سنة
١٨٢٢ منعت حرية المطبوعات وصار البوليس اكثر اهتماماً
بالفحص وكانت العساكر تشكى من القساوة الواقعة عليها

واحياناً من نفس الكراندوق قسطنطين الذي كان مملوءًا من المقاصد الحسنة وكان يحب بولونيا محبة عظيمة وقد برهن عن ذلك بتركهِ تاج روسيا اكراماً لخاطر بولونيا ومع كل ذلك فانهُ كان لا يقدر في اكثر الاحيان ان يتغلب على شراسة خلقهِ المتقلب والضباط الذين خدموا تحت قيادة دومبروفسكي وبونياتوفسكي ونابليون الاول انفوا من ان يألفوا النظام الروسي . والحسد القديم والحقد الوطني الذي كان لا يزال ممتدًا تاثيرهُ منذ حوادث سنة ١٨١٢ كانا يمتدان بين الاهالي وهم يتشكون من خرق نظام سنة ١٨١٥ وكانوا يغتاظون بكون الامبراطور لم يكن بعد قد رد على بولونيا اراضي روسيا البيضاء وكان كثيرون منهم يهدسون على الدوام باصلاح ٣ مايس سنة ١٧٩١ وباقامة جمهورية وطنية وكانوا يدعون انهم يهتمون باصلاح بولونيا وارجاعها الى استقلالها القديم وحدودها الاصلية وحدث من جرى ذلك اجتماعات سرية كثيرة من المامورين والجمعية الوطنية

وكان اسكندر الاول قد ارتكب غلطة مهمة وهو انهُ كان قد شدَّد على القيصر نقولا ان لا يستعمل الجيش البولوني في محاربة الدولة العلية مظهرًا انهُ يحب هذا الجيش ويرغب ان

يتركهُ حسب اهوائهِ . وقد قيل عنهُ انهُ قال (اني اكره الحرب لانها تهدم الجيوش) فلو كان سمح للبولونيين بالاشتراك بالحروب لكان نتج من ذلك رباط اخوي وحبي بين الجيشين الروسي والبولوني وتولدت فيهما معاً حرارة الاشتراك بالعمل وعرفت بولونيا انها تشارك روسيا في مجد انتصارها او في سوء تقهقرها وانكسارها . ولما جاء نقولا في شهر اذار (مايس) سنة ١٨٣٠ ليفتتح بشخصهِ المجمع الدولي الذي لم يكن قد التئم منذ جلوسهِ اهاج حضوره في فارسوفيا بعض الامال ورغماً على التحفظ الذي اقامهُ النواب على نفوسهم لم يقدروا ان يمتنعوا عن طرح موضوع لقانون الطلاق الغير موافق وعن بث التشكيات من الوزراء وقد افصحوا عن مقصدهم من ضم الاقاليم الليطانية ففي اول الامر راى نقولا انهُ لا يقدر ان يقر رهذا المقصد دون ان يجرح عميقاً محبة الوطن وحقوق روسيا . ومن جرى ذلك افترق ملك بولونيا عن شعبهِ واهتمت الجمعيات السرية بان تستعد للقيام بعضد مقاصدها ووجدت اخبار باريس مهيئة كل عناصر الثورة

فمن مساء ١٧ الى ٢٦ تشرين الثاني نهض شبان مدرسة بورت أنسنيه على صوت الضابط فيزوسكي وطلبوا ان يدفع

اليهم بندقاً لبنادقهم فصرخ فيهم فيزوسكي ستلاقون بندقاً في
محفظات الروسيين . هلموا هلموا . وفي مدة ما كبس عدد قليل
منهم تكن الخيالة اسرع جيش قليل العدد الى سرايا بلفيدار
حيثما كان يحكم الكراندوق فتمكن من الهرب وسقط رئيس
البوليس وغيره من اصحاب الخطط تحت ضرب الثائرين
وبوقت قليل كل الجيوش البولونية مشاة وخيالة وطجية ونحوهم
انحدروا الى بيوت السلاح وملكوا اربعين الف بارودة وفرقوا
اسلحة على الشعب العاصي الثائر واتهموا خمسة من القواد
البولونيين الاوائل بالخيانة فذبحوهم منهم الجنرال الشجاع
نوفيشكي وقد ذبح بغلط اسمه . ولما راى الدوق قسطنطين
الى اشتداد الثورة اعتمد على اخلاء البلد وذهب الى قرية فيرزبا
وارجع الى فارسوفيا فرقة الخيالة البولونية التي وحدها بقيت
امينة له

فاسرع البرنس ليثيكي بطلب اجتماع مجلس الشورى فاجتمع
وكان اكثر اعضائه من اعيان البلد اصحاب النفوذ ورات
اكثرية هذا المجلس ان القتال ضد روسيا ليس الا ضرب
من الجنون وطلبت الى الشعب ابطال كل الحركات تحت
الليل الذي غطاها بظلامه فلا يشرق النهار على اعمالهم فتبقى

مستترة . فلم يصغوا الى هذه النصائح ودعا الشعب خلافهم للاشغال الادارية منهم البرنس سزارتوريسكي والبرنس اوستروفسكي ومالاكوفسكي والاستاذ الشهير المورخ ليليفال فرتبوا الاعمال وفتح ليليفال دائرة وطنية ونشر جريدة يومية (الضابط) وسمي شلوبيشكي قائداً عاماً وهذا كان قد خدم بامتياز تحت ادارة نابليون بونابرت ورأى هذا القائد العام ان الدخول بالمصالحة مع روسيا هو من الامور اللازمة جداً وتقرر في عقلهِ صعوبة المركز فارسل رسلاً الى بطرسبرج ومثلهم ايضاً الى لوندرا وباريس مومِلاً وساطة الدول الغربية تحت امل ان يكون للبولونيين بعض النفع الوقتي فيتمكنون في المستقبل من ارجاع الاراضي الليطانية . فرفض القيصر نقولا المخابرة بالصلح وانف المداخلات الاجنبية ووعد بارجاع السلام الى بولونيا اذا ترك الثائرون السلاح وخضعوا خضوعاً تاماً بدون طلب شروط او اقل نفع فجوابهُ هذا اضاع كل امل يؤملهُ المتعصبون بالحصول على التسامح ومنذ ذاك الحين تغلب الراي الحربي على الراي السلامي في فارسوفيا . فكدر ذلك شلوبيشكي القائد العام واستعفى من القيادة وقبل ان يكون الحاكم العام وتربص بدون امل بالنجاح من جرى التجهيز والمدافعة ولاسيما انهُ كان

على غير اتفاق مع ليليفال حيث ان هذا يطلب الى البولونيين ان يهاجموا ويفاجئوا ليطانيا وان يسلح الفلاحون وتكون الثورة شاملة كل رجل وهو يؤكد ان كل ثورة لا تمتد يحكم عليها بالهلاك والخيبة وبعكس ذلك كان من راي شلوبيشكي وقد وافق الاكثر راي ليليفال بما كدر شلوبيشكي وافقده الصبر واخيرًا قال للبولونيين قوموا اذًا انتم بالحرب مع حاصديكم . واستعفى من الرئاسة

فالتئم المجلس وسمى قائدًا عامًا البرنس رادزيفيل وهو رجل ضعيف الراي عديم الخبرة بالفنون الحربية والجندية وترحب الاهالي بقيامه عليهم صارخين . الى ليطانيا . الى ليطانيا وكانت اجوبة الامبراطور الروسي تقطع كل امل من روسيهم واظهر لهم قطع الرجاء من ان تخلي روسيا ليطانيا واصرّ على وجوب مقاصة الثائرين وانهم اذا بقوا على حالهم تلتزم ذات المدافع البولونية ان تفنيهم وتخرب بلادهم . وقد اعلن المجلس البولوني بسقوط الرومانوفيين تحت امل ان يرضوا بذلك بعض الدول الغربية ويجدوا من ثم منها مساعدًا ومع كل هذا ما نجحوا من هذا الباب وقد فقدوا كل رجاء وراوا ان المساعدات مستحيلة وان كل تجربة اجروها بامل الصلح قد ضاعت وذهبت سدى

وراوا ان انكلترا وفرنسا قد تركتاهم وان الشعب الباريسي
الذي كان يظهر محبته بشهامة لم يقدر على اقناع الحكومة الفرنسوية
بمساعدة بولونيا وكانت تضيع بالباطل اصوات الخطباء في
القاعات العمومية فكل هذه التظاهرات كانت بدون نتيجة

وكان في تلك الاثناء قد اخلى الغراندوق المملكة وقلعة
مودلين وكانت كل القلاع الاخرى تحت سلطة الهيجان
والعصيان واقيم حامية الى فارسوفيا من جهة الشرق في راس
حصين مدهش وبلغ عدد الثائرين والقوات القديمة نحو التسعين
الفًا ومعهم احسن المدفعين ، وفي شهر شباط من سنة ۱۸۳۱
دخل بولونيا تحت البرد القارص الشديد مائة وعشرون الف
جندي روسي تحت قيادة بطل البلكان ديابيتش زابالكانسكي
وقد سحقوا عند فارسوفيا الفرق البولونية وبدد شملها في عدة
معارك وهي معركة ستوثريك التي بقيت مقدار يومين ومعركة
غروشوف في ۱۹ و ۲۰ شباط (ففريه) تقدم فيها الروسيون
الى حد فارسوفيا ومعركتا بيالولاسكا وجرش براغا في ۲٤ و ۲٥
شباط وصلوا الى داخل سوق براغا . وحينئذٍ استعفى رادزيفيل
من القيادة وخلفهُ سكرزينيشكي . وترك معظم جيش روسيا
شط الفستولا وبقي هناك ثلاث فرق صغيرة فقط وهي فرقة

روزان في دامبفيلكيا وفرقة جسمار في وافر والثالثة عند براغا فجاء القائد البولوني بغتة وضرب جسمار في وافرور وزان في دامبفيلكيا وايفانيا ولكنهُ لم يتجاسر ان يمدَّ نجاحهُ الى ابعد من ذلك وكان دفرنيتكي قد بعث بجيوش الى فولينا فسقطت تماماً وانهزمت الى غاليسيا وكذلك الفرق التي هاجمت ليطانيا هلكت كلها عند فيلنا ومن ثم التزم البولونيون الى الفرار وقطعوا الحدود البروسية ماعدا فرقة دامبنسكي فانها رجعت الى فارسوفيا وفي اثناء ذلك هجم سكرزينيتكي على جناح الروسيين الايمن في اوستر ولانكا على تارف وقام بمعركة عظيمة دموية وفي اخرها دارت الدائرة عليهِ فالقى بنفسهِ الى ثاني جهة من النهر وذلك في ٢٦ اذار (مايس) . وحينئذٍ ضرب الجيشان بالهواء الاصفر وذل البولونيون وبالتتابع انسحب الجنرال ديابيتش والغراندوق قسطنطين

ومن ثم اخذت الحوادث السياسية تضعف بولونيا كما هو داب كل امة وجهت اليها المطامع وطمحت اليها الاعين وقام مقام سكرزينيتكي دامبنسكي ثم خلف الاخير مالاكوفسكي ومن جرى فتنات داخلية وقع في فارسوفيا عراك دموي اتصل الى مدة يومين واجرى الشعب مذبحة هائلة في داخل الحبوس

والحاصل ان ما وقع في داخلية البلاد القاهم في خوف مرعب وهرب سزارتوريسكي متخفيًا واستقامت الحكومة الموقتة بين يديَ المجلس فاقيم مكانهُ كريكوفيائكي وفوض اليهِ بالسلطة المطلقة فهذا امر بقتل بعض اصحاب الفتن ومع ذلك لم يتمكن من اخمادها وارجاع الوفـاق . وخلف ديابيتش القائد الروسي باسكيافيتش اريغانسكي المتقوي بمساعدة بروسيا حيث كانت تفتح بيوت سلاحها ومخازنها في دانتزيك للثائرين فهذا القائد قطع الفستولا في كنيجسبر من تحت فارسوفيا ولم يقصد الهجوم على العاصمة من جهة براغا كما كان قد فعل سوفورف، لكن قصد الهجوم من ناحية فولا وطريق تزيستي وكان ينتهي بهاتين الطريقين متاريس مولفة من دوائر ذات مركز واحد . وفي ٦ ايلول (سبتمبر) هجم الروسيون على فولا حينما قتل الجنرال سوفنسكي وفيسوسكي محرك الثورة وفي نفس ذاك اليوم ابتدأَ باسكيافيتش باطلاق المدافع على تزيستي ومدينة فارسوفيا . وفي اليوم الثاني طلب كريكوفيائكي عقد شروط ليسلم فابى باسكيافيتش الأَ الخضوع والتسليم بدون شروط وان يكون تسليم فارسوفيا سريعًا ويقام جسر براغا ويرجع الجيش الى بلونك . فلم يجب المجلس على هذا الطلب في الحال وعليهِ

اعاد باسكيافيتش الهجوم بما الزم كريكوفياثكي بان يقبل بطلب
القائد الروسي لكن بنفس الوقت فصل واقيم مكانهُ نياموافيسكي
فشدد الروسيون الحمل فاحرقوا ثزيستي وتسلقوا جدران
حصون المدينة وسلم البولونيون صاغرين وعليهِ كتب
باسكيافيتش الى الامبراطور يقول · ياسيدي ان فارسوفيا هي
الان تحت قدميك ان الهيجان الذي اثارتهُ اوربا كان عليهم
وعلى بولونيا مناحة كبرى فليسد الانتظام في فارسوفيا وقد القى
السلاح فى بلونك خمسة وعشرون الف جندي واحضر خمسة
عشر الف جندي الى غاليثا · انتهى

ولم تكن فارسوفيا وحدها قد وقعت تحت اقدام نقولا بل
بولونيا برمتها ووجب ان تجدد احساسهُ من جرى الفتن والثورات
لكنهُ لم يحجز الاموال ولا حبس ولا نفى الى سيبيريا كما كان سابقًا
بل منح العفو لاكثر الثائرين واكتفى بملاشاة النظام القديم
الذي كان فى زمن اسكندر فابطل الوزارات وعوض عنها
بمجالس بسيطة ووضع روساءَ هذه المجالس تحت رئاسة ناميا ستنيك
(مجلس شورى الحكومة) ولم يبقَ قط مجمع وطني واقيم على بولونيا
حكام في سائر الانحاء من الروسيين وكذلك اكثر الوظائف
والخطط ولم يبقَ جيش بولوني ايضًا بل مزج بالجيش الامبراطوري

الروسي وذلت بولونيا ذلاً مؤبداً ولم تحفظ لنفسها حق النظام والحرية التي كان منح لها من جانب حكومات ملوك روسيا وبالتتابع ادخل اليها قانون الجزاء وشريعة الحقوق الروسية واصبحت الاراضي التاريخية القديمة قطيعات روسية وفي سنة ١٨٤٤ كانت خمس قطيعات وهي . فارسوفيا ورادوم ولوبلين وبلونك ومودلين

واما في ليطانيا وروسيا البيضاء فقد لوحظ بانتباه كثير العنصر البولوني وجزاء للهيجان الليطاني ابطلت كلية فيلنا ومنع تعليم اللغة البولونية في المدارس والحق القيصر اقاليم الجنوب الغربي بروسيا وعضده المطران جوزف سياماسزكو بتتبع فسخ الوحدة ووافق الاساقفة وسائر الكهنوت حيث كانوا يطلبون الدخول الى حضن الكنيسة الوطنية الارثوذكسية واسرع المجمع المقدس في سنة ١٨٣٩ بقبول هذا الطلب وقاوم قسم من الكهنوت والرعايا هذه الغاية فالف سياماسزكو عصبة ضدهم ونازعهم على الخضوع وعلى اهدام الوحدة التي كان الجوق اليسوعي منذ الجيل السابع عشر قد وضع اساسها ولا سيما مسئالة الراهبات (مينسك) فقد قلبت واستفاد الفلاحون الارثوذكسيون من هذه الثورة الدينية لكي يصونوا نفوسهم من

نفوذ ساداتهم الذين لا يزالون كاثوليك واعرضوا الى حكام روسيا البيضاء وليطانيا بان يفتحوا السجلات للاكتتاب وحصر ايرادتهم وحلف يمين الامانة وهذه السجلات انهت ظلم السادات

جدال مع فرنسا والمسألة الشرقية . ثورة سنة ١٨٤٨
مداخلة في هونغريا

وكانت النتيجة السياسية من جرى حرب بولونيا ان تقربت دول الشمال الثلاث من بعضها اكثر من الاول ووقع زيادة نفور بين روسيا واكثر الدول الغربية التي كانت اظهرت اعظم محبة للعنصر البولوني . وعلى الاخص كان يرى نقولا الاول في فرنسا ينبوع الثورات التي كانت تتولد بدون انقطاع وهو يرغب في ثبات العالم على حالتهِ غير ان في باريس كانت الاضطرابات تقريبًا عامة والجرائد لا تلهج بغير هذا الموضوع وكان من جرى ثورة سنة ١٨٣٠ قد قلب محالفة شارل العاشر

ولم تكن فرنسا تخفي شيئًا من جهة محبتها لبولونيا فوقع في باريس عدة فتن وكسر زجاج سفارة روسيا وقدمت عرضحالات كثيرة الى مجلس الشيوخ عند كل جلسة اقيمت

ورأى البولونيون المنفيون والمهاجرون ملاقاة حسنة في باريس ففتحت مدارس خصوصية لاولادهم وكان الاتحاد ضد نقولا في كل مكان تقريبًا وكانت خصومتهُ مع لويس فيليب ملك تموز متواصلة علاقاتهُ معهُ كناية عن مجموع اضطرابات واختلافات ونكايات واهانات بالكاد كانت تخفى وكانت المخابرات مع نواب فرنسا على الدوام بطريقة غير حسنة فكانوا يدعون بان ذلك اهانة تقع على الدوام عليهم وكان يتظاهر بمظاهر مختلفة واشارات تهديدية وقوات عسكرية وجمعيات دولية كانت تعلن باعادة قيام المعاهدات المقدسة وقد وجب عليهِ ان يكفر يومًا ما عن ارتضائهِ للخطر المسبب عن تلك الادعاءات الباطلة على فرنسا وعلى المقاصد الجديدة فهذا الموقع حكم عليهِ بان يكون كملك الملوك او كرئيس الحكومات الاوربية

وعندما كان في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٣٢ الجيش المصري يقدمهُ ابرهيم باشا في بيلان وفي قونية تقدمت روسيا الى اجابة الباب العالي وارسلت اسطولها الى البوسفور لينزل ١٠ الاف جندي على شطوط اسيا وقدمت ٢٤ الفًا الى جهة البروث . وهذا ترك سبيلاً لانكلترا وفرنسا ان تحتجا على هذا التقدم الروسي لـدى الباب العالي فنالتا معًا على ابتعاد

القوات الروسية ورجوع الجيش المصري ومن ثم اعاد
الاضطراب الاشاعات بوقوع معاهدة اونكيار سكالاسي بين
الباب العالي وروسيا وهي معاهدة دفاع وهجوم وذلك في ٨
حزيران (جون) سنة ١٨٣٣ وكان كل من المتعاهدين ملتزماً
بتقديم كل الاعانات للآخر لاطمئنان وراحة الممالك ورأى
الباب العالي في معاهدة روسيا عين الاصابة بحيث يكون
قد أمن من غوائل حروب جارته التي كانت الاسباب
بينهما متواصلة على الدوام مرات لجهة الحدود ومرات لجهة شعوب
الصقالبة او البولونيين الى غير ذلك وبين شروط كان من
المعاهدة انه اذا هجم على روسيا يقفل الباب العالي مضيق
الدردنيل وان لا يسمح ولا لمركب حربي غريب ان يدخل تحت
اي حجة كانت غير ان فرنسا وانكلترا ما كانتا لتسكتا عن
هذه المعاهدة واحتجتا ضدها مدعيتين انها اي المعاهدة المذكورة
تضحي استقلال تركيا تجاه روسيا وداومتا الاجتهاد بالمخابرات
السياسية للوقوف في سبيل اجرائها.

وعندما توفي حضرة ساكن الجنان السلطان محمود خان وخلفه
ابنه ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان في سنة ١٨٣٩ وكانت
مصر قد عادت الى الخروج والحرب استفاد نقولا من الاميال

العظيمة التي كانت تظهرها فرنسا لخديوي مصر لكي يفصلها عن باقي الدول وعليه ابتعدت انكلترا المشهورة بالحسد عن فرنسا لتقترب من الروسية واشتركت بالمؤامرات التي كان من قصدها افراز فرنسا عن الاتفاق الدولي ونظر نقولا بعين الرضا والقبول الى الاحتقار الذي وقع على فرنسا بسبب فصل انكلترا عنها وانضمامها اليه والى النمسا وبروسيا بمعاهدة ١٥ تموز (جوليه) سنة ١٨٤٠ التي عقدت بين بريطانيا العظمى وروسيا والنمسا وبروسيا والباب العالي ونتج من ذلك زيادة الغيظ في عالم باريس ولا سيما من مداخلة الانكليز والنمسا والباب العالي في مسائل سوريا وطرد العساكر المصرية منها ورات فرنسا انفرادها عن الدول وعرفت بغلطها فانها لسبب فائدة قليلة ربما كانت تومل الحصول عليها قاد عموم الدول للاتفاق ضدها . فسعت في ما فيه صالحها ففازت ببعض النجاح لان انكلترا الغير مستقيمة على سياسة واحدة والتي كانت ابتعدت عن فرنسا لكي تقوم ضدها في نجاحها بمصر عادت فشعرت بوجوب الاقتراب منها لحماية الاستانة من مقاصد روسيا وفرنسا بوقت اتفاق المضايق في ١٣ تموز (جوليه) سنة ١٨٤١ . وكان نقولا قد لعب الدور المستغرب ككفيل للاصلاح في الشرق وكان

قد سرَّ كثيراً من اجراء هذه الحوادث التي لم تكن في محلها لكنها كانت سبباً لاذلال لويس فيليب وتعريضه لمخاطر حرب عامة

وكان في اثناء هذه المدة قام بعدة دعاوٍ ضد فرنسا ففي سنة ١٨٣٣ التئم مجلس دولي في مونشانغرايتس حيثما التقى ملوك روسيا والنمسا وبروسيا ووزراؤهم الخصوصيون وفي سنة ١٨٣٥ شاهد تعليم العساكر في كاليش وعددها ٩٠٠٠٠ رجل بحضور ملك بروسيا ودوقات النمسا وجملة من الامراء وبذات السنة ايضاً اجتمع مجلس دولي اخر في تيليتس وعند موت شارل العاشر امر بحداد بلاطهِ مدة ٢٤ يوماً

وفي سنة ١٨٤٦ وقعت القلاقل والاضطرابات في غاليسيا النمسوية حيث ان الاعيان قاموا على الحكومة النمسوية ومن ثم ثار الفلاحون ضد اسيادهم وحينئذٍ فتحت كراكوفيا ابوابها لقبول الهاربين وسمحت بان يقام فيها حكومة بولونية وقتية وجربت بان تصلح الفلاحين مع اسيادهم بقصد ان ترجعهم الى الاذلال والعبودية واذ ذاك تقدم القيصر نقولا بدوره لاخماد الثورة خشية من اقتداء غيرهم من ابناء جنسهم بهم ودخلت جيوشهُ الاولى الى كراكوفيا حيثما تبعتها جيوش النمسا وبروسيا

وباتفاق الدول الثلاث حذفت الحكومة الكراكوفية وضمت الى النمسا ولم تقدر حكومتا فرنسا وانكلترا ان تاتيا بحركة الا بالاجتماع على المحافظة على معاهدة سنة ١٨١٥

ومن ثم جاءت ثورة سنة ١٨٤٨ فزعزعت اوربا بمناسبات لم يسمع بمثلها الى ذاك الحين ولم تكن ايطاليا باسرها والمانيا الغربية اصيبتا بالهياج وحدهما ولكن عموم البلاد التي كانت لاتزال ساكنة لاتعرف الارتباكات والاضطرابات السياسية والتي كانت كسوق لاوربا قائمة على الدوام ضد الافكار الثائرة فكل هذه البلاد هاجت واضطربت بالقلاقل والفتن حتى اتصلت الى حدود روسيا فقلب الترتيب الجرماني وجمع الالمان مجلس فرنكفور وجمع الصقالبة مجلس براغ وطرد الامبراطور فردينند من فينا ونظر في برلين فردريك غليوم بحزن الى الجثث الملقاة على الازقة وفي المراسح الواسعة من عمل الثائرين ونهضت هونغريا على صوت كوسيه ولحق الهياج بالمقاطعات الدانوبية فاهالي الفلاخ قلبوا حاكمهم بيباسو واهالي البغدان حاكمهم ستوردزا. فياترى الى اي جهة وصل حد هذه الفتن نعم لقد اكتشف في روسيا على عدة مؤامرات وكانت بولونيا من جرى اعمال المحركين البولونيين الذين كانوا يطوفون

اسواق باريس رافعين الاعلام مستنجدين الراي الفرنسوي

فشمر الامبراطور نقولا عن ساعد لا يكل بازاء الثورة الاوربية وانفذ عملهُ اولاً في البلاد الغربية فشدد على ملك بروسيا ليمنعهُ من قبول تاج الحكومات الالمانية واقام الحجة على حوادث بخارست وادخل جيشاً الى تلك المقاطعات وقبض على عروة الفرصة التي بها زعزع اركان الثورة الهونغرية والثورة الكروانية واجاب الى دعوة الامبراطور الشاب فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وقد اعهد الى باسكيافيتش باتمام انتصاره على بولونيا والتقت فرقهُ بفرق اعداء روسيا في كل من سني ١٧٩٩ و١٨١٢ و١٨٣١ اي تلك الطوائف البولونية التي كانت لا ترضى ان تستكن طويلاً تحت كلمة مالكيها وضربهم القائد المذكور في سهول هونغريا وقام بعدة مواقع واشغل كل ترانسلفانيا والزم القائد العام للثائرين هناك حين اشتداد الحركة ان يوقع على شروط تسليم فيلاغوس في ١٢ اب (اوغسطوس) سنة ١٨٤٩ ولذلك كتب باسكيافيتش للامبراطور يقول (ياسيدي ان هونغريا هي الان تحت قدميك) فوضعها القيصر تحت اقدام فرنسوا جوزف وهذا قد عاملها بنفس القساوة التي عامل بها القيصر الروسي بولونيا

وكذلك انتجت مداخلة الامبراطور نقولا في المسائل الدانوازية نتائج حسنة . ففي سنة ١٨٥٢ اجبر البروسيون على سحب جيوشهم من الدوقيات وان لاتعود الى عضد الهولستيين المتمردين واتخذ مع باقي الدول لكي يقرر بمعاهدة لوندرا في ٨ نوار (مايو) اصلاح الحكومة الدانوازية المطلقة

واما من جهة ثانية فان رجلاً اخر عظيم السلطة كان يجتهد مثل نقولا في اخماد الثورة الاوربية وهو لويس نابليون فمن جرى حملة رومية افنى الجمهورية الايطالية التي كانت قد تألفت وكذلك نظرًا لحكمتهِ وسلطتهِ ونفوذه ابطل الجمهورية الفرنسوية . فاعمال هذا الرجل العظيم جعلت لسان حال نقولا ان يقول وان كان يكره في اسم بونابرت (ان فرنسا قد اعطت مثالاً للشر وستعطي مثالاً للخير اني اعتقد بحكمة لويس نابليون واعرف انهُ يميل للاصلاح وبحسن السياسة) . لكن كان من جرى ادعاءاتهِ ومنازعاتهِ واميالهِ السياسية تجاه سلطنة تموز يظهر للعالم انهُ يريد ان يجعل مملكة النمسا جائزة لاعمالهِ غير ان جمهورية سنة ١٨٤٨ والمطالب التي كان يختلقها ويلقيها على الامة لزيادة نفوذه وسلطتهِ كانت وسيلة لقصاصهِ وطرحت سلطتهُ الى زواية الاهمال وفي ١٥ ايار (مايس) سنة

١٨٥٢ نظر الحركات العسكرية من الجيش النمسوي على متحدرات فينا وعانق الى صدره ملك النمسا وكانت النمسا لنكران الجميل انزمعت ان تدهش اوربا

الحرب الثانية مع الباب العالي . اتحاد القرم وانتباه الراي الروسي

وكان نقولا يغتاظ من مجرَّد نظرهِ الى مضادة نفوذه في الشرق من فرنسا والنمسا فمن جرى مسأَلة الاراضي المقدسة فازت فرنسا بحل مناسب لمطالب الجمعيات الكاثوليكية حيث سمح الباب العالي للاتين ان يبنوا خزانة في مغارة بيت لحم . وعند غارة عمر باشا على الجبل الاسود تمكن سفير النمسا بالرجاء ان يحمل الباب العالي على ارجاع الجيوش العثمانية فراى القيصر انهُ يرى بهاتين المسألتين احتقارًا من الباب العالي وتعديًا على حقوق الحماية على مسيحي الشرق التي كانت اعطتها للملوك روسيا معاهدتا كابرناجي وبخارست وغيرهما وعليهِ فقد ارسل البرنس مانشيكوف لاجل مخابرة الدولة العلية والحصول على اعتراف جديد بهذه الحقوق وعلى كفالات كافية لاجل المستقبل . فالدولة العلية التي كانت قد تمكنت من ميل فرنسا اليها ورات في ٢٠ اذار (مارث) أسطولاً فرنسويًا بالمياه

اليونانية رفضت طلب منشيكوف واظهرت له وجوب فسخ مطالب حكومتهِ . ففارق الاستانة ورجع الى بلادهِ بخفي حنين وكانت الانكليز الى ذاك الحين واقفة تنظر الى مجرى الحوادث ترغب في ان تدس بدسائسها لتلقي الشقاق في الشرق . وفي ٦ الى ١٤ اشباط (ففريه) سنة ١٨٥٣ تبادل القيصر نقولا مع السفير الانكليزي السر هاملتون سيمور مخابرات سرية كان من مالها ان قال القيصر للسفير المومااليهِ . ان تكون السرب والمقاطعات الدانوبية و بلغاريا ممالك مستقلة تحت حمايتهِ اي حماية نقولا واذا الزمتهُ الحوادث الى اشغال الاستانة العلية يكون كموءتمن عليها وليس كمالك وتكون انكلترا حرَّة في ان تطمئن على تلك الاراضي بحسب موافقتها تحت شرط انها هي ايضاً لا تشغل الاستانة الى ان قال . الان اكلمك كصديق وكشريف واذا توصلنا الى الاتفاق بهذه المصلحة بيني و بين انكلترا لا تعود تهمني البقية ولا اخاف مما يصنع او يفتكر ان يصنع الاخرون . واكون بعد هذا الاتفاق بتمام الفوز ولا اقلق من خصوص غربي اوربا وما يفكرهُ الدول هو قليل الاهمية . انتهى . وكان يقصد القيصر بقولهِ الاخرون فرنسا والنمسا وهو يجتهد في جلب انكلترا وكان يترجح عندهُ انهُ لا يمكن الاتفاق بين فرنسا النابليونية و بين

انكلترا بسبب حوادث واترلو وسنت هيلانه وهودسون لوف فهذه المخابرات المجهولة التي القاها القيصر نقولا عن غير تبصر الى سيمور كانت السبب الى تقارب الدول وانتباهها الى مقاصد نقولا وخافت انكلترا من التقرب من روسيا واخذت في ان تحث فرنسا وتحملها على العمل . ومن جرى هجوم الروسية على المقاطعات ظهر للدول ان تلك الخطة الاولى التي وضعت لاجراء رسم تلك المقاصد

وفي ٢ تموز (جوليه) من سنة ١٨٥٨ قطعت الجيوش الروسية البروث تحت قيادة الجنرال كوتشاكوف واعلن القيصر انهُ لا يريد بذلك فتح الحرب او الاستيلاء على بلد من بلاد الدولة لكنهُ يرغب في الحصول على ضمانة كافية ليكون امينًا على حفظ واجراء المعاهدات السابقة الذكر التي كانت تخول ملوك روسيا حقوقًا ممتازة في الشرق . واذ ذاك دنا الاسطول الفرنسوي والانكليزي من المحلات المشهورة واخذا مركزًا في جون بزيكا دون ان تكون بعد قد قطعت المضايق التي بنود المعاهدات كانت تؤذن بقفلها على مراكب الحرب وبسبب ذلك نشرت روسيا لايحة ما لها ان هذا السلوك الذي سلكتهُ الدول واتخذتهُ في اجراءاتها يضعها تحت ضربة التهديد

ويجلب اليها قلاقل واضطرابات جديدة ويحط من قدر النفوذ المسلم اليها بمصادقة الدول

وطلبت النمسا عقد مؤتمر في فينا فاجابها الدول الى ذلك واجتمع فيهِ مفوضو خمس دول وقد تقربت فيهِ بروسيا من النمسا وبواسطة هذا الاجتماع كان يترجح الحصول على السلام وقد استعد القيصر لان يبدي بعض تسهيلات في مطالبهِ تحت شرط ان يقرر حق حمايتهِ على المسيحيين فانف الباب العالي واثر الحرب على الرضا بهذا الطلب قبل ان تخلي روسيا المقاطعات التي دخلتها وافتتحت الحرب وقامت سوقها واظهر العثمانيون في هذه المرة شجاعة عند الدانوب لم يكن ينتظرها الروسيون ولا دخلت لهم في حسبان

وفي تلك الاثناء ذهب اسطول عثماني مؤلف من سبع مراكب من نوع الفرقاطة وثلاث من نوع الكورفت وفابوران تحت قيادة عثمان باشا الجاب المؤن من باطوم فالتزم لمضادة الريح ان يرسو في مينا سينوب وهي بلد بحرية من الاناضول واقعة على الشط الشمالي من البحر الاسود . وعلم الاسطول الروسي الذي كان يطوف في البحر الاسود بدخول العمارة العثمانية الى مينا سينوب فارسل حالاً الى سيبستابول يطلب

زيادة لقوته وكانت سيبستابول تبعد عن سينوب نحو ٤٢ فرسخًا بحريًا فحالاً تقوى الاسطول الروسي بثلاث مراكب ذات سلاح جيد وبذلك صار الاسطول الروسي اقوى من الاسطول العثماني

وفي ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ١٨٥٣ عند الظهر دخل الاسطول الروسي الى الجون تحت ضباب كثيف كان يغطيهِ فلم تظهر الا عن قرب وكان عليهِ الاميرال ناكهيموف وتحت امرهِ الفيس اميرال كورنيلوف والكونتراميرال نوفومسيلسكي وبامفيلوف ونحو الساعة واحدة ونصف بعض الظهر اطلق المدفع الاول من الروسيين على حين بغتة ومن ثم اشتد رمي القنابل بافراط وكانت موقعة مرعبة اظهرت حقد الروسيين وياس العثمانيين

وفضلاً عن ان المراكب الروسية هي اكثر من العثمانية لكنها كانت اكثر سلاحًا واجود وعليهِ لم يكن يلزم اكثر من خمس دقائق للمركب المدعو الكراندوق قسطنطين لكي يعطل صف مدافع وجدت تحت ناره ولكي يحرق بارجة وجدت بالقرب منهُ . وعند ارسال الطلق الثاني من المدافع الروسية طارت بالهواء البارجة المخصوصة بعثمان باشا . ولما

كانت المراكب العثمانية قد اخذت بغتة لم تتمكن من مركز تقدر بهِ على تعطيل احدى المراكب الروسية بل كانت قنابلها تذهب بالهواء . وببضع ساعات غرقت واحترقت كل المراكب العثمانية وخسرت اربعة الاف رجل ونجا نحو الف ومائة رجل الى الضيع القريبة . ولم يكن هذا نصيب المراكب العثمانية فقط بل نصيب جميع المراكب التي كانت راسية في مينا سينوب فانها احترقت جميعها ومن جملتها مركب انكليزي تجاري وستة مراكب عثمانية تجارية وغرق اثنان من الملاحين الانكليز وبدون شفقة اطلقت المدافع على المدينة ولم تنبه قناصل الدول الاجنبية اولاً حسب العوائد ليصونوا نفوسهم من نار المدافع او يخرجوا من المدينة من كان تبعتهم لكن الروسيين بعد اتمام العمل اكتفوا بتقديم اعتذارات حبية

ولاقى اهل بطرسبرج خبر هذا الانتصار بفرح عظيم وقد قال البرنس مانشيكوف عن خبر هذه المعركة المحزنة الى القيصر ان اوامر جلالتكم الامبراطورية تممت بالنوع الاحسن ما يكون من الاسطول المختص بالبحر الاسود وقد هدم الاسطول العثماني فاجاب الامبراطور على ذلك . ان الانتصار الذي وقع لنا في سينوب يظهر جديداً ان اسطولنا بذاك البحر تم بكل اهلية خطتهُ

وبفرح ومحبة ثابتة اوكلك لان تقوم بالشكر من كل ملاحينا الشجعان عن هذه المعركة التي صنعت لمجد روسيا ولشرف علمها . انتهى . لكن الانفصال من جرى هذه الحوادث كان عموميًا بكل مدن اوربا ونظرت الدول الى عمل روسيا من باب المباداة بالشر والاحتقار بها ولكي نتأكد صحة هذه الاخبار ونقف على نتائجها سافر الى مينا سينوب بارجتان احدهما فرنسوية والثانية انكليزية وهما رترتيبسيون وماكودور وعند وصولهما نظرتا ارعب منظر لان الجثث كانت تغطي الجون وصوار محطمة وقطع المراكب عائمة على وجه المياه وفضلات منها كانت لاتزال تحترق ودخانها يتصاعد والمينا والشط قفر والبيوت مقلوبة والابنية محروقة ونحو ثلاثة الاف بيت غابت تقريبًا ومحيت اثارها والمحلات اليونانية كانت قد تهدمت وداخلها الرماد والخراب . ولم يجد ملاحو البارجتين عند نزولهم الى البر الا مجاريح ومنازعين يتقلبون باوجاعهم فاحضروا من هولاء التعسـاء الى الاستانة العلية نحو ٢٨٠ شخصًا . وعند نهاية التحقيقات ارسلت السفراء الى دولها الخبر الرسمي بذلك وعليه الاسطولان الانكليزي والفرنسوي التي دخلا الى البوسفور رغمًا على كل اعتراض ونزاع دخلا في هذه المرة الى البحر الاسود والزما

الاسطول الروسي ان ينحصر في الميناء

وفي ٢٩ كانون الثاني سنة ١٨٥٤ ارسل نابليون الى القيصر رسالة بخط يده وهي كانت التجربة الاخيرة للاتفاق على الصلح. فلم يرَ من نقولا غير جوابهِ الاول وهو يفضل الحرب على اسقاط المعاهدات وكان حينئذٍ قد نشر الانكليز مآل مقاصد نقولا وهي المحادثة التي جرت بينهُ وبين سفير الانكليز في بطرسبرج واخذ عليهِ العهد بالمحافظة على السر وقال لهُ اني اخاطبك كصديق وكشريف . فنقض هذا السر اغاظ الروسيين جميعاً واحدثت هذه الاشاعات نتايج عدوانية ونظرت فرنسا والنمسا وبروسيا الى اي حدٍ تضحت صوالحها الدى مقاصد نقولا واحتقاره من قولهِ للسفير الانكليزي هذه العبادة (لما يقدر ان يفعلهُ او يفتكر بهِ الاخرون) وفي ١٢ اذار (مارت) سنة ١٨٥٤ اكدت فرنسا وانكلترا اتحادهما مع الباب العالي وفي ١٠ نيسان عقد تامعها معاهدة هجوم ودفاع . وفي ٢١ نيسان (افريل) امضت النمسا التي ازمعت ان تتهدد الدانوب معاهدة مع بروسيا تضمن اشتراكهما بالحرب مع الباب العالي ضد روسيا ومن ثم راى نقولا ان جميع دول اوربا العظيمة قد قامت ضدهُ وهي انكلترا والباب العالي وفرنسا وبروسيا والنمسا وايطاليا التي كانت

تابعة لاهواء فرنسا ومقاصدها

وسمحت لهم عظمة قواتهم البحرية بان يهجموا على روسيا في كل البحور ففي البحر الاسود ضرب المتحالفون مينا اودسا العسكرية وذلك في ٢٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٥٤ وحافظوا على المدينة والمينا التجارية وضربوا المستعمرات الروسية على ناحية القوقاس وانابا وردوت كالي وسوكوم كالي فكل هذه المواقع حرقها الروسيون انفسهم كي لايتركوا سبيلاً لادعاء المتحالفين بالانتصار عليها . وفي البلطيك حاصر المتحالفون كرونستات ونزلوا في جزائر الاند واخذوا قلعة بومارسوند في ١٦ آب (اوغسطوس) من تلك السنة وفي سنة ١٨٥٥ اطلقوا المدافع على سفيابورغ . وفي البحر الابيض هجموا على سولوفيتسكي (الدير المتحصن) . وفي بحر اركهوتسك حاصروا المرافئ السيبيرية وهدموا بيوت السلاح في بتروبافلوفسكي واقلقوا مركز الروسيين عند نهر امور . فالروسيون الذين كانت تتهددهم محالفات النمسا في ترانسلفانيا ونزول الانكليز والفرنسويين في غاليبولي ومن ثم في فارنا اجتهدوا لان يستولوا على سيليستريا وبسببها من نيسان الى تموز خسروا كثيرًا من الرجال واخيرًا سقطوا وفي دبرودشا ارسل الفرنسويون حملة رجعت بدون

ادنى فائدة متقهقرة · وكان الهواء الاصفر هناك والحميات البحرية قد افنت كثيرًا من العساكر ولا سيما الفرنسويين · واخيرًا اعتمد الروسيون على اخلاء المقاطعات الدانوبية فاشغلها النمسويون باتفاق مع اوربا والباب العالي وعليه انتهى القتال عند الدانوب وابتدأت حرب القريم

وتم الاتفاق على هذه الحرب في مجلس عقد في فارنا في ٢١ تموز (جوليه) بين جنرالي الدول المتحالفة وفي ١٤ ايلول (سبتمبر) انزلت المراكب كثيرًا من الفرق بقرب اياتوريا · وفي ١٨ منهُ مشت عساكر الدول المتحالفة في الطرق المودية الى سبيستابول غير مكترثين بالمانعات القليلة الاهمية التي كانت تحول دونهم في الطرق المذكورة ولا سيما في نهر ألما حيث كان اقام هناك البرنس مانشكيوف بفرق من العساكر الروسية وكان يظن ان ذاك الموقع لا يوخذ منهُ قطعًا وقد ارسل في هذا المعنى بتلغراف مبالغة الى القيصر يقول فيهِ · (مائتا الف عدو وثلاثة اشهر لا تكفي لقلعي من الموقع الحسن الذي اشغلهُ) وبتلغراف آخر كان يظهر انهُ يلقي بالاعداء الى البحر اذا تجاسروا على الهجوم عليه

وكانت الجيوش المتحالفة تسير مراحل قصيرة وتلتزم احيانًا

ان تقف للحصول على الماء القليل ووصلوا في التاسع عشر من
ايلول عند المساء على بعد فرسخ من الروسيين وكانوا اقاموا
على مسافة من البحر على ضفة ألما الشمالية وهذه الضفة متشعبة
وكثيرة الارتفاع وهي نهاية الراس الصخري المحيط بالبحر والداخل
بالبر على طول ذاك النهر . وقد قال القائد الفرنسوي وهو
الماريشال دي سن ارنود برسالة قدمها الى امبراطوره نابليون .

ماالما

جمع الروسيون كل قواتهم ليعارضونا عند المرور من نهر
الما وكان يقودهم البرنس مانشيكوف بشخصهِ وكل الاعالي كانت
مجهزة بالمتاريس والمدافع وكان مجموع الجيش الروسي اربعين
الف بندقية متجمعة من كل اقطاب القريم وستة الاف حصان
ومائة وثمانين قطعة من مدافع السفر والمواقع . وفي الساعة
السادسة من اليوم العشرين باشرت العمل بواسطة فرقة بوسكي
المتقوية بثماني فرق من العثمانيين وجعلت الحركة تدور وتحيط
بشمال الاعداء وعطل البعض من صفوف مدافعهم وكنت الزمت
الانكليز ان يتطاولوا من عن شمالهم ليتهددوا بذات الوقت
يمين الروسيين ولكن جيوشهم (اي الانكليز) لم تقدر ان تصل
الى الصف الاَّ الساعة عشرة ونصف ولكنهم بكل شجاعة عوضوا

هذه العاقة فبعد الساعة الثانية عشر بنصف ساعة كانت تشغل الجيوش المتحالفة خطاً يمتد على مسافة تزيد عن فرسخ وتصل الى حد نهر الما فلاقانا الروسيون بنار مرعبة مهلكة . الخ

وكان قتال الروسيين شديداً ولا يمكن لعقل بشري ان يحد بقوة ذاكرته دائرة تلك الحرب التي كانت منتشبة بين الروسيين الذين شهدت صفحات التواريخ انهم من اشد العالم بسالة وبين عموم الدول المتحالفة الذين يوجد بينهم من هم من شجعان العالم كالعثمانيين والفرنسويين وفي النهاية ترك الروسيون نهر الما وتقهقروا راجعين واستولى المتحدون على مراكزهم وفي ذلك كتب ايضاً القائد الفرنسوي الى الامبراطور حيث يقول

بعد استيلائنا على المراكز التزمت ان ابقى يومين طلباً للراحة لان جيوشنا كانت بحالة غير مرضية ولكي ارسل بجار يحنا الى الاستانة ولاخذ من المراكب البحرية المؤن والذخائر . خسر الانكليز اكثر من الف وخمسمائة رجل صحبة الدوق دي كامبريدج صحتهُ جيدة وانا اتاسف على نحو الف ومائتي رجل وثلاثة ضباط قتلوا واربعة وخمسين جريحاً فضلاً عما قتل

وجرح من متحالفينا . والجنرال كانروبر جرح جرحاً خفيفاً من بندقة اصابتهُ بجانب من صدرهِ وبيدهِ لكنهُ غير مخطر والجنرال تومي من فرقة البرنس نابليون اصابتهُ رصاصة باسفل بطنهِ فجرح وجرحهُ مخطر جداً . مدافعهم اضرَّت بنا لكن مدافعنا هي احسن منها واتاسف كونهُ لم يوجد معي خيالة من خيالي افريقيا وقد امتاز الزواف بين الجيوش لانهم اول عسكر في عساكرنا . انتهى .

ولم يتوقف العسكر الروسي لاعند تاشا ولاعند بلباخ ولكنهُ عجل بالوصول الى سيبستابول املاً ان يجد راحة داخل اسوارها ووراء المدافع التي كانت تحميها وهناك سد البرنس مانشيكوف ممرّ سيبستابول حيث اغرق عند مدخلها ثلاثة مراكب وبارجتين

وبسبب استيلاء الدول المتحدة على ألما فتحت لهم طريق سيبستابول وكان ذلك كضربة عظيمة على روسيا لانها منذ سنة ١٨١٢ ما رأت عدوًّا يدب على ارضها والقريم التي كانت تحميها اساطيل قوية وقلاع لا تؤخذ كانت تدهش المتجمعين الذين كانوا يظنون انهم بعد استيلائهم على الما اصبحوا الحاكمين على سيبستابول . ومن ثم اخذت الدول المتحالفة في الحركة

متقدمين الى الامام والسكان الروسيون مع عساكر البحر ساعدوا بالشغل في نقل التراب وفي ايام قليلة بسرعة عجيبة اقاموا ارض شرسوناز الصخورية وصارت اخاديد وحصوناً تعلوها ابراج من الحطب ومالاكوف الشهيرة تكللت بالمدافع المستعارة من البحرية و١٤ او ١٥ الف ملاح جاءوا للتقوية المحافظة . والقواد كورنيلوف وايستومين وناكهيموف جاءوا الى مالاكوف ليديروا التحصين ويدبروه بمعرفتهم ومشى المتحالفون الى مينا بالاكلاف لياخذوا موقعاً تجاه سيبستابول ومن جرى عدة حملات اقلقت المتحالفين التزموا بالقيام بثلاث معارك مشهورة وهي معركة بالاكافا في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ومعركة اينكرمان في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ومعركة ايباتوريا في ١٧ شباط (فبريه) وهاك بعض تفاصيل المعارك المذكورة باختصار

معركة بالاكافا

قال الجنرال برابورتيه كانرو براحد القواد الفرنسويين في صبيحة اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول (اوكتوبر) عند انبثاق الفجر هجمت قوات كثيفة من الروسيين على التلال القائمة على بعد ٢٥٠٠ متر عن شط بالاكلاف وكانت محمية ببعض اعمال ومشغلة ببعض رجال الدول المتحدة فطردوهم

منها واستولوا عليها

فحالاً ذهبت انا واللورد راكلان الى الاعالي التي تحيط بوادي بالاكلافا وتولف حدود موقعنا بمدة الحصار فراينا الروسيين قد حلوا بالتلال المذكورة وكان يظهر ان عددهم يبلغ العشرة الاف فطلب اليَّ اللورد راكلان ان اجمع فرساني الى فرسان الانكليز الذين كانوا موجودين على السهل فامتنعت . ومن ثم بينما كان اللورد راكلان يرتب فرقتين من المشاة امام الشاطي كنت انزل بفرقتي الاولى الى الاسفل . وقد كان تقدم النهار عندما فرسان الانكليز القوا بانفسهم بجرارة فائقة الحد على معظم الجيش الروسي . . فهذه الحملة المقامة بجسارة كلية تحت مشتبك نار المشاة والمدفعين احدثت اولاً عدم انتظام بالصفوف الروسية لكن لما كنا قد ابتعدنا عن الانكليز كثيراً اعترتهم خسارات جسيمة و بهذا الوقت فرسان فرقتي الافريقيون الذين كانوا يسكون السهل تقدموا لمساعدة الانكليز وبعد اشتباك قتال عنيف وخسائر كثيرة لحقت بالانكليز رجع عساكرنا بانتظام عند اقبال المساء . انتهى

وفي هذا اليوم كانت خسائر الانكليز عظيمة لان الفرسان الانكليز بعد ان كانوا نحو سبعماية فارس صاروا نحو المائتين

والاربعة وثلاثون ضابطاً هلكوا والفرقة ١٧ تقريباً اضمحلت وكذلك خسائر العثمانيين واما خسائر الفرنسويين فانها كانت قليلة فعلاً لان قليلاً منهم دخل هذه المعركة

معركة اينكرمان

نهض الروسيون في صبيحة اليوم الخامس من تشرين الثاني للقيام بالمعركة وكانت السماء تمطر كل الليل والضباب الكثيف يغطي اعالي ووادي اينكرمان وكان عددهم نحو الاربعين الفاً مع مدفعين عديدين فتقدموا بهدو عن يمين الانكليز وقطعوا التل الذي كان وضعت عليه اخاديد الانكليز ريثما كانوا مطمئنين لايفتكرون انه يهجم عليهم . فبغتة انحدرت نيران شديدة من مشاة الروس الى اعماق الوادي حيث كانت طلائع الفرق الانكليزية فهذه الفرق رجعت الى الوراء بكل سرعة منكسرة ودار الروسيون باعالي الوادي وكانت ملابسهم السمكية الرمادية التي هي بلون الضباب تكاد لاتجعلهم منظورين ولو على بعض خطوات وبعد انكسار الانكليز اخذ المتراس الذي كان يحمي جناحهم الايمن وجهزهُ الروسيون حالاً بالمدافع وابتدأُوا باطلاقها على عساكر الانكليز

فجمع الجيش الانكليزي ما تفرق منهُ ووقف هنيهة حيث انضم الى بعضهِ وارتمى بنظام حسن على عدو عظيم · وقد قال ضابط انكليزي ممن كان في هذه الموقعة المرعبة · وحينئذٍ ابتدأَت معركة من ادمى المعارك التي نظرت منذ ابتداء الحرب بالعالم · · معركة اينكرمان تستغرق كل وصف فكانت مجموع اعمال وشجاعة مدهشة بوقوف جسد تجاه جسد وهجمات تامر باليأس وقطع الرجاء على المتحاربين الذين كانوا يقتلون في الوديان ووراء العليقات وفي الخروق المخفية عن عيون البشر والمنتصرون وهم الروسيون نالوا فوزاً ممدوحاً الى ان ادركتهم العساكر الفرنسوية وشاغلتهم في القتال

وعند ما ابتدأَ الهجوم من جهة الاخدود المقام هناك ظهرت بوادي بالاكلافا مشاة وفرسان ومدفعيون لكي تجلب الى تلك الناحية انتباه الفرنسويين وعسكروا في الاعالي لمنعهم عن مساعدة الانكليز غير ان الجنرال بوسكي الذي كان يامر جيش المحافظة عرف ان ذلك هجوم كاذب · وكان وصول الجنرال بوسكي بوقتهِ لان فرق كامبريدج وكاتار وفو حفظوا نظامهم اثناء القتال تحت هيجان تلك النار المحرقة · وقاتلوا بعناد مدهش اشد عالم القتال ولم يكن الانكليز قادرين على اطالة

المعركة وقد اعترى فرقة كامبريدج خسائر جسيمة وقتل
الجنرال كاتكار وباوقات كثيرة كان الانتصار متبادلاً ثم يميل
الى جهة الروسيين الى ان ظهرت فرقة بوسكي ومعها اربعون
مدفعاً بالصف الاول وفرقة مونيت وفرسان موريس وعندما
لحظ الانكليز الوان الزواف على اعالي التل اقتبلوهم باصوات
الفرح وفي اثناء ثلاث ساعات تم القائدان كانروبر وبوسكي
هجوم عساكرهما وعند الظهر توقف نجاح الروسيين ولكنهم مع
ذلك لم يخونوا صفوفهم ولا بارحوا مراكزهم مع انها كانت واقعة
تحت نيران مدافع الفرنسويين الشديدة ولا تغيرت وجوههم للهجوم
الجديد وقد حمل الفرنسويون بالحراب فالتقوهم بمثلها وعظم الهول
كثيراً فتقطعت ايدٍ كثيرة وسالت ادمية كثيرة و زادت الاحقاد
فان الفرنسوي او الانكليزي او الروسي اذا شاهد رفيقهُ مجروحاً
يحتدم غيظاً فيرتمي لياخذ بثاره غير حاسب للموت حساباً فلا
يلبث ان يصاب هو ايضاً وهكذا وكانت فرق الدول المتحدة
تزداد على الدوام الى ان امر القواد الروسيون عند انقضاء النهار
رجالهم بالرجوع فرجعوا بانتظام وانقسموا الى فرقتين الواحدة
ذهبت الى المدينة قاطعة جسر اينكرمان والثانية توارت بالطريق
المؤدية الى اعالي برج الشمال

وقد قال الجنرال الفرنسوي برابورتيه علاوة عما تقدم ٠ انهُ في اثناء القتال عند يمين الانكليز خرج بجسارة من المحل المحاصر جيش يبلغ عددهُ خمسة الاف رجل روسي يعضدهُ صف من المدافع وكان خروجهُ من قلعة كارنتان وندرج في الطريق الواقعة الى شمالي صفوفنا وهو مغطى بضباب كثيف وسقط بقوة على صفوف المدافع الاولى والثانية واجبر هذه الصفوف ان تنسحب الى جيش محافظة الخنادق المولف من الفرقة ٣٩ والفرقة ١٩ واربع فرق من الجيوش المتحدة كادوا جميعًا ان ينسحقوا امام قوة الروسيين لولم يدركهم فرقة ١٩ من الفرسان الفرنسويين واربع فرق من الدول المتحدة فانتعشت بذلك رجالنا

وعند الطلق الاول من الروسيين كان الجنرال فوري قائد جيش الحصار العمومي تهيأ لكي يرجعهم بعد خروجهم الى القلعة فامر القائدين دي لورميل ودي اوريل ان يتقدما الى الامام بينما كان البرنس نابليون قائمًا على المحافظة مع فرقتهِ . وقد قال القائد العام الفرنسوي ٠ ان فرقة لورميل التي كان يقيدها وقفت بثبات مدة القتال وفرقتان اخرتان تبعتا الروسيين بدون انقطاع عندما رجعوا بانتظام تام وحينئذٍ راى الجنرال موت روج وصول الجنرال دي لورميل لاعالي جون كارنتان

حيث كان قد تبعهُ بالهجوم و وصلت جيوشنا على بعد قليل
من اصوار المحل . واذ حكم الجنرال فوري ان تتبع الروسيين
وقد ابتعد جداً ارسل اركان حربهِ وهو رئيس الفرقة اوفرنيه
والقبطان كولون حاملين الاوامر المقواد بالرجوع سريعاً
خوفاً من ان يعود الروسيون فيهلكونهم جميعاً وعندما وصل
الموسيو اوفرنيه بالقرب من الجنرال دي لورميل وقد اصابتهُ
رصاصة خرقت جسمهُ من جهة الى ثانية وكان جرحهُ مميتاً
لكنهُ بقي ثابتاً على جوادهِ ينازع بكل جلد وهو يصدر اوامرهُ
فلم يلحظ اوفرنيه انهُ مجروحاً القى عليهِ الامر الذي كان يحملهُ
فقال لورميل بصوتٍ واطٍ . اني مجروح فاجابهُ . اهل جرحك
بليغاً . فاحنى راسهُ . فقال اوفرنيه اهل تظن انهُ يمكنك
مداومة قيادة الجيش . قال كلاَّ فانقل الاوامر الى معاوني نيول
فحمل الامر الى نيول وفي الحال رجعوا تحت نار مدافع
الروسيين الاكلة . وقد قال الجنرال فوري لقد كانت
خسائرنا عظيمة جداً بهذا اليوم ولكني لا اغلط اذا قلت بان
عدد قتلى ومجاريح الروسيين وصلت الى حد ١٢٠٠ وعلى هذا
الوجه ترتب على الروسيين الرجوع الى محلهم . واما خسائر
الجيوش المتحالفة فكانت كثيرة فخسر الانكليز نحو الفين وستمائة

رجل وقتل منهم ثلاثة قواد وجرح اربعة وفي معركة اليمين
خسر الفرنسويون نحو تسعمائة رجل واحتملها بالاجمال الفرقة
الثانية وفي الشمال خمسمائة رجل بين قتيل وجريح عدا عن
الضباط والقواد . انتهى كلام برابورتيه

موقعة ايباتوريا

من اعظم الفوائد التي حصل الروسيون عليها هوانهم
عطلوا المدافع ثلاث مرات وطمروا الخنادق وكثيرًا ما كانوا
قاموا بمناوشات تحت اسوار تلك القلعة فمات بها كثيرون
من شجعانهم وشجعان الدول المتحدة ولاسيما عندما كان
القتال يقع مغطى بستار الليل . ولدى حضور العثمانيين
الى ايباتوريا لاجل التقوية والانضمام الى سواهم من المهاجمين
تضجر الروس وقصدوا الاستيلاء على المدينة . وفي ليلي ١٦
و١٧ شباط (ففريه) اقاموا تجاه المحل حواجز مولفة من تلال
من الاراضي معينة لتغطية مدافعهم وفي اليوم ١٧ الساعة الخامسة
صباحًا فتح ثمانون مدفعًا افواهها واندفعت كراتها حاملة رسل
الموت والهلاك ووراء تلك المدافع نحو ٢٥ الف رجل واربعة
الاف راس خيل تحت قيادة الجنرل كروليف . فاخذت تلك
الكرات المندفعة خمس عجلات موَن للعساكر العثمانية وعطلت

عدة مدافع واوقعت خسائر جسيمة بالدول المتجمعة داخل ازقة ضيقة وكانت عرضة لتلك الكرات التي كانت تقع دائمًا على البلد واستمر اطلاق المدافع نحواً من ساعتين بعدها اعتمد الروسيون على الهجوم من الجنوب الشرقي وتلك الجهة كانت اقل استعدادًا وتحصينًا من باقي الجهات وتقدم خمس فرق من المشاة مجهزة بالسلالم وبالمواد اللازمة لقطع الحفر والتسلق على الاسوار . فتقدمت الى حد اربعمائة متر تحتمي بجدران مقبرة قديمة ثم فصل منها طابوران تقدما الى نحو عشرين مترًا من خندق الدفاع وهناك تبادل القتال فرجع الروسيون الى الوراء ثم استانفوا الحمل ثانيًا فارجعهم صف من العثمانيين وقهقرهم الى الوراء

وفي مدة هذه المعركة كانت المدافع الروسية لا تنقطع على الاطلاق على طول الخط وعلى الاخص كانت تسقط على التاج المدعو (تاج المطاحن) وهناك قتل القائد المصري سليم باشا الرجل الحربي الذي بكل عدل يحق له الاعتبار ورستم بك رئيس فرقة وهو كذلك عد خسارة تستحق الاسف وفي الساعة العاشرة رجع الروسيون تمامًا . وفي المدة التي كانت تدافع فيها الجيوش العثمانية دفاعًا يستحق الشرف والافتخار

في القريم كان الفرنسويون يتقدمون بدون صعوبة باشغال الحصار واحتمل الجيش الانكليزي عذاباً كثيراً من قساوة البرد لكونهم اقل تثقيفاً من العثمانيين والفرنسويين الذين اكثرهم كان تجرب في فيافي افريقيا وفي الجهة الشرقية من اوربا وقد قاتلوا الروسيين مراراً عند الحدود الدانوبية ولم يقدر الانكليز على القيام باشغال الخنادق وقد افترسهم المرض اكثر مما افترسهم نار الروسيين واسباب كثيرة نظير عدم الكفاءة بالقيام بحسن ادارة هذا الجيش الجميل وعدم وجود الاطباء فيهِ افقدت منهُ ثلثاه ُ ولهذا كان غير كافٍ للقيام باعمال الحصار من اليمين حيث كان قد اعهد اليهِ بحماية اليمين فالتزم الفرنسويون بان يقوموا مقامهُ . وبسبب وصول نجدة عمد الجنرال كانروبر على اقامة حواجز جديدة قاصداً ضرب قلعة مالاكوف وهو المحل الحصين الذي يستند اليهِ الروسيون في حماية سيبستابول واعهد الى الفرقة الثانية تحت امرة الجنرال بوسكي ان تباشر الهجوم والى الجنرال نيال الذي كان قد وصل قريباً من القريم وقد عرف ان النقطة الوحيدة للهجوم هي ذاك المحل ان يملك على قلعة مالاكوف فيسهل عليهِ الاستيلاء على المدينة ذاتها وكان الفرنسويون قبل ذلك الوقت قد اهملوا هذا المحل

غير ان الروسيين كانوا يعرفون عظم اهميته وقد اجتهدوا كثيرًا
بشجاعة لان يبعدوهم عنهُ فرفعت صفوف مدافع وبنيت امام
قلعة مالاكوف مكامن عطلت اعمال الفرنسويين وفي نهاية شباط
وبداية شهر اذار وقعت معاركات كثيرة اكثرها تحت ظلام
الليل اخذت واسترجعت فيها تلك المكامن عدة مرات
والوقعة الاكثر خطارة حدثت في ٢٣ شباط (ففريه) بحيث
قام الجنرال بوسكي بالهجوم على الحصن الذي بناه الروسيون
على بعد الف متر امام الخطوط الفرنسوية وبعد ان عرف
القائد العام بمدة النهار مسالك الارض اعطى بالتعليمات اللازمة
للخروج والهجوم

وكان من جملة الهاجمين فرقة من المهندسين وفرقة من
الطبجية وفرقتان من الزواف عليهما الجنرال كلار والفرقة
الرابعة البحرية قائدها مارميه وفي مقدمتها القائد مونت واعهد
اليهم جميعهم بالهجوم وفرقتان اعهد اليهما بالمحافظة وكلهم تحت
قيادة الجنرال مايران . وكان يسبق العمل الروسي جملة مكامن
يرى من الصعب معرفة موقعها وقوتها . فالجيوش الموكلة
بالهجوم وصلت اليها بشدة وقطعتها بعد معركة دموية شديدة
فسحقت يد الجنرال مونت اليمنى برصاصة فتناول سيفهُ بيده

اليسار . وضاءت ساحة القتال بانوار نيران المدافع المندفعة
من المدينة واضيف الى هذه النيران نار الفرق القائمة
خلف المواقع . وحيث حكم الجنرال مونت بصعوبة الموقع انطرح
فى مقدمة الزواف على لهيب المدافع ونيران البنادق فجرح
ثلاثة جروح اخرى ولم يخفف مشيه ولاكف عن الصراخ بل
كان ينادي الى الامام . . . الى الامام . . . بالحراب . . .
بالحراب . . فتقدمت العساكر الفرنسوية برفقه الى احد الحواجز
ودخل البعض منها واخرون تسلقوها من المكامن وكان
الاختلاط عظيما بين المتقاتلين والحراب تخرق الصدور والغوغاء
تملاء القريم وصياح الانين يتعالى من كل جهة والى جانبه صياح
الاستحسان فكنت ترى فرنسويا يجرح روسيا والى جانبه روسيا
يجرح فرنسويا وقد حكم الليل بان لا يفرق بينهما وكان الاسطول
يرمي بالقنابل على المتحاربين فيصيب بها الروسيين والاعداء
معا بحيث كان لايقدر ان يفرق بينهما تحت اجنحة الليل
فكان ذلك وبالا على الروسيين والفرنسويين معا لينفصلوا
عن سواهم

وفي النهاية تخلى الروسيون على المكان وتقدم اليه
الفرنسويون غير ان مدافع القلعة ومدافع الاسطول البحري

الذي كان ادرك مكان الاعداء ونيران القوات الروسية التي كانت تتهددهم وتضربهم من كل الجهات جعلت الموقع صعباً على الفرنسويين ان يبقوا فيهِ فامر الجنرال مونت بالرجوع فرجع مخفوراً ابفرقتي المحافظة تحت قيادة مايران وقد خرج من الخندق لهذا المقصد

وقد قال المؤرخ الفرنسوي ٠ ان هذا الهجوم المميت اكثر مما كان يظن احرمنا من الفوائد التي كنا وعدنا ذواتنا بها بل ما لبثنا ان فزنا بالنجاح حتى خسرناهُ باسرع من القليل ومع اننا كنا نعرف ونؤكد ان القوات الروسية هي من اعظم القوات التي لا يستخف بها الدول المتحدة مهما كثرت رجالهم لكننا كنا نقوم بالاعمال العظيمة مثلهم ورجالنا تقاتل امامهم ببسالة ولا سيما الزواف ٠ وعندما طلب الجنرال اوستان ساكن هدنة لدفن القتلى كتب هذه العبارة الى احد اصدقائهِ ٠ اني اسرع لاخبرك عن عساكرنا الشجعان الذين بقوا بين ايدينا بعد موقعة ابل ٢٣ شباط لقد دفنوا الان بكل احترام يليق بمثلهم

وحزن الجيش المتحالف جداً عندما بلغهُ خبر استعفاء الجنرال كانروبر قائد الجيوش المتحالفة العام لان كل فرد من العساكر كان يحبهُ غير ان الاهتمامات الحربية اجلت هذا الحزن

وسرعة عمل القائد العام الجديد والنجاح الذي لحق باول
ايام قيادتهِ اظهر لهم نتيجة حسنة تقوم مقام الاتعاب التي لاقوها . ففي
٢٢ و٢٣ و٢٤ ايار (مايس) طرد الروسيون من قرب البرج
الاوسط غير انهم عادوا فاستولوا عليهِ ثانيًا وقد قال الجنرال
بليسيه وهو القائد العام . وقعت معركة عظيمة وفي الليلة الاولى
استولينا على مراكز الروسيين ثلاث مرات وارجعوهُ وقتل
منا تقريبًا الف نفر وفرقة الطياره المختصة بالمحافظة قتل وجرح
منها نحو سبعمائة وثلاثة قواد جرحوا . انتهى

وقد جئنا بذكر هذه المواقع عما كتبهُ ونشره قُواد الافرنسيس
ليعلم المطالع ان الفرنسويين الذين يباهون كثيرًا بنفوسهم
ويغالون بذواتهم مع ما هم عليهِ من الميل الى مدح ذواتهم لم يقدروا
ان يخفوا ما كانوا يلاقون من الروسيين ومن نيرانهم . وذكر
تلك الوقائع الذي لا يمحى بكرور الزمان يشهد للروسيين بالثبات
وحسن القتال وقد ارعب اوربا الى زمن طويل

وكان في تلك الاثناء قد مات الامبراطور نقولا وهو
الرجل العظيم الذي قام منذ البداية كالرسول المتسلح بسلاح
السلطة او كالملاك المرسل لاضمحلال الثورة وهذا الدور مسك
عليهِ ثلاثين سنة ملكها بمجد لا يقدر فقد محى الثورات البولونية

والهونغرية والروملية ومنع بروسيا من الاشتراك والتسليم الى خداع الثورة الالمانية ودعوة الثورة الهولستينية وان لم يكن قد محى الثورة الفرنسوية بنفسه لكنه على الاقل عذبها بكل تظاهراته واجتهاداته وخلص المملكة النمسوية ومنع انشاء حكومة المانية جمهورية . وكان يلقب في كل مكان ظهرت فيه اسس المضادات بدون كيشوت السلطنات . ولقب ببطل ثرفانتس وكان ذو فكر ميال للقتال شجاعًا كريمًا دون غرض ذاتي ولكنه كان يظهر من اساس عمله في بعض الاحيان غلطًا مهماً يحمل التاريخ على لومه وعلى الاخص منذ سنة ١٨٤٨ بحيث اخذت الشعوب في مضادة تعاليمه الابوية المطلقة الحكم . وظهرت هذه المضادات في كل مكان من اوربا واما في روسيا فكان لايزال معضودًا وذلك بسبب نجاحه في تركيا وفي ايران والقوقاس وبولونيا وهونغريا وكانوا يفتكرون ان الملك العامل يلاحظ كل شيء ويرجع كل شيء الى الخير. فرجال المؤامرات ضعفت ولم يعد يسمح لها بالاجتماع وكان يظهر انه يدرر الهجران والامانة المطلقة تجاه الحكومة

فاحدثت مصائب الشرق استيقاظًا مرعبًا واساطيل الروسية التي لم تكن غلبت بعد التزمت ان تحتمي بالمرافئ او

تنسحب الى مينا سيبستابول وكانت قد رجعت الجيوش عن الما
وفي سيلسترِيا فاز الاتراك على عساكره وعساكر الدول
المتحدة المتجمعة تحت سيبستابول كانت تحتقر عظمة المملكة
ونقضت المعاهدات القديمة وتركت بروسيا كل شيء يجرى وخانت
النمسا وكان منع الطبع وسكوت المطبوعات مدة ثلاثين سنة
نشرا حمايتهما على المامورين المستخدمين وعلى سرقاتهم فكانوا
يفعلون ما يريدون دون ان تظهر اعمالهم وكانت هدمت وضربت
وحرقت القلع سلفًا من فساد الادارة وكان يظهر حرب القريم
كافلاس عظيم للحكومة المطلقة او بالحري الحكومة الابوية حيث
وضعت ميزان حساباتها امام الغارة ولعظم الامال ازداد وجود
الاناس الذين كانوا يا ملون بالمحال افتتاح الاستانة العلية
وقلب الشرق وتوسيع مملكــة الصقالبة وتخليص اورشليم او
الارض المقدسة وما لبث ان ظهرت خيبة الامال عظيمة وحينئذٍ
ظهرت في روسيا حركة عجيبة فانحلت الالسن التي كانت
ربطت منذ ثلاثين سنة واسرع انتشار الطبع بعد ان كان مختفيًا
تحت العباء ورجمت الحكومة بكتابات غير منتظرة متشكية
على كل العالم معًا وعلى الامبراطور والوزراء والادارات والسلطة
وعلى كل القواد والامراء

وكانت احدى هذه الكتابات تقول . استيقظي يا روسيا لقد افترسك اعداء الخارج وضربتك العبودية واضطهدتك بخجل بلادة التشينوفنكيين والجواسيس . استيقظي من هذا النعاس الطويل نعاس الجهل والجمود لقد مسكنا زماناً طويلاً بالاستعباد خلفاء خانات التتار انهضي انتصبي بهدو امام عرش الظالم اطلبي منهُ حساباً عن الخراب الوطني قولي لهُ بجسارة ان عرشهُ ليس هيكل الرب وان الله لم يحكم علينا لان نكون الى الابد عبيداً يا ايها القيصر لقد سلمتك روسيا السلطة العالية فكنت كاله ارضي فماذا صنعت لقد اعماك الجهل والطمع فلم تبحث الا على السلطة ونسيت روسيا وافنيت حياتك في العسكرية قائماً بالتعاليم الحربية وبتلطيف الملابس الرسمية وبالتوقيع على المواضع الشرعية التي كان يضعها دجالوك الجهلاء ولقد وضعت الجزاء المحتقر على المطابع لكي ترقد بسلام فلا تعرف الاحتياجات الضرورية التي يطلبها شعبك ولكي لا تسمع تمرماته عند صياحه باصوات الحقيقة لقد دفنت الحقيقة ودحرجت حجراً ضخماً على باب ضريحها واقمت حرساً قوياً بقرب قبرها وبخمول قلبك قد قلت . لا يوجد بعث للحقيقة . هوذا قد نهضت في اليوم الثالث وقامت من بين الاموات . فانهض

يا ايها القيصر . واظهر امام المجلس والتاريخ . لقد دست الحقيقة
بدون رحمة برجليك ورفضتها وانت عبد لاغراضك وبكبريائك
وعنادك هدمت روسيا وسلحت العالم بكمالهِ عليها فاخضع
الان وضع جبهتك بالتراب وتوسل عفوك من ربك واطلب
نصيحة وارتمِ بين اذرع شعبك معتذراً فلا خلاص لك الا
بذلك . انتهى

واكثر من مرة عند نهاية حياتهِ وهو مبتدأ بالشكوك
كتلميذ للادارة المطلقة لم يكن يقدر ان يجيب الا بقولهِ . خليفتي
سيصنع ما يعجبهُ لكن انا لا اقدر ان اغير وكان لا يقدر فعلاً
ان يغير لانهُ كان الرجل المنفرد في اوربا بالتصلب في الاراء
ولما كان في مصيفهِ في بترهوف قدر ان يتتبع حركة العداوة
عندما سمع صوتها مرتفعاً ضدهُ وهو صوت الطائفة العظيمة الذي
كان الى ذاك الحد منقطعاً ساكتاً وعليهِ ادمى ذاك القلب المتكبر
وسحق الامبراطور الحديدي وذات يوم من شهر شباط سنة
١٨٥٥ اذ كان مريضاً بشهقة شديدة خرج بدون فروة ببرد
درجتهُ ٢٣ فتاثر شديداً وجرب طبيبهُ كاريل ان يرجعهُ
وعارضهُ في ذلك فاجابهُ . لقد اتممت الواجب عليك فدعني
اتمم الواجب عليّ . وخلاف ارتباكات وغلطات زادت خطر

حالتهِ فاعطى التعليمات الاخيرة الى خلفهِ . وهو ذاتهُ نص هذا التلغراف الذي ارسلهُ الى بلاد روسيا (الملك بحالة الموت) وفي ٢ شباط وقيل في ٢ اذار (مارت) توفي والحرب قائمة بينهُ وبين الدول المتحدة في القريم وعساكر الدول تتقدم كما تقدم

الفصل التاسع

اسكندر الثاني من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٨١

نهاية حرب القريم معاهدة باريس

ولد اسكندر الثاني امبراطور روسيا السابق وابي جلالة الامبراطور الحالي في سنة ١٨١٨ وجلس على عرش روسيا في السابعة والثلاثين من عمرهِ في اثناء حوادث خطيرة كانت تحيط ببداية حكمهِ في الداخل وفي الخارج . وكان قد قال لهُ ابوهُ وهو ينازع . سيكون ثقيلاً عليك الحمل فكن كما انت شجاعاً . واول شيء كان يهمهُ انهاء الحرب التي كانت تضرُّ بروسيا كثيراً تحت شروط معتبرة وشريفة لها . ولما بلغ العالم خبر موت الامبراطور نقولا املوا الرجوع الى السلام وارتفعت اسعار القراطيس المالية في بورصات اوربا ولم يقطع الرجاء اصحاب الراي السلامي في اوربا ولا قنطوا من الصلح حتى

وبعد ان اطلعوا على الاعلان الذي نشرهُ الامبراطور الجديد بين شعبهِ وبهِ يفرض على نفسهِ انهُ يتم طرق ومقاصد اسلافهِ بطرس الاكبر وكاترينا الثانية واسكندر الاول المحبوب والد الروسيين الذي ذكر اعمالهِ كان يتردد في قلوب الروسيين والامبراطور نفسهُ كان يعرف من ذاتهِ ان اعمال ومقاصد اسلافهِ عديمة المناسبة للحوادث ومن ثم فتحت المخابرات مجدداً بين الدول المتحدة واقيم مجلس عمومي في فينا مولف من نواب الدول المتحدة فلم يقدروا ان يتفقوا على الضمانات التي تطلب من روسيا. فطلبت من فرنسا ابطال البحر الاسود او تحديد القوات البحرية التي يمكن لقيصر روسيا ان يستعملها فاجاب على ذلك نائبا روسيا وهما غورتشاكوف وتيتوف بقولهما قبل ان تجوروا علينا وتحددوا قواتنا خذوا على الاقل من قلاع بلادنا سيبستابول

فدامت الحرب ودام الحصار وارسلت ايطاليا بدورها جديداً عشرين الف عسكري وكانت التزمت النمسا حماية الاقاليم من الروسيين والتزمت بروسيا المحاماة عن النمسا وتبادل نابليون الثالث والملكة فيكتوريا الزيارات بشان المخابرات في اهم المسائل الحربية وكان ايضاً قد خلف الجنرال

كانروبر القائد العام الجنرال بليسيه كما تقدم وجرى في ٢٢ و٢٣ ايار (مايس) الهجوم من الدول واشغل المتحالفون عنوةً شط تشرنايا الشمالي بعد القيام بمعركة تشرنايا . وقد قال الجنرال بليسيه عن هذه الموقعة

لقد ظهر الجيش المتحد بوادي تشرنايا ليرجع العدو الى الجبل . ففي ٢٦ اذار (مايس) . قبل النهار بساعة نزل الوادي فرقتان من الجيش الثاني وهما الاولى والخامسة تحت اوامر الجنرال كانروبر بدون ان ياتيا بحركة يشعر بها الروسيون و بنفس هذا الوقت نزل ايضاً الفرسان الذين كانوا تحت امرة الجنرال موريس وتجمعوا امام اخاديد بالاكلافا وبعد هنيهة وصل الجنرال بليسيه فارسل بالزواف ليمشوا على تشرنايا ويقطعوها من المخرج الواقع عند فم جبال فرنو تكا واعدّ صفاً من العساكر ليحيط الروسيين من جهة اليمين وترك للموخرة العساكر التي جاءت من بيامونت جديداً وفرقة انكليزية اتت مع كل الفرسان والمدفعيين من بالاكلافا ومن ثم تبعهم نحو عشرين الفاً من العساكر العثمانية فتجمعوا عند اول موقع وارسلوا صفاً قوياً الى امام قرية كامارا ليعضد يمين الفرنسويين وفي النهاية عند السهل الذي يقطع الطريق عند كامياس الى بالاكلافا بالقرب من

كاراني جاء عساكر للمحافظة مولفة من الزواف والكرنادية والمدفعيين ومن طابور من المشاة الفرنسويين · وعند ابتداء العمل بالقتال تقدمت الجيوش بحرارة وعند الساعة الثالثة صباحًا كبس الزواف والمشاة وجملة فرق من العساكر البيامونتية الروسيين ودخلوا تشرنايا وهم يغوصون بالوحول الى ما فوق الركبة ولوان النهار سمح لهم ان يرونا لالقوا علينا خطرًا عظيمًا وربما كنا لا نقدر ان نرجع بدون خسارة النصف والذي كان يمنع الروسيين عن ان يرونا صف من المدافع كان قائمًا امامهم ولحسن حظنا لم تفتح هذه المدافع افواهها الا بعد ان كانت عساكرنا ربحت المركز المقابل فاخذ صف المدافع واسرع الروسيون بالرجوع الى الوراء وقد اخذوا معهم كل ما امكن اخذهُ من المدافع · والصف الذي كان ارسل من الجهة اليمنى سدَّ النهر بذات الوقت وقطعهُ وحالاً غطت العساكر المتحدة التلال متاثرة الروسيين الذين كانوا يسيرون بدون انقطاع الى المكان الذي كانوا اشغلوهُ منذ بداية الحصار على اعالي ماكانسي وبعد ان تقدم العساكر الى الامام وعرضوا بانفسهم الى الخطر الى نحو الساعة التاسعة امروا بغتة بالرجوع فرجعوا على اعقابهم الى حد تشرنايا وحفظوا الضفة اليمنى

وفي نفس الوقت الذي كانت تجري بهِ هذه الحركة في وادي تشرنايا كانت تقع حوادث مهمة في غير جهة من القريم ففي اليوم التاسع عشر من اذار سافر من كاميابخ اسطول مولف من مراكب فرنسوية وانكليزية تحمل عشرة الاف رجل من الجيوش البرية فدخل في اليوم الرابع والعشرين منهُ مضيق يني قلعة (القلعة الجديدة) التي كانت تدعى قديمًا (بوسفور ثيماريان) وتوصل بحر ازوف بالبحر الاسود وبدون مقاومة تذكر استولت الجيوش المتحدة على كرتش وعلى يني قلعة وقد تركها الروسيون الموكلون بحمايتها بعد ان لغموها وطيروا المخازن والمدافع واحرقوا المراكب البخارية البحرية التي كانت موجودة بالمينا ونحو ثلاثين مركب تجاري . ومن ثم دخل مراكب الدول المتحالفة بحر ازوف فطافت من كل نواحيهِ وخربت اماكن الصيد والمخازن ولم تكن فقط قد احرمت الروسيين من مخازن المؤن لكنها عطلت قسماً كبيرًا من تجارة روسيا الجنوبية وعلى الاخص في الدول وهذه المصيبة شعربها حالاً في كل داخلية روسيا

فضاعفت هذه الاخبار من همم رجال الدول المتحالفة واخذت تحت اوامر الجنرال بليسيه تترتب الاعمال امام سبيستابول

ففي كل يوم كانت تصل فرق من الرجال والادوات فكانت اماكن كثيرة ترى مغطاة بالخيول وبكل نوع من انواع الاسلحة والمواد الحربية وكانت جيوش كثيرة مختلفة تشغل مسافة اربعين كيلومترًا والشعب والوديان كانت مغطاة ايضًا بالخيام ومثلها على رؤوس الجبال وفي المنحدرات وكان يخيل للناظر ولكل من افراد اولئك الجيوش ان ضربة عظيمة كانت مزمعة ان تحدث وكل واحد كان ينتظر وقتها بلجاجة ودام هذا الحصار الى حد ٧ حزيران (جون) وهو اليوم الذي فيه ثبت القيام بالموقعة الهائلة التي تستحق الذكر كونها هيئت سقوط سيبستابول القطعي بعد ان قطعت امال المتحالفين من دوام الحرب مع الروسيين

وقد عرف منذ امدٍ كما اشرنا ان الموقع الحربي الاهم ما يكون للافتتاح العظيم هو برج مالاكوف الذي يدعوهُ الروسيون كورنيلوف على اسم احد قوادهم حيث قتل بهِ وكان الروسيون يعرفون منذ بداية الحرب اهمية هذا الموقع فاجتهدوا بحماية الاماكن التي بجوارهِ فحصنوا المامِلون الاخضر وهو الموقع الوحيد المتسلط على قلعة مالاكوف وبعد ان حفظت مدافعنا السكوت مدة عادت فلفظت بغتة ففي الساعة الثالثة

ونصف برقت النار من صفنا بطوله بسرعة وشدة تلقي بالياس اقوى واشجع العساكر فكانت كل الناحية اليمنى ملتهبة كجبال بركانية في اشتداد هيجانها وكراتنا كانت تسقط على الماملون الاخضر ولكن برج مالاكوف وكل الجناح الشمالي من الكارانتين الى حد برج الجنوب بقيت ساكتة والروسيون الذين كانوا بدون شك ظنوا انه يهجم عليهم من هذه الناحية اخذوا بغتة في الاول فتركوا دقائق قليلة تمر بدون مجاوبة واخيرًا امطرت نارهم دفعة واحدة وجابونا بشجاعة وشهامة عجيبتين فسكتت نارنا مقدار نصف ساعة . ثم رجعت بشدة وطالت كل الليل وكل النهار واليوم الثاني بدون انقطاع تقريبًا

وقبل غروب الشمس بساعة تحركت ثلاث صفوف بنظام وتدرجت الى الامام وهي تولف من فرق كثيرة فارتمت بشجاعة هاجمة لكنها كانت تجاه مقاتل شديد الثبات وبينما كان الفرنسويون يعاركون شديد اللاستيلاء على الماملون الاخضر هجمت الفرقة الثامنة والثمانون الانكليزية على المدافع وملكوا المركز باقل من عشرين دقيقة وتتابعت المعارك بشدة وافتتحت عساكرنا المكان اربع مرات ثم طردت منه بحيث كانت تقلبهم

مدافع الحصن وكانت نارها مشومة علينا ومن ثم تقدم فرقتان من الانكليز لمساعدة الفرقة الاولى التي كادت تنقرض تماماً ولم تقبل أن ترجع بعد ان وصلت الى المركز ونحو الساعة العاشرة ونصف ليلاً تمكنوا من سد المدافع وعلى هذا الوجه امن المهاجمون من تلك النيران المهلكة فتسلقوا الاعالي وارجعوا الروسيين وقد تركوا المالملون الاخضر ورجعوا الى مالاكوف فتاثرتهم عساكرنا ولكنهم ارجعوا بنيرانهم بعد إن تسبب لنا من تاثرهم خسائر لاتحد

ففي هذه المعارك اظهر الروسيون شجاعة اكيدة وقد جربوا جملة مرات استرجاع مراكزهم وقاموا بقتال عجيب حير عقول عساكر الدول ولكنهم لم يتمكنوا من غايتهم وقد قتل منا كثيرون وكان من جملة المقتولين الكولونيل برانشبون وقد دعا القائد العمومي المتراس الذي بنيناهُ فوق المالملون الاخضر باسمهِ . واخذ القائد العام منذ ثاني يوم الاستيلاء على ذاك البرج في ان يجعلهُ اساساً للهجوم على حصن مالاكوف ومن ثم على حاجز كاربلنايا اي قرية سيبستابول المهمة واقام القوات الكافية من المدافع الضخمة على المراكز المكتسبة وبعد ان اختبر الطرقات والمواقع قسم الجيش الى اقسام ورتب على الانكليز ان

تفاجىء الحصن الكبير والفرنسويون ان تفتح برج مالاكوف وحصن كاريناج . وقد قال . فمن الممكن ان العدو يرغب في ان يقلل من اطلاق المدافع لاقتصادها وهم لا يحتملون نار مدافعنا التي كنا ازمعنا ان ندفعها في اليوم الثامن عشر من حزيران وفي الليل السابق اقمنا كل الاستحضارات اللازمة لاظهار حركتنا العجيبة عند بزوغ الفجر وهكذا كانت الجيوش ثلاث فرق ملزومة ان تبتدىء بالمعاركة وهي فرقتا ميران و بريني من الجيش الثاني وفرقة اوتيمار من الجيش الاول . واقيمت فرقة الحرس الملكي للمحافظة فترتب على فرقة ميران الهجوم والاستيلاء على المتاريس الممتدة على صفوف المدافع المختصة ببوانت عند برج كاريناج وفرقة بورنيه كان عليها ان تحيط بمالاكوف من الجهة اليمنى وفرقة اوتيمار ان تشتغل في الشمال لتستولى على ذاك المحل المهم

وقد تم الاتفاق بين قواد الدول المتحالفة ان تعطى الاشارة بسهم ناري يطلق من برانسون (المامملون الاخضر) عندما يكون قدامر القائد العام بالهجوم وقبل ان يطلق السهم المتفق عليهِ راي الجنرال ميران سهماً خرج من كرة كانت اطلقت من نفس المتراس فهجم بجيوشهِ دفعة واحدة فاندفعت

عليهِ كرات الروسيين ولم يكن من يعضده ففنيت جيوشهُ والتهمتها تلك النيران ونفس الجنرال سقط بجرح مميت واخذ من المعركة عندما اطلقت العلامة الحقيقية اي السهم المتقدم ذكرهُ ودخل الجيوش الباقون بالمعركة لكي تسند الحركة اليمنى التي كانت بغير اوانها ولكن لم تنجح وذهبت اجتهاداتها سدى في كل مكان وقتل ايضاً الجنرال بورنيه . وفي الشمال ظهر بوقت قصير ان الجنرال تيمار قريب من النجاح ووصل الفرقتان الاولى والخامسة من الجيش التاسع عشر الى حد الاخدود الذي يربط وادى كاربلنايا ببرج مالاكوف فاجتازوا الاخدود المذكور ودخلوا الى نفس الدائرة واملوا برهة بالنجاح وانتصبت اعلامنا مدة على متاريس الروسيين لكن باقرب وقت انقطع هذا الامل وترك للروسيين الحرية التامة في ان يهلكونا ولم يضيعوا فرصة الفوز ففاجئونا بنار شديدة الاضطرام وكان القتال محتدماً جداً حتى تبين لقائد الدول المتحدة ان فناء العساكر اصبح قريباً فتلافى الامر بان امر بسرعة الرجوع فتقهقرت عساكرنا الى الوراء بعد ان خسرنا خسائر عظيمة جداً بحيث قتل من قوادنا فقط (الفرنسويون) ثلاثة من اكبر القواد واعظمهم اي من القواد الاولين وهم ميران وبورنيه

ولابوسينيا الشاب الشجاع وقتل سبعة وثلاثون قائداً ثانوياً واسر سبعة عشر وقتل واختفى ايضاً ١٥٤٤ ضابطاً وجرح ستة وتسعون فضلاً عن الجنود والانفار . انتهى

ومن المعلوم اننا لوجئنا بذكر كل تلك المواقع واحدة فواحدة لتبين ان القتال في تلك الجهات كان مما لايحتمل وقد حكى فيهِ كتاب كثيرون وتناقلتهُ الالسن كثيراً ولا يزال حتى اليوم يضرب بهِ الامثال ولا سيما القتال الذي وقع عند سيبستابول عقيب هذه الموقعة التي ذكرناها نقلاً عن كتابة اشد الناس تغرضاً ضد الروسيين وقد جلب هذا الكاتب الفرنسوي في كتاباتهِ كل الفخر لامتهِ الفرنسوية في قتال تلك القلعة الشهيرة ومع كل ذلك لم يقدر ان يخفي الحقيقة فشهد بشجاعة الروسيين اخصامهم واقرّ بالخسائر التي كانوا يتكبدونها هم وحدهم اكثر من سواهم

وكان قد اعلن الجنرال بليسيه القائد العام انهُ ياخذ سيبستابول في اليوم السابع من حزيران (جون) فلم يقدر لكنهُ اخذ الماملون الاخضر والافراج بلان وفي اليوم الثامن عشر انطرح الفرنسويون على مالاكوف والانكليز على ريدان فردوا بخسائر جسيمة . وفي ١٦ آب (اوغسطوس) امتاز الجيش الايطالي بمعركة نرا كير

عند تشرنايا وكان قد حضر اخر يوم من حصار سيبستابول وبالجملة كان ٨٦٤ مدفعاً من مدافع الدول المتحدة ترن على القلع وعلى المدينة فاظهر الروسيون بسالة شديدة وشجاعة فائقة الحد وفي ٢٨ يوماً من الحصار خسر المتحالفون ١٨ الفاً من اطلاق المدافع وكانوا قد رموا على المدينة نحو مليون ونصف مليون من الكرات فكم يا ترى صرف من البارود والمواد المهلكة المحرقة على ان تلك الكرات لو جمعت لكانت تعلوا كثيراً على الحصون والقلاع . وكان الفرنسويون قد حفروا نحو ٨٠ كيلومتراً من الخنادق في مدة ٣٣٦ يوم اي مدة الحصار و١٣٥١ متراً من اللغومة وقد اوصلوا منافذ خنادقهم الى بعد ثلاثين متراً من مالاكوف تحت نار جهنم المشتعلة فوقهم من الجهتين التي كانت تدوي وترعد فتسمع عن بعد اكثر من مائة كيلومتر على الداير ومن ثم اخذت تسقط القلع الروسية مع المدفعين الذين عليها ميئات وكذلك عساكر المحافظة وقتل كورنيلوف وايستومين وناكهيموف رجال موقعة سينوب البحرية ولم يبق وقت للمحاصرين ان ياتوا بمدافع غير المدافع الساقطة ولا بان يغيروا المتعطل منها وبالكاد كان عندهم وقت لرفع الاموات فبيوم واحد سقط ٧٠ الف مرمى على المدينة وقد كانوا قاربوا

النهاية . وفي اليوم الثامن من ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٥٥ عند الظهر سكتت مدافع المتحالفين عن الاندفاع وارتمى الفرنسويون على مالاكوف وتمسكوا بها رغماً عن كل ممانعة ورغما عن سقوط الانكليز عند الحصن الاكبر اخذت قلعة سيبستابول فاخلى الروسيون المدينة وكارابلنايا بعد ان احرقوا كل شيء وطيروا بالنار كل ما بقي عندهم . ومن ثم انسحبوا الى الجهة الشمالية . وفي تلك المدة كانت لاتزال المراكب تداوم تهديداتها على الشطوط فخربت حصن كنبيورن واحرق الروسيون حصن اوتشاكوف

وكانت الدول المتحالفة تظن ان بنهاية سيبستابول تنتهي القوة الروسية فتنقاد الى التسليم من نفسها لكنهم بعد سقوط هذه القلعة الحصينة واخذ مالاكوف راوا ان روسيا لم تكن على نية التسليم فكان كورتشاكوف يعلن في جيشهِ المتجمع عند جون سيبستابول الشمالي انهُ لايمكن ان يترك تلك البلد التي بها القديس ويلدمير اقتبل ماء المعمودية . ومن ثم جاء الامبراطور اسكندر الثاني قيصر الروسيين ليشجع جيوشهُ وليظهر للدول ان الحرب منذ ذلك الحين اخذت في ان تبتدي ومع ان الامبراطور نفسهُ كان شعر بعظم تلك السقطة

لكنهُ كان يرى ابواباً كثيرة للنجاح وكان يعرف ان الدول مهما نجحت لاتقدر راساً ان تثبت في داخلية بلاده بدون ان تلاقي صعوبات جمة . وكانت الجريدة المسماة لابيل (النحلة) تعلن الى اوربا وتخطرها ان الحرب ازمعت منذ ذاك اليوم ان تكون اكيدة وان هدم سيبستابول يساعد الى القيام ببناء قلعة احسن واشهر منها . لكن لم يكن الروسيون ولا المتحالفون يقدرون على اخفاء المخابرة بالصلح وكانت الدول ترغب فيهِ وقد كلفتها هذه الحرب نحواً من ٠٠٠ ٢٥ الف رجل ولم تعد البنوك تقدر على دفع اكثر من الورق وقد رفض كثيرون اوراق الحكومات واكثر الجرائد الانكليزية كانت تظهر ان الروسية قد ضربت كفاية وان من اللازم ان لا تتجاوز القتال اكثر من ذلك وجرائد فرنسا كانت تعلن ايضاً ان الحرب قد قاربت النهاية وان ما من غاية حميدة وراء سيبستابول

ومعاهدة ٢١ تشرين الثاني سنة ١٨٥٥ بين فرنسا واسوج لم تكن تحوى الاضمانة بسيطة غير ان الجرائد كانت تعلن انها تحوى المحاماة والاشتراك واذ ذاك اجتهدت النمسا كثيراً وافرغت كل ماعندها من الجهد في فتح المخابرات الصلحية وكان الروسيون قد استولوا على قلعة القارص في جهة اسيا

فبهذا الاستيلاء جعلهم يتسلون نوعًا ما وعزّى احتدام العساكر الروسية وجعلهم ان يتساهلوا بهذا الصلح ويرضوا بترك الحرب ورأى اسكندر الثاني ضرورة الراحة الى بلاده وانهُ تولى البلاد وهي في قلق واضطراب وان من الواجب الاهتمام بما هو افضل وان بالصبر ينال الغاية من فرنسا فيسقطها على ام راسها ومن ثم يعود فيعيد شرف روسيا التي خسرتهُ ويبني اذا ساعدتهُ العناية قلعة سيبستابول . ولذلك اعلن قبولهُ بالشروط الاربعة التي قدمها الكونت استرهازي وعليهِ اجتمع مجلس دولي في باريس الى ٢٥ شباط (ففريه) سنة ١٨٥٦ وجد بهِ معتمدو النمسا وفرنسا وانكلترا وبروسيا وايطاليا والدولة العلية وكان ينوب عن الحكومة الروسية البارون برونوف والكسيس اورلوف . ووقع على الصلح حسب الشروط الاتية

اولاً . ان الروسية تتنازل عن حقها القطعي بالمحاماة عن الاقاليم الدانوبية وعن كل مداخلة بامور هذه القطيعات الداخلية

ثانيًا . ان السفر بالدانوب يكون مكفولاً للاطمئنان باقامة جمعية من الدول الموقعة على هذه الشروط فيكون لها نواب فيها ولكل منها اي من الدول الحق بان تضع

بارجتين حربيتين خفيفة عند مخارج النهر وتقبل روسيا بتصليح الحدود التي تترك للدولة العلية وللاقاليم

ثالثًا يكون البحر الاسود منفردًا . وتكون مياههُ مفتوحة لكل مراكب الدول التجارية ويمتنع على المراكب الحربية الدخول اليهِ ولا ينشأ قط موقع حربي هناك ولا تبقى معامل اسلحة حربية بحرية مطلقًا ولا يسوغ لا لروسيا ولا للدولة العلية ان تضع فيهِ اي بالبحر الاسود الا عشر مراكب خفيفة لمحافظة الشطوط

والشرط الرابع وهو يتعلق بالامتيازات التي كان حضرة ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان يريد ان يمنحها الى رعاياهُ المسيحيين . وقد ادرج ذلك بالمعاهدة لكن بشرط ان الدول لا تقدر ان تتسلط عليهِ ولا يحق لها قط المداخلة فيما يتعلق بامر حضرة السلطان مع رعاياهُ

وطلب المجلس الدولي خلاف ما تقدم ابطال اشياء كثيرة كانت تستعملها المراكب وسمح لها بالحرية في كل شيء ما عدا التهريب الحربي والزام الحصار الحقيقي . فامكن روسيا باكثر سهولة ان تقبل بها لانها لم تكن الا التي عضدتها في سنة ١٧٨٠ وسنة ١٨٠١

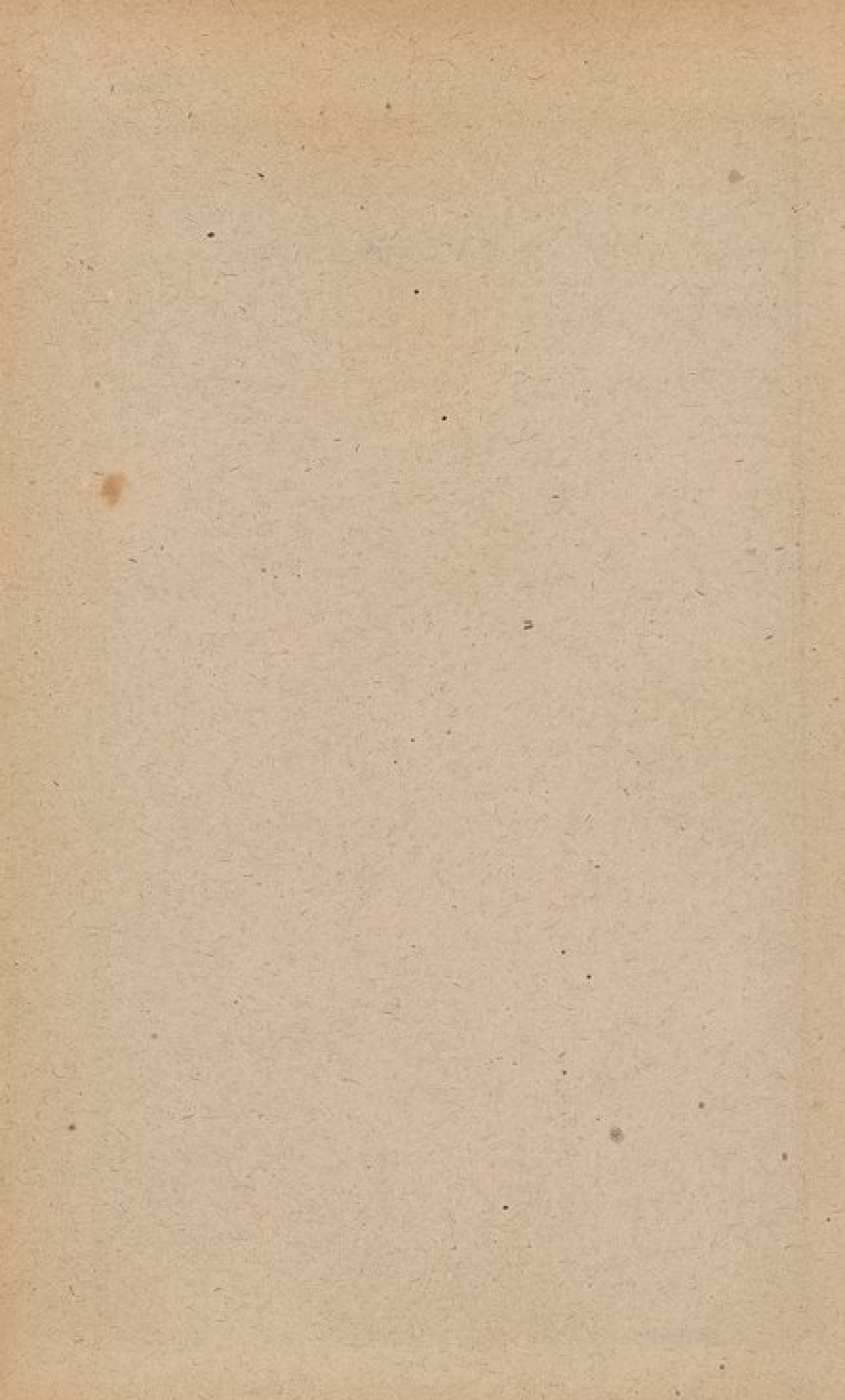
وهكذا وقّع على شروط الصلح ولاقى العالم اجمع خبر هذا الصلح بفرح لايوصف ولم تكن اوربا برمتها اقل اضطرابًا من روسيا وقد عرفت ملوكها عظم الضرر الذي وقع عليها من جرى هذه الحرب اكثر من غيرها وصارت تلك الحرب امثولة لها تتهددها بو شعوبها على الدوام فتوقفها على حدٍ يمنعها من ان تفتكر مرة ثانية بالانضمام الدولي او بحرب ثانية ضد تلك الدولة العظيمة ولاسيما فرنسا وانكلترا فان الاولى قد خسرت من الرجال ما لايمكن ان تعتاض عنهُ بسنين كثيرة ولا يزال حتى اليوم كثيرات من نساء تلك البلاد ارامل وقد ربين اولادهن باليتم يحكين لهم ما وقع عليهن وعليهم من نتاج تلك الحرب والثانية فضلاً عن خسارة الوف من الرجال تكبدت من الخسائر المالية ما لاتنساه الى اجيال ولا يزال الدين ملقيًا على عاتقها اليوم والى الغد

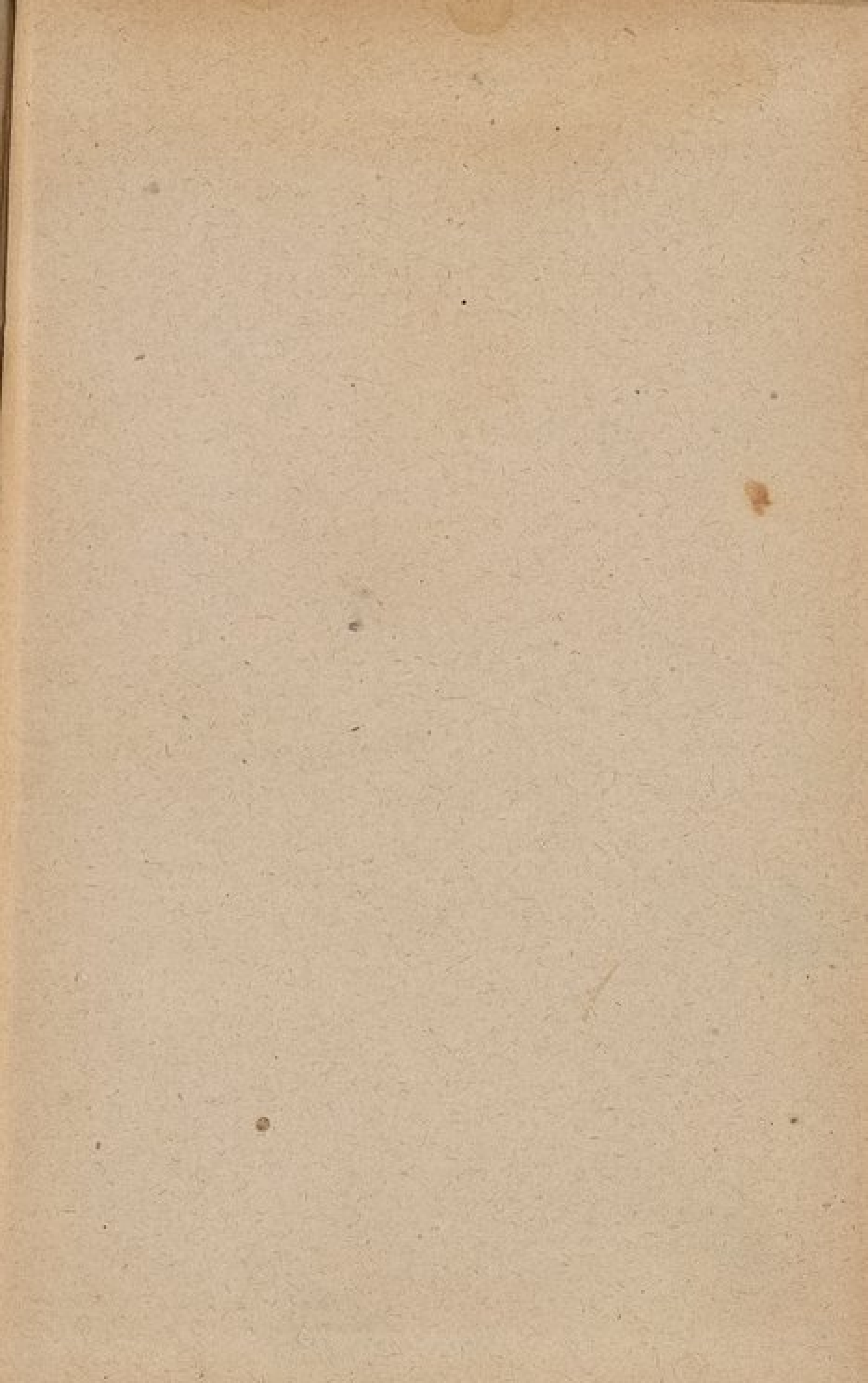
واما روسيا فانها بمعاهدة باريس خسرت السلطة العظيمة التي كانت لها على البحر الاسود وخسرت ايضًا حماية مسيحي الشرق وعلى هذا الوجه اضاعت ثمرات سياسة بطرس الاول وحنة ايفانوفنا وكاترين الثانية التي لقبت بالمعظمة واسكندر الاول وحكم بالخراب على اساطيل ومرافئ الحرب التي انشاها توباملكين والدوق دي ريشليو والماركيز دي ترافرساي والاميرال لازاروف

وعلى هذا الوجه ايضاً خضعت للهجران قلاع سيبستابول وكنبيورن وينى قلعة وجردت معاهدات كابرناجي وبخارست وادرينابل من كل آمال الافتتاح والتسلط التي انتجتها سياسة نقولا الاول وكادت تضيع اعمال جيلين اجريت باجتهادات سعيدة

انتهى المجلد الثالث من تاريخ روسيا الحديث ويليه المجلد الرابع
ان شاء الله وبه اخر الكتاب








DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

